الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

al-Wael al-Islami

العدد ٤١٥ ـ السنة ٣٧ - ربيع الأول ١٤٢١ هـ - يونيو / يوليو ٢٠٠٠ م

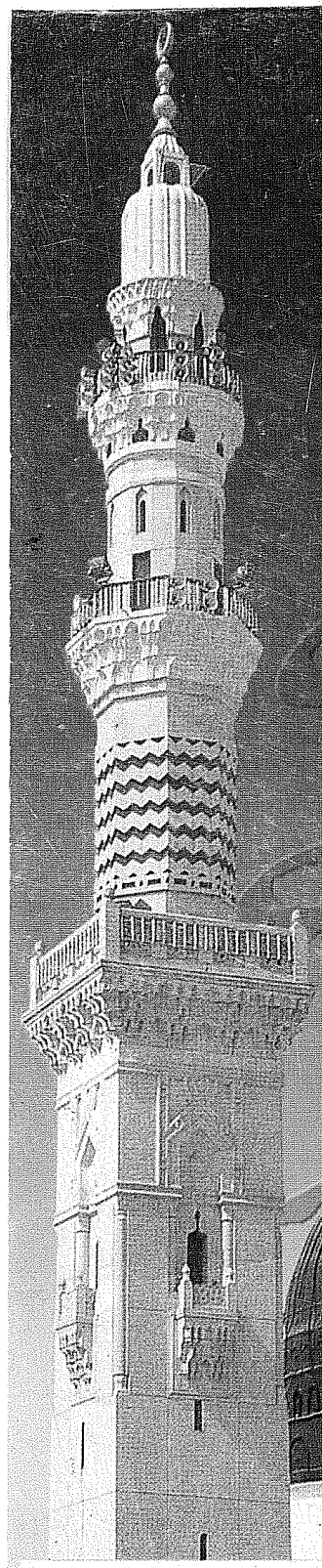

خاتم المرسلين في نظر المنصفين من المستشرقين

المبنى الجديد للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية قلعة من قلاع الخير

رئيس البنك الإسلامي للتنمية
المصارف الإسلامية نجحت في ترسيخ أقدامها على الصعيد العالمي

الهندسة الوراثية وثورة الاستنساخات البشرية

دور النورسي في مواجهة علمانية أتاتورك

هديتك مع العدد براعم الإيمان

اشتراككم في مجلة الوعي الإسلامي
دعم لمسيرة الفكر الإسلامي المعاصر

الوعي الإسلامي
إسلامية شهرية جامعة
al-Wael al-Islaml

ص.ب : ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 130097 - الكويت
هاتف : ٥٣٤٨٩٧٤ / ٥٣٤٨٩٧٦ / ٥٣٤٨٩٥٦ (٠٠٩٦٥)
فاكس : ٠٠٩٦٥.٥٣٤٨٩٥٤
e.mail: alwaei@awkaf.net
Homepage: www.awkaf.net/alwaei

الوعي الإسلامي

تأسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد 415 - السنة السابعة والثلاثون - ربيع الأول 1421 هـ - يونيو / يوليو 2000 م

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
جاسم محمد مطر شهاب
Jasem M. M. Shehab

سكرتير التحرير
EDITORIAL SECRETARY
وائل أحمد الهنيدي
WAEL A. AL-HUNAIDI

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

كلمة العدد

في ذكرى المولد النبوي

الإخوة القراء:

يصادف صدور هذا العدد ذكرى مولد نبي الرحمة وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ، ونظراً لأهمية هذه المناسبة، خصصنا ملفاً لها، تناولنا فيه هذه الذكرى العطرة من الزاوية الحضارية والإنسانية، وعرَّجنا على بعض آراء المستشرقين المنصفين في شخصية الرسول ﷺ، إضافة إلى نشر دراسة أدبية حول المدائح النبوية والبديعيات، ومن جانب آخر، نقدم في ثنايا هذا العدد حواراً مطولاً مع الأستاذ خالد عبدالله الشعيب مدير إدارة البحوث والموسوعة الإسلامية في وزارة الأوقاف الكويتية حول الموسوعة الفقهية، ذلك المشروع الفقهي الكبير الذي يعدُّ أعظم إنجاز فقهي في العصر الحديث لأنه يقدم الفقه بأسلوب عصري ميسَّر لتعلّمه والعمل به، إسهاماً من وزارة الأوقاف الكويتية في مشروع أمتنا الحضاري العظيم.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الوعي الإسلامي

الأسعار

الكويت: ٣٥٠ فلسا. السعودية: ٤ ريالات. البحرين: ٣٠٠ فلس. قطر: ٤ ريالات. الامارات: ٤ دراهم. سلطنة عمان: ٣٠٠ بيسة. الأردن: ٥٠٠ فلس. مصر: جنيه واحد. السودان: ٥ جنيهات. موريتانيا: ١٢٠ أوقية. تونس: دينار واحد. الجزائر: ٥ دنانير. اليمن: ٥ ريالات. لبنان: ١٠٠٠ ليرة. سوريا: ٢٠ ليرة. المغرب: ٦ دراهم. ليبيا: ٥٠٠ مليم. اوروبا: جنيه استرليني واحد او مايعادله. امريكا وبقية دول العالم الاخرى: دولاران او مايعادلهما.

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت
هاتف: ٥٣٤٨٩٧٤ / ٥٣٤٨٩٧٦ / ٥٣٤٨٩٥٦ (٩٦٥+)
فاكس ٥٣٤٨٩٥٤ (٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 5348976 FAX 965 5348954

e.mail: alwaei@awkaf.net
Homepage: www.awkaf.net/alwaei

الاشتراكات

- داخل الكويت:
للأفراد ٥ دنانير. للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية
- الدول العربية:
للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم:
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- للمؤسسات:
٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

مطابع السياسة - الكويت

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت - برقيا نيوزبيبر

في العدد

قضايا عالمية

حرب المياه هل يشعل الكيان الصهيوني فتيلها؟

يجمع أكثر المراقبين والمحللين على أن الحرب المقبلة ستكون بسبب المياه وبخاصة في منطقة الشرق الأوسط وهذا ما يفسر قيام الكيان الصهيوني بالإستيلاء على أكبر قدر ممكن من الموارد المائية.

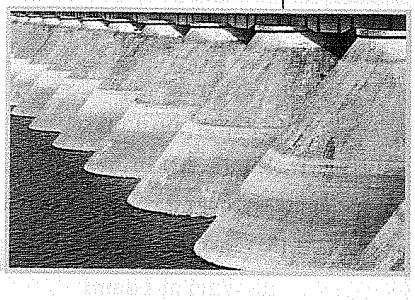

11

فقه

التعزير ونظائره بين الفقه والقانون

هل حدد الإسلام جرائم التعزير كما فعل في الحدود والقصاص؟ ومن هو المفوض في تقدير عقوبة التعزير؟ وهل هناك ضوابط معينة لذلك؟

30

طب وعلوم

الهندسة الوراثية وثورة الاستنساخات البشرية

يثور جدل واسع في الأوساط الطبية والفقهية والفلسفية حول قصة الاستنساخات البشرية، وهل الأديان تبارك الهندسة الوراثية إذا كانت تهدف إلى شفاء الناس؟

64

4

الوعي الإسلامي

العدد 415
ربيع الأول 1421 هـ
يونيو / يوليو 2000

الفهرس

٣	كلمة العدد : في ذكرى المولد النبوي	التحرير
٥	الافتتاحية : الاتباع والإبداع من منظور تربوي	رئيس التحرير
٦	بريد القراء	التحرير
٨	افتتاح المبنى الجديد للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية	تمام أحمد
١١	قضية : حرب المياه هل يشعل الكيان الصهيوني فتيلها؟	محمد لشبيب
١٢	وجعلنا من الماء كل شيء حي	محمد مروان مراد
١٤	مقاصد التربية الاستهلاكية في الإسلام ...	د. عبدالله معصر
١٩	حوار : رئيس البنك الإسلامي للتنمية	سامح عبدالله
٢٢	اقتصاد : تدخل الدولة في السوق في عهد الخلفاء الراشدين	د.محمد قلعه جي
٢٥	أحكام : الخلع بين الشريعة والتطبيق القانوني ٢/٢	د.سعد الدين الهلالي
٢٨	التعزير ونظائره بين الفقه والقانون	د.حسن أبو غدة
٣٠	يستجير من الرمضاء بالنار	عبدالرحمن قره حمود
٣٢	عقيدة : بصائر في جانب العقيدة (٤).	د.محمد أبو الفتح البيانوني
٣٤	إشراقة المولد : البصمات الحضارية لمولد الرسول ﷺ	مصطفى محمد طه
٣٩	خاتم المرسلين في نظر المنصفين من المستشرقين	الخضيري عبدالمنعم خليل
٤٣	الفكر الإنساني الحضاري في أحاديث الرسول ﷺ	جاك صبري شماس
٤٤	قبس من أنوار النبوة	مجدي محمد عرابي
٤٦	المدائح النبوية والبديعيات في الأدب العربي	محمود فاخوري
٤٨	همسة في المولد	محمود الحجازي
٥٠	شخصيات إسلامية : عروة بن الزبير	البشراوي طاهر محمد
٥١	شعر : في رثاء الشاعر محمد منذر الشعار	محمد عبدالله القولي
٥٢	دراسات قرآنية : المقررات الجامعية في القرآن	د. أحمد شرشال
٥٤	رسائل جامعية : تحقيق قسم النكاح والطلاق من كتاب المحرر الرافعي	عبدالله بدران
٥٦	البراء بن عازب	د. محمد الزحيلي
٥٩	معاهد إسلامية : المعهد الألباني للفكر والحضارة الإسلامية	عبدالكريم خليل
٦٠	دراسات تاريخية : دور النورسي في مواجهة علمانية أتاتورك	د. أحمد محمد سالم
٦٤	علوم : الهندسة الوراثية وثورة الاستنساخات البشرية	د. نبيل سليم
٦٨	البيت المسلم : تربية الأبناء مسؤولية من ؟	عبدالحميد غزي بن حسن
٧١	هل التنشئة الاجتماعية الخاطئة تؤدي إلى بناء الشخصية الإجرامية	ياسر عبدالحميد
٧٤	شرك الشيطان «قصة»	بو عزة الفرحان
٧٦	كيف تحفّز طفلك على النجاح والتقدير	أشرف سعد
٧٩	المراهقة ومشاكلها الصحية	د. سلوى أحمد
٨٢	همسة إلى كل زوج	منى السعيد الشريف
٨٣	مواقع إسلامية على الإنترنت	تمام أحمد
٨٤	ثمرات الفكر	محمد هاني
٨٧	نافذة على العالم	التحرير
٩٠	مقتطفات من الصحافة	التحرير
٩٢	ترجمات : الفلسطينيون لن يقطفوا ثمار السلام إلا بعد ٢٠ سنة	عبدالمنعم أحمد
٩٤	حديقة الوعي	أحمد عبدالجبار
٩٦	الفتاوى	إدارة الإفتاء
٩٨	سلافة : منطقة الأمان النفسي	علي مدني رضوان

الاتباع والإبداع من منظور تربوي

قد تكون الفرصة الآكدة لسبر الواقع المكفهِّر ودحر القناعات الراسخات على خطأ، تتركز في تحقيق فكر تربوي إبداعي في أنفس تتأهب لنيل قسط من الريادة في أيام قابلة.

ولا خوف من مقتبس مستورد مستحسن، لا يخالف قيمة أو مبدأ أو أصلاً أو معتقداً سليماً، ولكن الخوف من ند يبطن ضد ما يظهر.

لقد أوجدت الأفكار الواردة إلينا من الشرق والغرب، نتوءات ومنحنيات وعللاً بيِّنة، نبتت في عقول مريضة، فأنتجت قلوباً فقدت كثيراً من معطيات النقاء والصفاء، وراحت تبث توجهات لم تنل كبير حظ من تمحيص وتدقيق، فحازت من التهم ما لا يعد، وإن أحسن بعضهم النية، فالنية هاهنا صورتها العمل، ودليلها الهدف، فلا مكان لمن يشذ عن الصواب ولو ادعى، وكان متبعاً لهوى، يوصل ختاماً إلى إفراغ الفكر الإبداعي المستمد من أصول الدين، وتضمين المستودع الفارغ ترهات تصيب بالغثيان، وتجعل الحليم حيران.

ولعلنا لا نبعد عن الحقيقة لو طرحنا قضية فهم هذا الواقع من نافذة تربوية تعتمد المنهاج العلمي العلاجي السديد، مقارنة بما يُشاع من توجهات فاسدة، لمواجهة المحنة المتمثلة بالاتباع الأعمى، لنصل ولو بعد حين إلى إيجاد مساحة فكرية إبداعية إنتاجية، تكون جديرة ـ بالفعل ـ لأن تنتسب إلى أمة الإسلام، لنكون كما وصفنا الخالق العليم: (خير أمة أخرجت للناس)، فأين أمة الإسلام اليوم من مسيرة الحضارة المعاصرة؟!

لا نريد هنا أن نحمل مسؤولية ما أصابنا لفئة ما، لأن الأمة بمجموعها مسؤولة عن كل ما يصيبها، وعلى ركاب السفينة مجتمعين أن يتحملوا المسؤولية، ولا مكان لمن ينسحب تحت ستار الحجج الواهية، فكلنا مسؤول، وكل راع مسؤول عن رعيته.

إن التجارب العديدة، تثبت يوماً بعد يوم أن العودة إلى منابع الخير أفضل كثيراً من البحث عن المنقذ من بين الحطام، ولعل الجانب التربوي المستقبلي المتعلق ببناء جيل الأمة، يستحق اهتماماً أكبر، لنتخلص من الاتباع ولنصل إلى الإبداع، بدلاً من الوقوف على الأطلال ونقد الواقع الرافض للتغيير المتمسك بالأفكار والتصرفات التي قد تبعد عن منهج الإسلام في كثير من الأحيان.

ولعلنا اليوم مطالبون كأمَّةٍ واحدة، من أعلى الهرم إلى قاعدته، بأن نعاود التفكير بواقعنا التربوي وكيفية النهوض به والتخلص من التبعية، وربما نتمكن بعد ذلك من إصلاح الخلل الذي ينهش جسد الأمة طرفاً طرفاً... وعندها فقط، تبدأ مرحلة جديدة في النظام العالمي.

إننا عندما نمد البصر في سماء أمتنا ـ ولا نعني مساحة جغرافية محددة، لأن الجغرافيا ذُوِّبت في زمن العولمة ـ نجد إشراقات باسمة تسيل عذوبة وتفاؤلاً وثقة بغد آت لا محالة، يستعيد فيه المسلمون ريادة العالم، حيث تعلو راية الحق خفاقة في كل أرض.

ولكن نصرة الله لنا مشروطة بنصرتنا له، وهذه النصرة لنا هي دعوة خالدة وردت في كتابه العزيز (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)... فهلاً نظرنا من جديد، علَّنا نزيل هذا الركام الهائل من التأخر الذي أحدث شللاً في كثير من أطرافنا، وكما قلنا سابقاً لعل الأجيال اللاحقة تكون أكثر جدية ووعياً وواقعية، لذا علينا أن نمهد الطريق لهم، فننبذ الاتباع الأعمى، وننشد الإبداع الأسمى، في أسلوب تربوي إسلامي سديد ينعش سباتنا وينهض بنا من جديد ■

رئيس التحرير

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

طفولة وشيخوخة مذبوحة

كم هو مؤلم منظر الشيوخ العجزة سواء من الرجال أو النساء وكم هو مؤلم منظر الأطفال الجائعين وعيونهم الدامعة وهم في فيافي وصحارى القوقاز، فأطفال وعجائز البوسنة جاءوا سابقاً وكوسوفا من بعدهم وأخيراً جاء دور أطفال وشيوخ وعجائز الشيشان.

هذه الجثث بمنظرها الشنيع وذهولها المرعب نراها وقد عضها الجوع وأحرقتها دموع وصرخات المذهولين والجياع الذين غدا الخبز اليابس والدفء بالنسبة لهم حلماً جميلاً، وأمنية غالية بعيدة المنال وقت أصبحت فيه كلاب الغرب وقططها أعظم شأناً وأعلى مكانة من طفل مسلم شيشاني، لا يطالب سوى حقه في التخلص من أغلال قياصرة باعوا ضمائرهم، إنه يطلب بعضاً من فتات موائدهم وموائد الأغنياء والمترفين من الغرب الذين أكثر ما يموتون بسبب التخمة والأكل الكثير الذي يرهق معدهم ويتعب أمعاءهم.

من منا لم يشعر بالاشمئزاز والنكران ويخالجه العار وهو يشاهد بأم عينيه إخواناً له في العقيدة والإنسانية وهم تائهون هائمون على وجه الأرض، هياكل متحركة، أطفال صغار جفت دموعهم، وتجمدت جلودهم من البرد، وشيوخ انحنت ظهورهم من الذل. وضراوة القهر والحرمان.

إنها فضيحة العصر، لماذا يحدث كل هذا في عصر الذرة والتخمة والتقدم وعصر الإنترنت - لماذا يضرب ويقتل الأطفال والعجائز في كل أقطار الأرض المحددة. بينما يأكل ويشبع أناس آخرون مع كلابهم وحيواناتهم الأليفة - أين هي الرحمة والإنسانية أين هو التضامن الإسلامي؟ ورسول الله ﷺ يقول: «ليس منا من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع»، ويقصد رسول الله ﷺ، أي جار سواء كان مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً... حقاً إنها أعلى درجات الاهتمام بالإنسانية... اعتقد أننا نسقط ونسقط أكثر كلما تعمقت بيننا الأنانية وحب الذات، فالعالم اليوم قد ألغى من قاموسه مصطلح الرحمة وأصبح الكلب الأوروبي أفضل من مليون طفل من أطفالنا.

ثروت حافظ عبدالنعيم. مصر

قلوبهم معك وسيوفهم عليك

ما يحدث للمسلمين في الشيشان وما حدث لهم من قبل في البوسنة والهرسك وفي كوسوفا والآن في كشمير وبورما والهند وفي كل أنحاء العالم، وموقفنا كدول إسلامية شعوباً وحكاماً بالنسبة لهم أشبه بما قاله أحد المسلمين للحسين بن علي حين سأله عن حال أهل العراق قال له: قلوبهم معك، وسيوفهم عليك. وكان هذا قبل معركة كربلاء التي لقي فيها الحسين ربه شهيداً، الموقف نفسه الآن يتكرر، فالأمة الإسلامية بصمتها لما يحدث في الشيشان أشبه بحال أهل العراق مع الحسين بن علي رضي الله عنهما، قلوبنا معهم وصمتنا على ما يحدث لهم أشبه بالسيف المسلط عليهم.

العدل الغنيمي. مصر

ملاحظات ومقترحات

أرسل إليكم مجموعة من الملاحظات والمقترحات أرجو الأخذ بها:

فتحي عبدالخالق علي
سلطنة عمان

● الأولى أن تكون الآيات القرآنية الكريمة المنشورة في المجلة والبراعم مصورة من المصحف الشريف تفادياً للأخطاء الطباعية.

● الثاني: أن تكون قسيمة المسابقة في زاوية خارجية ليس على ظهرها معلومات حتى لا يشوه العدد بعد قصها.

● كما نرجو أن تكون المجلة وملحقها داخل كيس من البلاستيك حماية لها حتى تصل إلى أيد قرائها نظيفة.

المحرر: شكراً على مقترحاتكم ونأمل تطبيقها ضمن الإمكانات المتاحة حالياً وجزاكم الله خيراً.

مقترحات

أود أن اقترح في مجال الأوقاف والوقفية أن ما يوقف ويثبت وقفيته الآن يجب أن يمر على أنظمة الأوقاف، وأن يوضع له شروط لذلك، وأن ينبه الجميع إلى أنه لن ينظر منذ اليوم وصاعداً إلى أي وقفية تكتب بين الواقف ونفسه ما لم تدون وتثبت حتى وإن كانت خاصة.

فالخاصة تشترط الدولة على الواقف أن يضع شرطاً في الوقفية بإلزام الورثة الاقتطاع من ريع الوقف بنسبة معينة تشرف عليها الأوقاف وتحتفظ بها لإصلاح الوقف واستثماره وتحسينه، فإن قام الورثة بذلك أُعيد لهم ما اقتطع من ريع الوقف، وإلا صرف من الأوقاف لأي مقاول رست عليه مناقصة ترميم واستصلاح الوقف وما شابه ذلك.

أما الأوقاف الخيرية فتقوم إدارة الأوقاف بجمع ريعها وصرفه على مستحقيه من الموقوف عليهم من الفقراء والمساكين والمجاهدين وغيرهم حسب شرط الواقف بعد القيام نيابة عن الواقف بالإصلاح اللازم مثل الوقف الخاص.

أما الأوقاف القديمة فأرى أن تقوم الدولة المعنية بنزع ملكية الأوقاف المهملة والتعويض بأوقاف نشطة بدلاً منها أي من دون نقد ومثال ذلك أن تكون هناك أرض في وسط المدينة مهملة موقوفة، فتؤخذ للدولة، فإما أن تبيعها للمواطنين أو تستثمرها مثل إنشاء المكاتب الحكومية عليها، أو المدارس أو ما شابه ذلك ويعوض الوقف بمبانٍ جاهزة للاستثمار خارج مركز المدينة تكون ملكاً للدولة أو تقوم الدولة بشرائها لصالح الوقف، وهكذا، وبهذا نحيي الأوقاف الميتة ونعين على زيادة فرص الاستثمار وإنعاش الاقتصاد، ويعين ذلك على بناء الوطن من جديد كما يسهم في تجميل مدننا وقرانا وفي بناء دولة حديثة.

أما ما نعانيه الآن فنجد أن مراكز المدن خالية، بينما الخدمات مبعثرة هنا وهناك، وهذا نزيف اقتصادي، ونزيف جهد للمواطن لعدم الوصول إلى الخدمات، فالأحرى أن تكون هناك مركزية تخدم أكبر عدد ممكن من المواطنين وبهذا نسهل خدماتهم ونوفر أثمان تلك الخدمات من التوسع فيما بعد خارج المدن حسب التوسع في الإسكان.

هذه رؤوس أقلام حول موضوع الوقفية وأترك البحث للباحثين وفقهم الله.

المهندس محمد أحمد بساطي. المدينة المنورة

تعقيب

نتابع عن كثب مجلتكم الغراء ونحمد لها دورها الطيب في خدمة الإسلام والمسلمين، وقد تابعنا ما كتبه الأستاذ محمد القاضي في العدد ٤١٣ محرم ١٤٢١هـ - أبريل/ مايو ٢٠٠٠م. تحت عنوان: «نحو موسوعة عربية خالصة». وبخصوص ما ذكره حول صناعة الموسوعات في العالم العربي، وباعتباري أحد المشاركين في حمل هموم هذه الصناعة فإنني أود أن أتناول الموضوع من زاوية أخرى... وهي أن صناعة الموسوعات في العالم العربي تعتبر من الصناعات الثقيلة التي تحتاج لوقت ممتد وجهد كبيرين وإمكانات مالية عالية... إن هذه الصناعة تحتاج إلى تكاتف الجهود بشكل غير مسبوق، كما تحتاج إلى دعم وتأييد من كل الجهات أو من الأشخاص الذين يشاركون في الاهتمام بهذا الموضوع. إنني أعتقد أن النفع والفائدة اللتين ستعودان على المجتمع من خلال إصدار هذه الأعمال لا تقدر بثمن، ولهذا فإنني أرجو أن تكون مجلتكم دعوة لكل جهة رسمية أو شعبية أو للشخصيات ذات الثقل التي تهتم بالمشروع الثقافي وتعمل على تدعيمه... بل أكثر من هذا رجال الأعمال الذين يدركون أن دورهم في المجتمع له أبعاده الاجتماعية وأن لهم دوراً في دعم الحركة الثقافية الجادة.

د. محمد عبداللطيف - الكويت

رسائل خاصة

● **القارئ بلال عبدالقادر حشاني - مكة المكرمة:**
شكراً على ملاحظتك ونرجو ألا تقع مثل هذه الأخطاء المطبعية مستقبلاً وجزاكم الله كل خير.

● **القارئ سعيد بن عبدالله بن حمد الراشدي - سلطنة عمان:**
الكتاب طُبع ووزع مجاناً على نفقة أهل الخير وبإمكانكم الاتصال بالمؤلف الشيخ ياسر قضماني على هاتفه في الكويت ٤٧٦٤٦٤٧ لمعرفة كيفية الحصول على نسخة من الكتاب.

● **القارئ درماني إسماعيل - توجو:**
يمكنكم مخاطبة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - إدارة الثقافة الإسلامية لمعرفة كيفية الحصول على الكتب التي تود الحصول عليها وجزاكم الله كل خير.

● **القارئ برهان الدين بن حسين - إندونيسيا:**
نحن مؤسسة فكرية ثقافية تتبع وزارة الأوقاف ولا علاقة لها ألبتة بما تطلبونه، يمكنكم مراسلة جهات أخرى وشكراً لكم.

برعاية كريمة من سمو أمير البلاد

افتتاح المبنى الجديد للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية

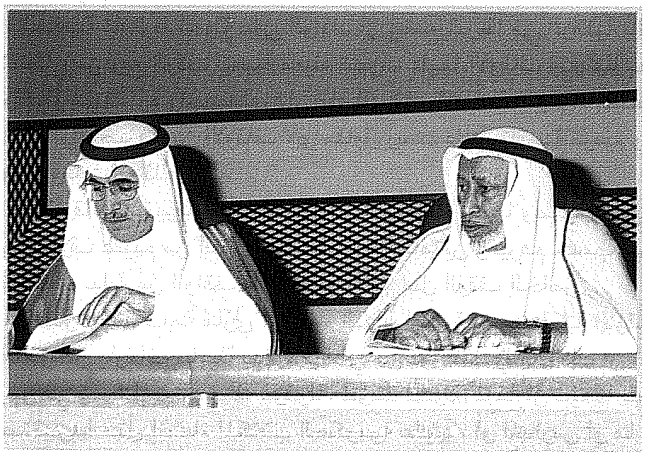

كتب : تمام أحمد

بحضور أكثر من مئة وخمسين شخصية إسلامية من علماء الأمة ومفكريها، جاؤوا من داخل وخارج الكويت، شمل سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمدالصباح برعايته الكريمة يوم ٦ صفر ١٤٢١ الموافق ٢٠٠٠/٥/١٠م، افتتاح المبنى الجديد للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية في منطقة المدائن جنوب السرة، ليكون صرحاً جديداً من صروح الخير ومنارة إشعاع وعطاء خيري يشع نورها في أقطار العالم الإسلامي كافة، وفي مناطق الأقليات المسلمة خصوصاً، والهيئة تمد يدها بالتعاون والتنسيق إلى المؤسسات والهيئات الإغاثية الإسلامية والعالمية من أجل تحقيق خططها وأهدافها الإنسانية النبيلة.

رسالة إلى المجتمعات الإنسانية

وقد افتتح وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية د. سعد الهاشل المبنى نيابة عن سمو أمير البلاد. فقال في حفل الافتتاح الذي حضره عدد من الوزراء والنواب والأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي «الأستاذ عزالدين العراقي»، ورموز العمل الخيري: إن افتتاح المبنى الجديد سيكون - للعالم بإذن الله وعونه - مركزاً للإشعاع الفكري والديني، ومنارة للعمل الخيري، يشع نورها على العالم أجمع ورسالة توجهها الكويت إلى المجتمعات الإنسانية بأن يطمئنوا إلى قيام صرح ثابت على أرضها للإغاثة العاجلة ومساعدة المنكوبين، وهو بكل المعايير مؤسسة متكاملة تقوم بإنجاز أعمال الخير بطريقة تتسم بسعة الأفق وبعد البصر والبصيرة، وتواكب تطورات العصر في إطار من احترام النظم والقوانين والتعاون مع الدول والأنظمة المختلفة لتحقيق هدف أسمى هو رفع راية الدعوة الإسلامية ورعاية مصالح المسلمين.

وأضاف: لقد كان إنشاء هيئتكم الخيرية بالقانون رقم ٦٤ لسنة ١٩٨٦م نتيجة لجهود رجال مخلصين نذروا أنفسهم للبذل والإيثار استمراراً وتواصلاً مع ما جبل عليه المجتمع الكويتي منذ نشأته الأولى من حب

جانب من الحضور

للخير والتكافل والتآخي والتآزر، وأردف الدكتور الهاشل قائلاً: يجدر بنا في هذا المقام أن نذكر أننا نعيش اليوم عالماً صغيراً مختلفاً تربطه وسائل اتصالات حديثة، وتحكم أدوات العمل فيه نظم تقنية متطورة، الأمر الذي يقتضي منا إعادة النظر في أساليب العمل، وفي مناهج بناء الإنسان المسلم لتلائم مستجدات العصر ومتغيراته، بما يتفق وتعاليم ديننا الإسلامي الحنيف وتقاليد مجتمعاتنا الأصيلة، وتوجه في ختام كلمته بالشكر والتقدير لكل من أسهم في إنشاء هذا الصرح الشامخ، ولجميع الشخصيات والجهات التي تشارك أو تسهم في الأنشطة المثمرة للهيئة، ودعا الله سبحانه وتعالى أن يبارك عمل الهيئة، وأن يديم الخير والأمن والازدهار على كويت العطاء والأمل، في ظل القيادة الحكيمة لحضرة صاحب السمو أمير البلاد، وسمو ولي عهده الأمين.

تفعيل العمل الخيري

ثم ألقى يوسف جاسم الحجي رئيس الهيئة كلمة دعا فيها العاملين في مجال العمل الخيري إلى تفعيل دورهم لنصرة الإسلام والمسلمين والمساهمة في تخفيف أثر النكبات بأنواعها التي تصيب هذا العالم الذي أصبح يعج بالكوارث الطبيعية والحروب المدمرة، ووجه الحجي أسمى آيات الشكر إلى حضرة صاحب السمو أمير البلاد وولي عهده الأمين والحكومة الكويتية الموقرة والشعب الكويتي الوفي الكريم ولكل الخيِّرين من أهل البذل والعطاء والداعمين لهذه الهيئة من مختلف بلدان العالم الذين أثمرت جهودهم في إنشاء هذه الهيئة التي أصبحت بفضل الله عز وجل واحدة من القلاع الخيرية الحصينة التي تسهم في إنقاذ المسلمين من الكوارث والجهل والفقر والبطالة والمرض.

د. القرضاوي: المسلمون أولى بالعمل الخيري من غيرهم لأن ديننا دين بذل وعطاء

وأضاف الحجي: أن الهيئة إذ تحتفل اليوم بافتتاح مبناها الرئيسي على أرض منحتها الحكومة إياها، مشكورة لتحمد الله تبارك وتعالى على أنه أتم نعمته فأصبح الحلم واقعاً، وذكر أن هذا المبنى يعتبر صرحاً كويتياً خيرياً، وأنه سيحقق بإذن الله الفرصة من أجل مواصلة أدوارنا الخيرية في شتى أرجاء المعمورة ومختلف مناطق الأقليات المسلمة والإنسانية جمعاء دون تمييز وبعيداً عن التفرقة ومن أجل تبليغ دعوة الإسلام القويم وتقديم المساعدات وإنماء المشروعات الإنتاجية بما يحقق مصالح المسلمين وآمالهم وطموحاتهم المشروعة في العيش بسلام وأمن ورخاء وتنمية شاملة تحقق لهم العلو الحضاري والنهوض العلمي وتحافظ على هويتهم وكيانهم الإسلامي... وطالب الحجي في ختام كلمته بترسيخ مبدأ العمل الخيري المؤسسي والارتقاء بالعمل التطوعي وتنظيمه ضمن الأساليب الحديثة، باستعمال التكنولوجيا والاتصالات الحديثة، ومد الجسور مع المنظمات والهيئات الرسمية والشعبية.

د. الهاشل: يجب إعادة النظر في أساليب العمل وفي مناهج بناء الإنسان المسلم

تخطيط تكاملي منسق

من جانب آخر، ألقى الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي عزالدين العراقي كلمة أكد فيها أن الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، برهنت رغم صغر سنها وحداثة إنشائها على كفاءتها وقدرتها على الارتقاء بالعمل الخيري، مشيراً إلى أن ذلك لم يكن ليتحقق لولا الإيمان بالله والعطاء اللامحدود الذي تقدمه الهيئة للعمل الإسلامي على الأصعدة كافة، كما أن المبنى الجديد يشير إلى أن الهيئة لا تقتصر على العمل الآني وإنما تنطلق من استراتيجية شاملة وتخطيط متكامل للعمل الخيري المستقبلي المؤسسي المنظَّم، وأشاد العراقي بجهود الكويت في مساندة جهود منظمة المؤتمر الإسلامي ودعمها مادياً ومعنوياً منذ نشأتها وحتى الآن، كما أشاد بجهود الهيئة وتعاونها مع المنظمات والهيئات

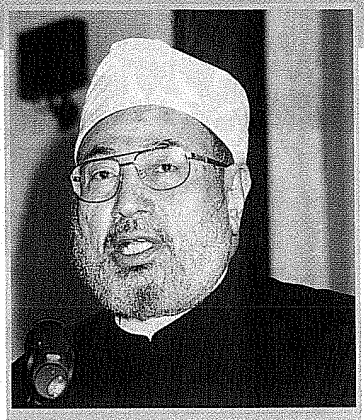
● د. يوسف القرضاوي

● د. عز الدين الفراتي

الخيرية التطوعية الأخرى والمشابهة لدعم الجهود التنسيقية المحلية والإقليمية والعالمية.

حلم أصبح حقيقة

بعد ذلك ألقى فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي كلمة شدد فيها على ضرورة اضطلاع العمل الخيري بمهمة توحيد الجهود الإسلامية وجمع الصفوف خصوصاً وأن المنظمات الكنسية رصدت أكثر من بليون دولار لتحويل المسلمين عن دينهم، وتساءل: لماذا لا نرصد نحن الأموال لنحافظ على كياننا من هذا الغزو المنظَّم، ثم استعرض الدكتور القرضاوي فكرة إنشاء الهيئة قبل عشرين عاماً، عندما حضر مؤتمراً اقتصادياً في الكويت، وناقش مع عدد من المهتمين بشؤون الدعوة كيفية مواجهة حملات التطاول على الإسلام، ومن هنا ظهرت فكرة إنشاء هيئة خيرية إسلامية عالمية تحتضنها الكويت بلد الخير والعطاء حيث تقوم بمهمة الدفاع عن الإسلام والمسلمين، وهكذا قامت هذه الهيئة بالجهود الخيرة والعزائم الصادقة، والنيات المخلصة، وأصبح هذا الصرح الخيري حقيقة بعد أن كان حلماً، وأشار الدكتور القرضاوي إلى حقيقة مهمة وهي أن العاملين على الساحة الإسلامية انشغلوا بالعمل السياسي وتركوا غيره من الأعمال حتى غزاهم العمل الخيري من الخارج على الرغم من أن الإسلام هو الدين الأكثر اهتماماً ودعوة إلى العمل الخيري والإغاثي بكل أشكاله وتمنى الشيخ القرضاوي في ختام كلمته أن تتحقق الغاية من إنشاء الهيئة وهي جمع ألف مليون دولار من أجل إنقاذ المسلمين من الفقر والمحن والجهل والتشرد.

الحجي: ترسيخ مبدأ العمل الخيري المؤسسي والارتقاء بالعمل التطوعي

انعقاد اجتماع الجمعية العمومية السابع

هذا، وبعد الانتهاء من حفل افتتاح مبنى الهيئة، انعقد اجتماع الجمعية العمومية السابع خلال الفترة من ٦ ـ ٧ صفر ١٤٢١هـ الموافق ١٠ـ ١١ مايو ٢٠٠٠م، حيث ناقشت الجمعية العمومية الموضوعات المدرجة على جدول أعمالها، واعتمدت الحسابات الختامية للفترة المنتهية، وخطة العمل والميزانية التقديرية لعامي ١٤٢١ ـ ١٤٢٢هـ، وأقرت تعيين مراقب حسابات، وأشادت بما تم من إنشاء المبنى الجديد، كما وجه أعضاء الجمعية العامة الشكر لكل من أسهم في إنشاء مبنى الهيئة الجديد وعلى رأسهم حضرة صاحب السمو أمير البلاد، وسمو ولي عهده الأمين، ورئيس مجلس الوزراء والحكومة الرشيدة والشعب الكويتي الكريم، وجمهور المتبرعين داخل وخارج الكويت.

كما استعرض الأعضاء القضايا المتعلقة بأحوال المسلمين في أفريقيا وآسيا وأوروبا، وأوساط الأقليات المسلمة وما تعانيه كثير من الشعوب الإسلامية من مشاكل مختلفة، وما نتج من ذلك زيادة في أعداد اللاجئين والمهجَّرين والمنكوبين، كما أشاد الأعضاء بمناقب سماحة العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ وسماحة الشيخ أبي الحسن الندوي، وسائر العلماء الذين توفوا أخيراً لسيرتهم العطرة، وموروثهم الدعوي والفكري ومؤلفاتهم القيمة، سائلين المولى لهم الرحمة والغفران ■

توصيات المؤتمر

من جانبه، أوضح السيد رئيس الهيئة في ختام اجتماع الجمعية العمومية السابع أن الجمعية العامة للهيئة أصدرت جملة من التوصيات منها:

- التأكيد على ضرورة وضع التعليم والتدريب في الدول الفقيرة والمشروعات الإنتاجية ضمن أوليات الهيئة لتمكين الفقراء ومساعدتهم في التحول إلى عناصر إنتاج تعتمد على نفسها وتشارك في تنمية مجتمعاتها.
- الاهتمام بدائرة التواصل من خلال نظم الاتصال الحديثة المختلفة والاستفادة من التكنولوجيا في تحقيق الأهداف الخيرة المنشودة.
- مطالبة أصحاب القرار في الأمم المتحدة العمل على إيقاف إراقة الدماء في مناطق كثيرة من العالم ومعالجتها بالطرق السلمية.
- مناشدة الأمم المتحدة والمنظمات الدولية نصرة لبنان وكشمير والقدس والشيشان.
- مناشدة المنظمات الخيرية والإنسانية تقديم العون لمناطق القرن الأفريقي التي تعاني حالياً من المجاعة والقحط والجفاف.
- أقر المجتمعون توجيه نداء إلى المسؤولين في السودان لرأب الصدع وتجنيب السودان الفتنة التي تضر بالبلاد والعباد.
- قرر الأعضاء إرسال برقية شكر وتقدير لحضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح على ما قدمته الكويت دعماً للهيئة وما غمروهم من حسن الاستقبال والضيافة

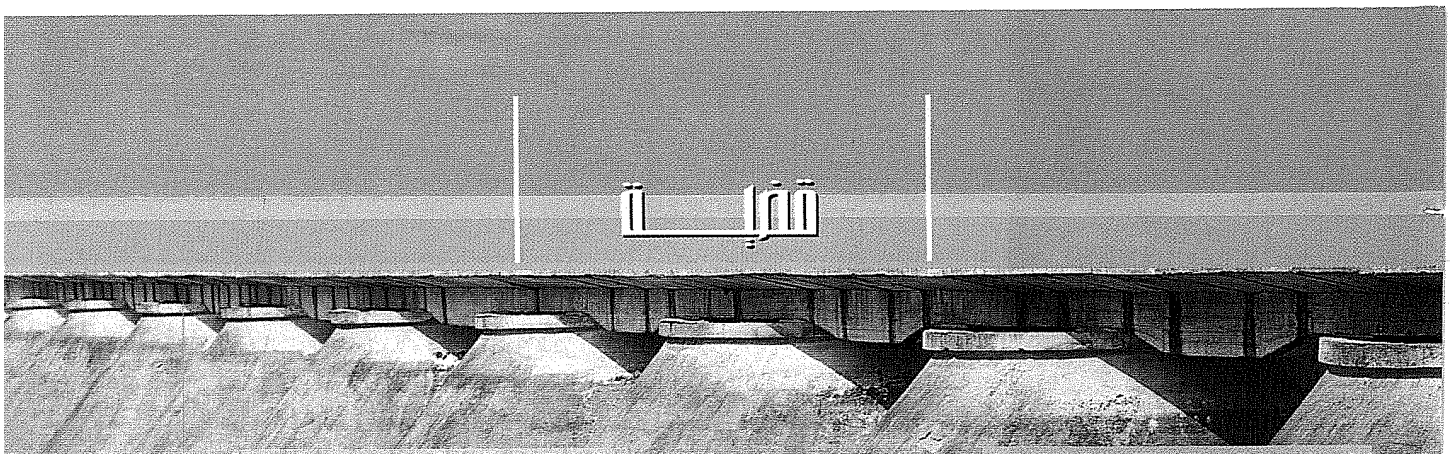

احتضنت بالعاصمة الهولندية لاهاي يوم ٢٢ مارس العام ٢٠٠٠م المؤتمر العالمي للماء، دون تمكن المؤتمرين من التوصل إلى قرارات حاسمة تبلور استراتيجية عالمية للحفاظ على المادة الأكثر حيوية للكائنات الحية على وجه البسيطة «الماء»، ودون الاتفاق على الاختيارات الممكنة لتجاوز الوضع الحرج، وقلب مجرى الأمور لصالح الإنسان.

وقد أثار المؤتمر المنعقد لمناسبة تخليد اليوم العالمي للماء على مدى ستة أيام «من ١٧ مارس إلى ٢٢ منه» إشكالية الوضعية الحرجة التي بلغها الوضع العالمي للمياه، وذلك على ضوء الأرقام الشاهدة على ذلك وذكر ما يلي:

بقلم: محمد لشيب

على هامش مؤتمر الماء العالمي في لاهاي:

حرب المياه
هل يشعل الكيان الصهيوني فتيلها؟

الحرب المقبلة

وارتباطاً بهذا المعطى الأخير، فقد أصبحت الأمور المستقبلية التي يكاد يجمع عليها أكثر المتخصصين والمحللين أن الحرب المقبلة ستكون بسبب المياه، وبخاصة في منطقة الشرق الأوسط.

وليس غريباً أن يكون المسؤولون الإسرائيليون أكثر من يفهمون هذه الخلاصة ويدافعون عن هذا الطرح، وهنا يرد التأكيد على دور الإسرائيليين في إشعال فتيل هذه الحرب.

ففي محاضرة له في غشت ١٩٩١ بجامعة حيفا، تحدث البروفيسور الصهيوني «أرثون سوفيير» فقال: إن عقد التسعينيات سيشهد تفجيراً لحروب كثيرة بين دول الشرق الأوسط بسبب نقص المياه وستكون إسرائيل أحد الأطراف في هذه الحروب، وأن استهلاكها للمياه سيزداد.

وإذا كانت احتمالات قيام الحرب «المائية» مرتبطة بالمعطيات المناخية والطبيعية «أي ندرة المياه، انحباس الأمطار، ضعف المخزون المائي...) فإنها تتأسس كذلك على الكثير من المعطيات والوقائع السياسية، ولعل التصرفات المشبوهة التي يقدم عليها الكيان الصهيوني بين الفينة والأخرى، يعد من أبرز المؤشرات الدالة على ذلك، وليس آخرها قيام وزارة البنى التحتية لدولة العدو الصهيوني على تخفيض حصة الدول العربية المجاورة من مياه نهر اليرموك.

سرقة واغتصاب

ومنذ قيام إسرائيل على الأراضي الفلسطينية السليبة، دأبت دويلة الكيان

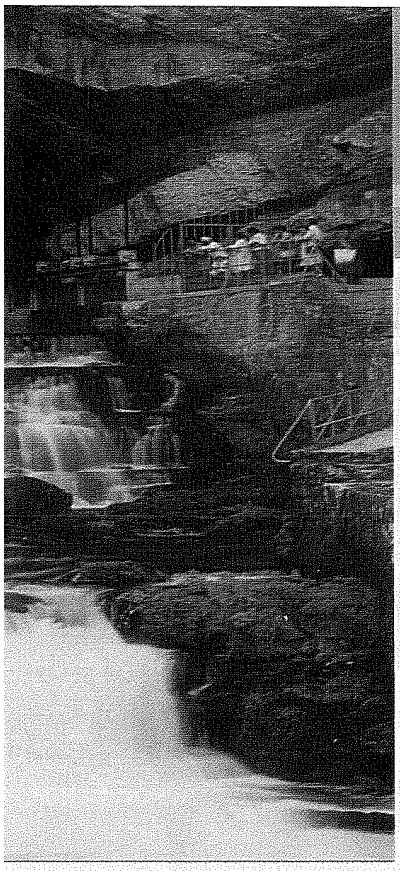

وجعلنا كل شيء

بقلم : محمد مرزان مراد

الماء مادة الحياة وسيد الشراب وقد جعل الله منه كل شيء حي. يتكون جسم الإنسان من نسبة عالية من الماء فوزن الجسم يحتوي على نحو ٦٠٪ من وزنه ماء، ودم الإنسان يحتوي على ٨٠٪ من وزنه ماء، وعظام الإنسان تحتوي على ٢٠٪ من وزنها ماء، وعضلاته تحتوي على ٨٠٪ من وزنها ماء، ودماغ الإنسان يحتوي على ٨٥٪ من وزنه ماء. والإنسان منذ بدء خلقه حتى ظهوره إلى الدنيا يكون في وسط الماء. ويتراوح ما يدخل جسم الإنسان من الماء يومياً من لترين إلى

شخص من كل خمسة أفراد من أصل (١,٢ مليار شخص في العالم) محروم من الماء

الصهيوني على شن حروب عدة هدفها الأساسي الاستيلاء على أكبر قدر ممكن من الموارد المائية العربية، ففي حرب ١٩٤٨م، وضع الصهاينة أيديهم على كل الموارد المائية في الداخل الفلسطيني، أما في حرب ١٩٦٧م فقد تمكنت إسرائيل من إحكام سيطرتها على مرتفعات الجولان والضفة الغربية، ومن ثم التحكم في المنابع الأساسية لنهر الأردن والبحيرات الجوفية التي تغذيه، وكذلك مصب رافده الرئيس بالإضافة إلى السيطرة على الشاطئ الغربي لنهر الأردن والبحر الميت، إثر احتلال الأراضي الفلسطينية غرب النهر، وبحكم سيطرة العدو الصهيوني على بحيرة طبرية - التي يدخلها نهر الأردن من شمالها، ويخرج من جنوبها باتجاه البحر الميت - تمكنت الدولة العبرية من تحويل المياه التي تغذي الأردن كاملة إليها، وفي هذا الصدد يؤكد الدكتور محمد ظافر للعالم: «أن إسرائيل حوّلت نهر الأردن، ذا الأهمية التاريخية والدينية، إلى مجاري تصريف لمياه الاستعمال المنزلي، واستغلت مياهه في ري مزارع وادي النجف وساحلها الشرقي وحولت إلى مجراه مياهاً غير صالحة للاستعمال» حيث يستعملها الأردنيون (ندى هاشم، مجلة العهد اللبنانية، عدد ١٠ أبريل ١٩٩٨م)، وعلى الرغم من التوصل إلى اتفاقية ثنائية حول المياه بين الأردن والكيان الصهيوني في إطار ما سُمي باتفاقية السلام بوادي عربة سنة ١٩٩٤م، إلا أن الأردن لم يستطع استرداد حصته المائية الضائعة من نهر الأردن، وسيضاف إليه بعد قرار وزارة البنى التحتية اليهودية تخفيض نسبة ٦٠٪.

أما لبنان الغني بموارده المائية مقارنة بباقي دول المنطقة، فيشكل نهر الليطاني أحد أهم المطامع الصيهونية فيه، والذي تركز عليه الاهتمام في أثناء الغزو الصهيوني للبنان صيف ١٩٨٢م، حيث تم العمل على جر مياه النهر من الوسط إلى الحدود الشمالية لفلسطين المحتلة، وأقيمت هناك بحيرة صناعية كبرى لاستيعاب ما تتيسر سرقته واغتصابه من مياه النهر الذي يتم تحويل مياهه بوساطة قناة طولها ١٠ كيلو مترات عند قلعة بوفرت إلى بحيرة طبرية حيث يوجد خزان إسرائيلي للمياه.

إسرائيل الكبرى... مائياً

ولا يقتصر التهديد والخطر الصهيوني على الموارد المائية العربية في فلسطين ونهر الأردن ومياه الجولان وجنوب لبنان، بل يتعداه ليشمل أهم مصادر المياه في الوطن العربي.

فمشروع الهيمنة الاستعماري «مشروع إسرائيل الكبرى» مرتبط بشكل وثيق بالمياه، كما يرمز ذلك علم دولة كيان العدو «نجمة سداسية بين خطين أزرقين» يرمزان إلى شعار إسرائيل الكبرى من النهر إلى البحر»، فمشروع إسرائيل المائي يقوم على تكوين أحلاف استراتيجية يمكنها من تأمين المصالح الحيوية الصهيونية في المنطقة، كالحلف الاستراتيجي الذي عقد مع تركيا والذي سيسهل لها فرصة التحكم في مياه نهري دجلة والفرات.

كما أن الأطماع الصهيونية امتدت إلى أطول أنهار العالم، نهر النيل، أساس الاقتصادين المصري والسوداني، وقد سعت إسرائيل في سبيل ذلك إلى إشعال فتيل النزاعات المسلحة في المنطقة والعمل على

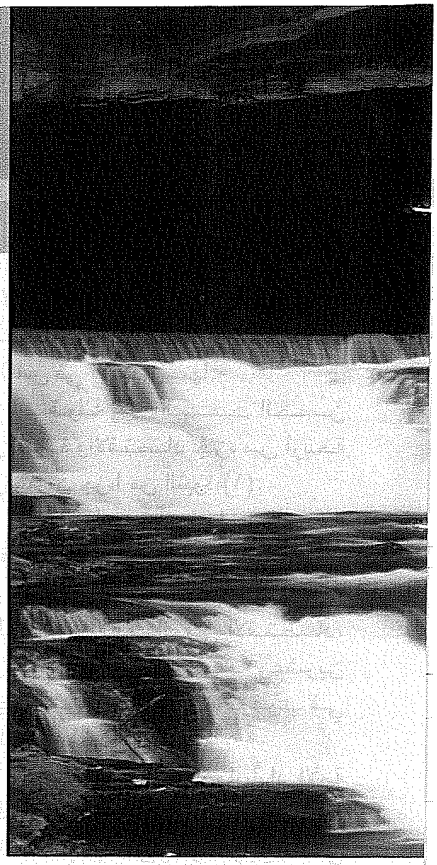

من الماء حي

خمسة لترات من خلال شرابه وطعامه وتنفسه ويحدد ذلك مقدار سنه ووزنه، ولا يستطيع الإنسان أن يعيش بلا ماء أكثر من أربعة أيام.

الماء في جسم الإنسان

يدخل إلى جسم الإنسان عن طريق الشراب ما مقداره ١٦٥٠سم٣، ويدخل عن طريق الطعام ما مقداره ٧٥٠سم٣، ويدخل عن طريق تنفسه ما مقداره ٣٥٠سم٣، فيصبح متوسط ما يدخل جسم الإنسان من الماء ٢٧٥٠سم٣.

ويخرج من جسم الإنسان من الماء عن طريق البول ما يعادل ١٧٠٠سم٣، ومن البراز نحو ١٥٠سم٣، وعن طريق العرق نحو ٥٠٠سم٣، وعن طريق التنفس نحو ٤٠٠سم٣، فيصبح مجموع ما يخرج من جسمه نحو ٢٧٥٠سم٣ تعادل ما دخل إلى جسمه خلال الأربع والعشرين ساعة في حياته.

الماء في جسم الإنسان يوجد على شكلين: أحدهما خارج الأنسجة، وهو الجزء الأكثر، ويشمل الدم والنخاع الشوكي وكل الإفرازات التي تخرج من الجسم مثل البول والبراز والعصارة المعوية والبنكرياس.

والجزء الثاني وهو الأقل يوجد داخل الأنسجة وهي السوائل المحيطة بالخلايا.

وظائف الماء وفوائده

تتمثل وظائف الماء في جسم الإنسان كما يلي:

١ ـ يقوم الماء بنقل كل عناصر الغذاء داخل الجسم من عضو لآخر.

٢ ـ يسهل عملية الهضم والامتصاص والإخراج.

٣ ـ يحافظ على مستوى الضغط داخل وخارج خلايا الجسم كما يقوم بعمل التوازن داخل الجسم.

٤ ـ يقوم بالمحافظة على ثبات حرارة الجسم عند حدها الطبيعي.

٥ ـ يقوم الماء بإخراج المواد السامة والضارة من الجسم عن طريق الكليتين.

٦ ـ يقوم بدور المليِّن للمواد الغذائية الجافة داخل المعدة والأمعاء، ويسهل عملية المضغ «اللعاب» والابتلاع.

٧ ـ يعتبر الماء عنصراً مهماً لبناء الخلايا ويساعد على سرعة التئام الأنسجة عند إصابتها بالجروح أو الأمراض.

توجيهات الطب

يقول الطبيب العربي أبو بكر الرازي: الماء هو مركب الغذاء وموصل الغذاء إلى الأعضاء، والإقلال منه يوهن الجسد ويجفف البدن ويضعف جميع الشهوات، كما أنه يضعف البصر ويسرع بالهرم والذبول، والإفراط فيه يرهِّل الجسم ويورث النسيان والرعشة وتُدفع مضرة الماء بالقيء حتى يخرج.

ويقول بعض أطباء التغذية: إن شرب جرعة من الماء كل نصف ساعة يفيد المصابين بالالتهابات المعوية، وأصحاب الأجسام كثيرة الإفراز بالعرق. وتغطيس الجسم في حوض به ماء دافئ «٥٠ درجة مئوية» يساعد في علاج المفاصل والكلى المصابة بالمرض والكبد والتهاب القصبات.

وينصح الأطباء بعدم شرب الماء في أثناء تناول الطعام إلا بنسب قليلة تساعد على تسهيل بلع الطعام، وأنسب الأوقات لشرب الماء هو قبل أكل الطعام بساعتين أو بعده بساعتين وهو الأنسب.

لعلاج الزكام والصداع ونوبات الربو، ينصح بغطس الأقدام في إناء به ماء حار «يمكن تحمله» لمدة تتراوح بين ساعة ونصف الساعة.

أما أحسن أنواع الماء المفيد للجسم شرباً، فهو المحتوي على الأملاح المعدنية اللازمة، والغازات المفيدة، والماء الذي يتوافق والمواصفات والمقاييس العالمية للماء الصحي، ويعتقد كثير من الناس أن كثرة شرب الماء تؤدي إلى السمنة، وهذا الاعتقاد خاطئ لأن الماء قليل السعرات الحرارية ولا يتحول إلى دهون تسبب السمنة.

أنسب الأوقات لشرب الماء هو قبل أكل الطعام بساعتين أو بعده بساعتين

إن شرب المياه الباردة «كما يقول أبو بكر الرازي»: من شأنه أن يمنع التهاب القلب والمعدة وعفن الدم في العروق، ويجوِّد الهضم، ويحسن لون البشرة ويحمِّرها ويزيد من شهوة الطعام، لذا نجد أن أكثر الناس الذين يشربون الماء الحار، صفر الوجوه نحفاء الأبدان، متورمو الأبدان، ضعفاء الشهوة للطعام، ونجد شاربي الماء البارد حمر الألوان، خصبي الأبدان، قويي الأكباد والمعدة.

وأخيراً، فإن شرب كأس واحد من الماء البارد بعد النهوض من النوم صباحاً «على الريق» يفيد في تنبيه الأمعاء الكسولة ويكافح الإمساك، وينصح بعدم شرب أكثر من كأس واحدة ■

إن الاستهلاك كقيمة أخلاقية يعتبر من أهم القضايا التي عالجها الإسلام، وقد نهج في ذلك منهجا تربويا يقوم على أساس الاعتدال. ويؤطر سلوك المسلم في الالتزام بالوسطية دون تقتير أو إسراف، (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما). الفرقان: ٦٧.

ارتباط العقلية الاستهلاكية في الإسلام بالنسق التربوي للاستهلاك

اهتمت الشريعة الإسلامية بالاستهلاك في أبعاده التربوية، وجعلت من أهداف هذه التربية إعادة صياغة وتشكيل العقلية الاستهلاكية للمسلم حتى يصير ذلك سلوكا له. وتتأسس جوانب هذا النسق التربوي على أساس:

الدعوة إلى الاعتدال في الاستهلاك فلا تقتير ولا بخل ولا تضييق ولا إسراف، ولا تبذير (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوما). الفرقان: ٦٧. وهذا ثناء من الله على الملتزمين بالاعتدال في حياتهم الاقتصادية، بل إنه جعل الاعتدال من صفات عباد الرحمن الذين يجزون الجنة، وهذا الثناء الجميل يجعل المسلم يرغب في هذا التكريم الإلهي.

فالسلوك الاستهلاكي للمسلم لا يقترن بإسراف أو تبذير (ولا تبذر تبذيرا. إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا). الاسراء:٢٦-٢٧. وهو نهي يقرن المبذرين بأخوة الشياطين، وترهيب من التشبه بهم في هذا الفعل، وقد جعلت الشريعة الإسلامية للإنفاق الاستهلاكي حدودا عليا لا ينبغي أن يتجاوزها، ووردت آثار عدة ترغب الناس في الاعتدال منها:

أ - قوله ﷺ «السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة»(١).

ب - قوله ﷺ «ما عال من اقتصد»(٢).

فهذه التوجيهات النبوية ترشد الأمة إلى آثار الاعتدال في الاقتصاد، واعتبر ذلك جزءا من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة، فهو ترغيب في التخلق بأخلاق الأنبياء.

ولم يكتف النبي ﷺ بإرشاد الأمة إلى وجوب الاعتدال، بل كان يتعاهد الصحابة بالتربية والتوجيه حتى يصبح ذلك سلوكا لهم في حياتهم الدينية والدنيوية، فعن عبدالله بن عمر قال: «مر رسول الله ﷺ بسعد وهو يتوضأ قال ما هذا السرف يا سعد؟ فقال أو في الوضوء سرف؟ قال: «نعم وإن كنت على نهر جار»(٣).

فهذا التوجيه النبوي الشريف يشير إلى وجوب محاربة الإسراف ولو في المباح حتى لا تبدد الموارد في غير منفعة، كما ربط النبي ﷺ بين السلوك الاستهلاكي وبين الرغبات النفسية، واعتبر الاستجابة لكل رغبة تتحرك داخل النفس الإنسانية من السرف، «إن من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت»(٤). ورسم السلوك الذي ينبغي أن ينهجه المسلم «كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا

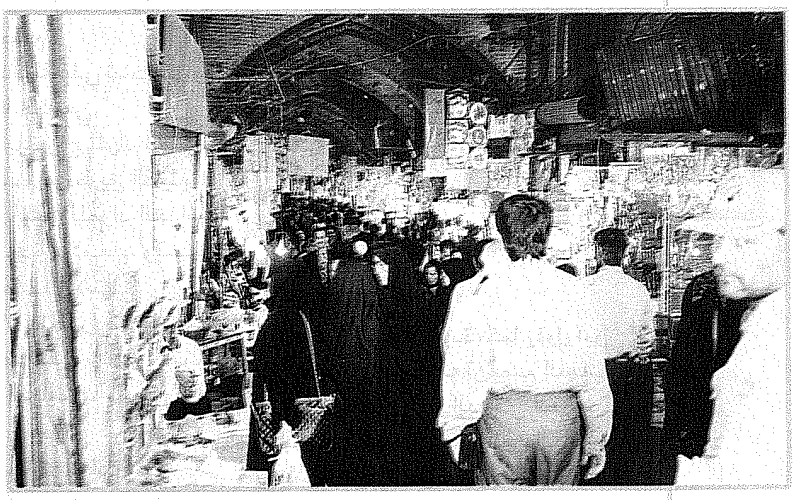

بقلم: د. عبدالله معصر

مقاصد التربية الاستهلاكية في الإسلام وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية

مخيلة»(٥).

فهذه التوجيهات النبوية الشريفة تتغيا تربية الفرد والمجتمع المسلم تربية متوازنة معتدلة حتى تترسخ هذه القيم فيه، ويطبع على السلوك، فيصير الاعتدال له عادة، ولذلك حارب النبي ﷺ بعض المظاهر الترفية، وحذر من التعود عليها والركون إليها، فعن معاذ ابن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له لما بعثه إلى اليمن «إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين»(٦).

فالتنعم - وهو قمة الإغراق في الترف - ينافي العبودية لله، ولذلك أخرج النبي ﷺ المتنعمين من زمرة عباد الله، فهي تربية نفسية وخلقية ترشد الفرد المسلم إلى عدم التوسع في المآكل والمشارب والملابس... ومراعاة القصد والاعتدال، وقد بين النبي ﷺ آفة التعود على الحياة في ظل التنعم والترف «شرار أمتي الذين ولدوا في النعيم وغذوا به، يأكلون من الطعام ألوانا، ويلبسون من الثياب ألوانا، ويركبون من الدواب ألوانا ...»(٧).

وإنما اعتبرهم النبي ﷺ شرار الأمة لأن سلوك التنعم تمكن منهم، فلا يمكنهم الصبر عنه، لأن من عوَّد نفسه على الانهماك في الطيبات المباحة مالت إلى ملاذ الدنيا(٨).

«فلم يؤمن أن يرتبك في الشهوات والملاذ كلما أجاب نفسه إلى واحدة منها دعته إلى غيرها، فيصير إلى أن لا يمكنه عصيان هوى نفسه»(٩).

وقد حرَّك الإسلام الكثير من مظاهر الترف تربية للأمة أن تجنح بنفسها نحو هذا السلوك ومن ذلك:

١- تحريم الشرب والأكل في أوان من الذهب والفضة، فقد روى الشيخان عن أم سلمة عن النبي ﷺ قال: «الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم»(١٠).

فعن علي بن أبي طالب قال: إن نبي الله ﷺ أخذ حريرا فجعله في يمينه وأخذ ذهبا فجعله في شماله، ثم قال: «إن هذين حرام على ذكور أمتي»(١١).

فهذه النواهي تحارب هذه العادات الفاسدة، فهي تربي المسلم على ترسيخ مبادىء الدين في نفسه ووجدانه، وهي تربط بين اختياراته الدنيوية والأخروية، ولاشك أن المسلم الملتزم سيختار ترجيح المصالح الأخروية على المصالح الدنيوية حتى لا يعود على مبادئه واختياراته والتزاماته الأخلاقية بالإبطال.

ويترتب على التربية على هذا المنهج المعتدل أن المسلم يستهلك الطيبات ويتمتع بها مأكلا ومشربا وزينة دون الاقتراب من المحرمات أو تحريم الطيبات (يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله). البقرة: ١٧٢. (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين. قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق). الأعراف: ٣١، ٣٣.

فهذه التوجيهات القرآنية ترشد المسلم إلى النيل من الطيبات في مستوياتها، بل إن هذا التمتع هو نوع من الشكر لله على نعمه، ولهذا أنكر النبي ﷺ على الرجل الذي جاء إليه وعليه ثوب دون، قال ألك مال؟ قال نعم، قال: من أي المال؟ قال قد أتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق، من كل المال أعطاني الله، قال: «فإذا آتاك الله مالاً فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته»(١٢).

والإسلام حين دعا إلى التمتع بالطيبات ربط ذلك بتحقيق التعبد لله، فالتألق في الملبس ليس مذموما ما لم يصاحبه استعلاء وتكبُّر واحتقار للناس، فقد قال ﷺ «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: يا رسول الله: إني ليعجبني أن يكون ثوبي جديدا، ورأسي دهينا، وشراك نعلي جديدا، حتى ذكر علاَّقة سوطه فقال ﷺ: «ذاك جمال، والله جميل يحب الجمال ولكن الكبر من بطر الحق وازدرى الناس»(١٣).

وإذا كان الإسلام قد رغب في التمتع بطيبات الحياة من دون إسراف، فإنه ذم التقتير والتضييق في المعيشة على النفس والأهل والعيال.

والتقتير هو الامتناع من الإنفاق في ما يجب، وفيه نوع من التضييق فيما لا بد منه ولا مدفع له من أقوات الأهل ومصالح العيال(١٤)، وسببه البخل والشح.

الإسراف في الاستهلاك سبب في توسيع الهوة بين الفقراء والأغنياء

وقد اعتبر الإسلام الشح إحدى المهلكات التي تقطع وشائج القربى بين الناس «إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا»(١٥).

فآثار البخل وانعكاساته الاجتماعية والاقتصادية لا تقتصر على صاحبها، بل تمتد هذه الآثار إلى المجتمع الذي يعيش فيه، فهو يسهم في الامتناع عن تمويل استهلاك مجموعة من أفراد المجتمع، سواء كانوا ذوي قربى أو يتامى أو مساكين، وهذا يؤدي إلى نقص الميل إلى الاستهلاك، وبذلك يحرم المجتمع من التنمية الاقتصادية ومن التكافل الاجتماعي، ولهذا اعتبر النبي ﷺ التقتير على الأهل في معيشتهم إثما «كفى بالرجل إثما أن يضيع من يقوت»(١٦).

فالمنهج المعتدل في الإسلام يقوم على أساس التمتع اعتبارا بحال المنفق ومستواه الاقتصادي (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها). الطلاق: ٧. ولذلك أباح الإسلام

للمرأة أن تأخذ من ماله بغير إذنه إذا ضيق في النفقة عليها وعلى عياله، على أن لا تتجاوز في ذلك حدود المعروف، ففي صحيح البخاري أن هند بنت عتبة - أم معاوية - قالت: يا رسول الله : إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»(١٧).

فهذه الإباحة تدل على تدخل الإسلام لإقرار منهج الاعتدال إذا وقع خلل في ميزان الإنفاق، بل إن الإسلام رغب في هذا الإنفاق واعتبره عبادة إذا حسنت النية، ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أثبت عليها حتى اللقمة تجعلها في امرأتك»(١٨).

التألق في الملبس ليس مذموما ما لم يصاحبه استعلاء وتكبُّر واحتقار للناس

إن الاعتدال في الاستهلاك من القيم الإسلامية التي تحكم سلوك المسلم، فلا تفريط ولا إفراط، ولا تقتير ولا تبذير.

وقد عالج الإسلام ظاهرة الإسراف والتبذير على مستويين:

المستوى الأول: ويتعلق بالكيفية التي يتم بها الإنفاق، فالإنفاق على المحرمات من الملاهي والشهوات المحرمة، يعتبر تبذيرا، (ولا تبذر تبذيرا. إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين. وكان الشيطان لربه كفورا). الإسراء: ٢٦-٢٧.

قال ابن مسعود: التبذير الإنفاق في غير حق، وقال قتادة: التبذير النفقة في معصية الله تعالى، وفي غير الحق، وفي الفساد(١٩).

فهذا البعد التربوي في الإنفاق يجعل المسلم يربأ بنفسه عن استهلاك المحرمات.

المستوى الثاني: ويتعلق بالكم، وهو أن ينفق الفرد على حاجته أكثر من دخله (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا). الإسراء: ٢٩.

فمن أنفق فوق طاقته وحاجته اعتبر ذلك من سوء تدبيره، يقول الدمشقي: «وأما سوء التدبير فإن لا يوزع نفقته في جميع حوائجه على التقسيط والإسراف حتى يصرف إلى كل باب منها قدر استحقاقه، فإنه متى لم يفعل ذلك وأسرف في واحد وقصر في آخر لم تتشاكل أموره، ولم تنظم أحواله ولم يشبه بعضها بعضا»(٢٠).

فالاعتدال في الاستهلاك هو حسن التقدير في النفقات احترازا من طرفي التقتير والإسراف، ولذلك قيل حسن التدبير مفتاح الرشد وباب السلامة الاقتصاد(٢١). فخروج الإنسان على منهج الاعتدال، وإسرافه في الاستهلاك حتى ولو أتى ذلك على دخله، مؤشر على وجود خلل في سلوكه الاستهلاكي، واهتزاز القيم الأخلاقية التي جاءت بها الشريعة، فسلوكه بعيد عن الالتزام بها، بل إنه يسعى وراء شهواته وملذاته «فكلما تجدد للإنسان دخل جدد له صرفا، إما للمباهاة والترفع على أمثاله، أو إفراطا في الشهوات، وانهماكا في الملذات، أو خوفا من سوء القالة والأحدوثة بتنقيص ما يقتضيه حاله، أو بإكراه مبغض لتلك النعمة عليه، أو لأن الحالات المتجددة في دخله يلزمها تجدد أمور في صرفه، فلايزال الشخص مملوكا غير قادر على المكارم»(٢٢).

الانعكاسات الاقتصادية والاجتماعية

إن ربط الاستهلاك بقيمه الأخلاقية، وأبعاده التربوية تترتب عليه آثار ونتائج تتجسد في قيم وأخلاق المجتمع المسلم، وهذه الأبعاد تتعدد وتتنوع منها ما له بعد تربوي، ومنها ما له بعد اقتصادي، ومنها ما له بعد اجتماعي.

البعد التربوي للاعتدال في الاستهلاك

يشكل الاعتدال القاعدة الأخلاقية التي تحكم سلوك المسلم فتجعله يقتصد في مطعمه ومشربه... ولا يلهث وراء شهواته، فهو يستهلك في إطار الحلال، ويسلك في ذلك منهج الوسط، فلا تقتير ولا حرمان، ولا إسراف ولا تبذير، وفي ذلك تربية لنفس المؤمن أن يتعود القناعة وأن يحقق التوازن بين دخله ونفقاته.

فالتربية الاستهلاكية في الإسلام تستعلي بنفس المؤمن أن تستخذي وراء الرغبات النفسية، أو تتعود عليها، فلا تستطيع الصبر عليها لأنها خالطتها، ولذلك كان عمر رضي الله عنه يقول: «اتقوا هذه المجازر فإن لها ضراوة كضراوة الخمر»(٢٣). وفي رواية «لا تأكلوا اللحم - فإن عادة اللحم كعادة الخمر»(٢٤).

وإنما نهاهم عنها رضي الله عنه لأنه كره إدمان أكل اللحوم وجعل لها ضراوة كضراوة الخمر أي عادة كعادتها، لأن من اعتاد على أكل اللحوم أسرف في النفقة، فجل العادة في أكل اللحوم كالعادة في شرب الخمر، لما في الدوام عليها من سرف النفقة والفساد(٢٥). فسيدنا عمر رضي الله عنه انتبه إلى أن الناس أصبحوا يتعودون في سلوكهم الاستهلاكي على استهلاك اللحم، وخشي أن تتمكن منهم هذه العادة فلا يستطيعون مفارقتها، وهذا البعد التربوي يرشد إلى ضرورة ترويض النفس ومنعها من الجري وراء شهوتها، فعن الحسن قال، دخل عمر على ابنه وعنده لحم عريض فقال له ما هذا؟ قال قرمنا «القرم شدة شهوة اللحم» إلى اللحم فاشترينا منه بدرهم قال: وكلما اشتهيت اللحم اشتريته! «كفى بالمرء سرفا أن يأكل كل ما اشتهى»(٢٦).

وهذا الربط بين الإسراف والاشتهاء،

ذو بعد تربوي، فالاستهلاك إشباع لحاجات حقيقية، وهذه الحاجات ينبغي أن تخضع لقاعدة الاعتدال، فلا يستلذ الإنسان حياة الترف والإسراف، لأن هذه العوائد تدمر كيان الأمة الأخلاقي.

البعد الاجتماعي للاعتدال

يتجلى البعد الاجتماعي للتربية الاستهلاكية في الإسلام في شعور أفراد المجتمع بالأخوة والتضامن، ذلك أن معادلة الاعتدال تقوم على أساس إقامة التوازن الاجتماعي والتكافل الاقتصادي، لأن الفائض الاقتصادي لن ينفق على السلع الترفية بل يوظف في مشاريع اقتصادية يستفيد منها أفراد المجتمع، أو يتم تحويله إلى مساعدات اجتماعية تحقيقا للتضامن والتكافل بين أفراد المجتمع، فالنبي ﷺ يقول: «أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا، فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى»(٢٧). «ليس بالمؤمن الذي يبيت شبعانا وجاره جائع»(٢٨).

فالتربية الاستهلاكية في الإسلام تتوخى المحافظة على المصالح الجماعية للمجتمع، ولذلك «حجر الشرع على السفيه» (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا). النساء: ٥.

كما أن الإسراف في الاستهلاك سبب في توسيع الهوة بين الفقراء والأغنياء، لأن إسراف طبقة لا يكون إلا على حساب حرمان طبقة أخرى، ويؤكد هذه الحقيقة الإمام علي كرم الله وجهه «ما جاع فقير إلا بما منع غني»(٢٩).

فالرشد الاقتصادي له أبعاد اجتماعية، كما أن الإسراف له آثار مدمرة لوحدة المجتمع ولتضامن أفراده، فقد لقي عمر بن الخطاب جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما ومعه لحم اشتراه(٣٠)، فقال ما هذا يا جابر؟ قال: لحم اشتهاه أهلي فاشتريته فقال: أكلما اشتهيتم اشتريتم! أما يريد أحدكم أن يطوي بطنه لجاره وابن عمه؟ وأين تذهب عنكم هذه الآية (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها). الأحقاف: ٢٠

وهذا الفقه من عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقوم على قاعدة تنظيم الاستهلاك على نمط معتدل، وهو تربية للأفق النفسي حتى يتهذب من شوائب الشهوات، فهو تحرير للقدرة الشرائية من هيمنة الأهواء والرغبات، حتى لا يتبدد كيان الأمة الاقتصادي والاجتماعي في غير ضرورة أو مصلحة عامة، وهو ما يعكسه قوله: «أكلما اشتهيتم اشتريتم». فالسلوك الاستهلاكي ينبغي أن يربط النفقات بالحاجات الحقيقية، وأما قوله «أما يريد أحدكم أن يطوي بطنه لجاره وابن عمه»، فهو توجيه إلى أن يراعى المرء في تصرفه صلته الإنسانية بالمجتمع، فالمجتمع ليس إلا جار وابن عم قريب أو بعيد ولهؤلاء احتياجاتهم في السوق وأكثرهم لا يستطيع مجاراته، فعليه أن يذكر للقريب قرابته، وأن يجعل للجوار آصرة نبيلة تدعوه أن يكف رغباته الاستهلاكية رفقا بهم، فيخلي لهم السوق ليجدوا الأسعار في المستوى الذي يناسبهم، أما أن يكون نهمه جامحا لا يبالي أن ينفد السلع من السوق أو أن يغلي أسعارها على الضعفاء، فليس ذلك من شأن الإنسان، ولابد من تدخل الدولة لتنظيم استهلاكه، ولتقويمه على النهج المعتدل: قانون المواطنة المتعاطفة(٣١).

وهكذا يتجلى البعد الاجتماعي للتربية الاستهلاكية في الإسلام ودور قاعدة الاعتدال في حفظ التوازن الاجتماعي وإشاعة قيم التكافل والتضامن الاجتماعي، وهذا ما تجسده قصة عمر مع أحد أبنائه، فعن ميمون بن مهران قال: أتى عمر رضي الله عنه ابن له:

فقال له: «اكسني إزارا - وكان إزاره قد ولى -

فقال: «اذهب فاقطعه، ثم صلة، فإنه سيكفيك، أما والله إني أرى ستجعلون ما رزقكم الله عز وجل - في بطونكم، وعلى جلودكم، وتتركون أراملكم ويتاماكم ومساكينكم(٣٢).

البعد الاقتصادي للاعتدال في الاستهلاك

إن ترشيد الاستهلاك يستهدف المحافظة على الموارد، وعدم تبديدها، وإهدارها، وفي الحديث «من اقتصد أغناه الله عز وجل، ومن بذر أفقره الله عز وجل»(٢).

المنهج المعتدل في الإسلام يقوم على أساس التمتع اعتبارا بحال المنفق ومستواه الاقتصادي

فالنبي ﷺ قرن التبذير بالفقر، لأن المبذر يأكل رأس ماله، في حين جعل الاعتدال في الإنفاق سببا في الغنى، لأن المقتصد يدخر بعض إنفاقه، ثم يوظّفه في استثمار أو إنتاج، أما المسرف فيستهلك ماله على حساب الادخار والإنتاج، وهذه المعادلة يؤكدها قوله ﷺ «ما عال من اقتصد»(٣٣). وكان عمر رضي الله عنه يقول: «يأيها الناس اصلحوا أموالكم التي رزقكم الله - عز وجل - فإن إقلالا في رفق خير من إكثار في خرق»(٣٤).

فحسن التدبير والتصرف والاعتدال في الإنفاق يحفظ الثروة، كما أن سوء التدبير يبددها. وإذا كان التقتير يعطل وظيفة المال في استخدامه، وإنفاقه في إشباع الحاجات، وتحقيق النماء، وذلك لعدم تحقق الرصيد الكافي من الأموال أو رؤوس الأموال للإنفاق والتوظيف والتثمير، فإن الإسراف إهدار لثروة الأمة في غير منفعة، ذلك أن الإسراف في الموارد الاستهلاكية يحول دون توظيف هذا الجزء الذي أنفق في الإسراف في أمور إنتاجية وزيادة الإنتاج، ومن فقه عمر بن الخطاب

ﷺ أنه كان يقول: «لاتأكلوا البيض - يأكل أحدكم البيضة أكلة واحدة، فإن حضنّها خرجت منها دجاجة»(٣٥).

فهذا التوجيه العمري يحمل أبعادا اقتصادية، ويبين علاقة الاستهلاك بالإنتاج، فهو لا يقصد النهي عن أكل البيض مطلقا، ولكنه يوجه الأمة إلى وجوب المحافظة على الموارد الإنتاجية، والموازنة بين الاستهلاك والإنتاج، وفي ذلك يقول أبوبكر الصديق - ﷺ - «إني لأكره الرجل يأكل رزق أيام في يوم واحد»(٣٦).

وقد نهج عمر بن الخطاب ﷺ سياسة المحافظة على الموارد، ومحاربة الإسراف، فمنع أيام خلافته من أكل اللحم يومين متتاليين في الأسبوع - وكان اللحم قليلا لا يكفي جميع الناس بالمدينة - ورأى بثاقب بصره أن يمنع الذبح(٣٧)، وفي هذا المنع محافظة على الأصول الإنتاجية وحماية الأمة أن تصاب بأزمات اقتصادية خانقة تتسبب في نقص السلع الاستهلاكية بشكل خطير.

ومن آثار الاعتدال في الاستهلاك المحافظة على استقرار مستوى الأسعار بشكل يتناسب ودخل الفئات الضعيفة، ذلك أن الإسراف في الاستهلاك معناه الإقبال على السلع بشكل كبير حتى تنفد من السوق أو يعلى سعرها، وفي ذلك ضرر بالفقراء لأن كثرة الطلب وقوة الحاجة يؤديان إلى رفع الثمن، يقول ابن تيمية «عند كثرة الحاجة وقوتها ترتفع القيمة ما لا ترتفع عند قلتها وضعفها»(٣٨).

وهكذا يتبين أن الاعتدال في الاستهلاك له آثار اقتصادية تتمثل في تحويل الفائض في الدخل إلى ادخار يستثمر في زيادة المقدرة الإنتاجية للأمة، وتحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية. وتصبح الأمة قادرة على تمويل احتياجاتها دون اللجوء إلى الدين الخارجي ■

جامعة سيدي محمد بن عبدالله

الهوامش :

(١) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب البر والصلة وقال هذا حديث حسن غريب، ج:٤، ص: ٣٦٦.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج:١ ، ص:٤٤٧.

(٣) رواه ابن ماجة في كتاب الطهارة، ج:١، ص:٤٢٥.

(٤) رواه ابن ماجة، في باب الأطعمة، ج:٢، ص:٤٥٥.

(٥) رواه الحاكم، ج:٤، ص:١٣٥. كما أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجة: الجامع الصغير، ج:٢، ص ٩٦.

(٦) رواه أحمد في كتاب الزهد، ص:١١.

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرك، ج:٣، ص: ٥٦٨.

(٨) تعرض ابن خلدون في مقدمته لتحليل الانعكاسات الأخلاقية والاجتماعي لسلوك الترف وأثر ذلك على الحضارة، واعتبر التعود على ذلك مفسدة تصيب الأمة ومؤشرا على انهيار القيم الأخلاقية، يقول ابن خلدون: «وإذا اتخذوا الدعة والراحة مألفا وخلقا صار لهم ذلك طبيعة وجبلّة شأن العوائد كلها وإيلافها فتربى أجيالهم الحادثة في نضارة العيش ومهاد الترف والدعة...» مقدمة ابن خلدون، ص: ١٣٣، دار القلم، دون تاريخ.

(٩) الترغيب والترهيب، للمنذري، ج:٢، ص: ١٠٣.

(١٠) رواه مالك في الموطأ: تنوير الحوالك، ج:٣، ص:١١٠.

(١١) رواه أبوداود في كتاب اللباس، باب في الحرير للنساء، ج:٤، ص:٥٠.

(١٢) رواه أبو داود في كتاب اللباس، ج:٤، ص:٥١، حديث رقم ٤٠٦٣.
رواه أحمد عن مالك بن نخلة، ج:٣، ص:٤٧٣.

(١٣) رواه الحاكم في المستدرك وقال احتجا برواته، ج:١، ص:٢٦.

(١٤) ميزان العمل للغزالي، ص:٢٧٨.
- الإشارة إلى محاسن التجارة للدمشقي، ص:٦٩.

(١٥) رواه أبو داود في كتاب الزكاة، باب الشح، سنن أبي داود، ج:٢، ص:١٣٣.
وأحمد في المسند، ج:٢، ص:١٦١.

(١٦) رواه أبو داود في كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم، سنن أبي داود، ج:٢، ص:١٣٢.

(١٧) رواه البخاري في كتاب النفقات. ج/٣ ص:٢٨٦.

(١٨) رواه البخاري في كتاب النفقات. ج:٣، ص:٢٨٦. ومسلم في كتاب الوصية، باب الوصية.

(١٩) تفسير ابن كثير، ج:٣، ص:٣٧.

(٢٠) الإشارة إلى محاسن التجارة للدمشقي، ص:٥٩. وانظر أيضا الذريعة إلى مكارم الشريعة للأصفهاني، ص:٢٨٩.

(٢١) ميزان العمل للغزالي، ص:٢٨٢. إصلاح المال لأبي بكر بن الدنيا، ص:٣٠٦.

(٢٢) الفلاكة والمفلوكون: للإمام أحمد بن علي الدلجي، ص:٥٩، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، لبنان.

(٢٣) لسان العرب ابن منظور، ج:٤، ص:١٣٥.

(٢٤) إصلاح المال لأبي بكر بن أبي الدنيا، ص:٣٢٠.

(٢٥) لسان العرب مادة جزر، ص:١٣٥-١٣٦.

(٢٦) إصلاح المال، ص:٣٠٦.

(٢٧) رواه أحمد في مسنده، الحديث رقم: ٤٨٨٠.

(٢٨) الحاكم في المستدرك، ج:٢، ص:١٢.

(٢٩) نهج البلاغة، ج:٤، ص:٧٨.

(٣٠) رواه مالك في الموطأ، باب ما جاء في أكل اللحم: تنوير الحوالك، ج:٣، ص:١١٧.

(٣١) الثروة في ظل الإسلام: البهي الخولي، ص:١٥٩-١٦٠. عدالة توزيع الثروة في الإسلام: عبدالسميع المصري، ص:٥٠-٦٠.

(٣٢) إصلاح المال لأبي بكر بن أبي الدنيا، ص:٣٣٤.

(٣٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال، ص:٤٤٧.

(٣٤) إصلاح المال لأبي بكر بن أبي الدنيا، ص:٢٠٣.

(٣٥) المرجع نفسه، ص:٣٢٠.

(٣٦) المرجع نفسه، ص:٣٢٠.

(٣٧) نقلا عن دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ليوسف القرضاوي، ص:٢٦٠.

(٣٨) الملكية في الشريعة الإسلامية: علي الخفيف، ص:١١٠، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٠.

(٣٩) فتاوى ابن تيمية، ج:٢٩، ص:٥٢٤.

أحمد محمد علي

رئيس البنك الإسلامي للتنمية
د. أحمد محمد علي لـ الوعي الإسلامي

المصارف الإسلامية نجحت في ترسيخ أقدامها على الصعيد العالمي

وصف رئيس البنك الإسلامي للتنمية د.أحمد محمد علي، تجربة البنوك والمصارف الإسلامية بأنها ناجحة واستطاعت أن تنافس مثيلاتها العالمية، لكنه أشار إلى الكثير من التحديات والصعوبات التي تواجهها تلك المؤسسات، معتبراً أنها لاتزال بحاجة إلى مزيد من الوقت لترسيخ أقدامها عالمياً.

ورد د.محمد على مقولة: إن البنوك الإسلامية لا تتعامل مع مثيلاتها الغربية التي تتبع نظام الفائدة، لافتاً إلى أن مبدأ الحرية الاقتصادية مكفول إسلامياً، وبالتالي فإن التعامل مع الجميع، سواء أكانوا على ديننا أم على غير ديننا مسموح في الشريعة.

إلى ذلك قال رئيس البنك الإسلامي للتنمية، ضمن حوار مع «الوعي الإسلامي»: إن مسمى النظرية الاقتصادية الإسلامية ليس صحيحاً على إطلاقه، مشيراً إلى أن الشريعة وضعت مبادئ أساسية في مجال التعاملات بشكل عام وحضت المسلمين على الالتزام بها، وتركت التفاصيل للظروف الزمانية والمكانية المتغيرة.

وفيما يلي تفاصيل اللقاء:

حوار: سامح عبدالله

● بدأ نود التعرف على نشأة البنك الإسلامي للتنمية والأهداف التي يسعى لتحقيقها؟

- البنك الإسلامي للتنمية مؤسسة مالية محلية ودولية أنشئت تطبيقاً للبيان الصادر عن وزراء مالية الدول الإسلامية الذي عقد في مدينة جدة في شهر ذي القعدة عام ١٣٩٣هـ، الموافق شهر ديسمبر عام ١٩٧٣م، ووقع على هذا البيان ممثلو ٢٣ دولة من دول منظمة المؤتمر الإسلامي، ثم افتتح البنك بصفة رسمية في ١٥ من شوال عام ١٣٩٥هـ الموافق ٢٠ أكتوبر عام ١٩٧٥م.

وقد كان عدد الدول الأعضاء بالبنك عند بدء إنشائه ٢٢ دولة، ثم تزايد العدد إلى أن أصبح ٤٨ دولة من دول المنظمة.

ويأخذ البنك في الحسبان عندصياغة خططه التمويلية أوضاع دوله الأعضاء الاجتماعية والاقتصادية، ويعمل على استعراض ما يتجمع لديه من خبرات وتجارب وتقدير احتياجاته المتوقعة في المستقبل، بغية التعرف إلى القضايا والجوانب التي ينبغي توجيه اهتمام خاص لها، وعلى هدي مبادئ اتفاقية التأسيس وسياسات وإجراءات التمويل يولي البنك عناية أكبر لمشروعات الدول الأعضاء الأقل نمواً ويوجه جزءاً كبيراً من تمويلاته الميسرة لصالح هذه الدول، كما يسعى البنك إلى دعم وتنشيط التبادل التجاري في المواد ذات الصبغة التنموية بين الدول الأعضاء، وكذلك السلع غير التقليدية عن طريق بعض البرامج، إلى جانب عنايته بالمشروعات ذات الأولية في عمليات التنمية الاقتصادية والتطور الاجتماعي في الدول الأعضاء.

أما أهداف البنك الإسلامي للتنمية فتتمثل في دعم التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي لشعوب الدول الأعضاء والمجتمعات الإسلامية مجتمعة أو منفردة وفقاً لمبادئ الشريعة الإسلامية السمحة.

ويستخدم البنك في نشاطه التمويلي

أساليب مختلفة، منها:

- تقديم القروض الحسنة لمشروعات البنية الأساسية مثل الطرق والمواصلات والسدود وغيرها، والمشروعات ذات الطابع الاجتماعي والاقتصادي مثل المدارس والمستشفيات.
- الإسهام في رؤوس أموال المشروعات الصناعية والزراعية ذات العائد المالي المباشر.
- تمويل المشروعات ذات العائد السريع والمباشر على أساس المشاركة في الأرباح.
- تقديم المساعدة الفنية لتمكين الدول الأعضاء من القيام بدراسات الجدوى اللازمة لإعداد التصميمات الأولية التفصيلية وتوافر الخدمات الاستشارية للمشروعات، فضلاً عن توافر معدات البحث والتدريب خلال مراحل تنفيذ المشروع.
- تمويل مستوردات الدول الأعضاء لمدد قصيرة الأجل وذلك بشراء المواد ذات الصبغة التنموية التي تطلبها بعض الدول الأعضاء لاحتياجات عمليات التنمية المتعددة.

الشريعة أقرت مبدأ الحرية الاقتصادية وأجازت التعامل مع الجميع

وفي نطاق سعي البنك لتعبئة موارد مالية إضافية، قام بتنفيذ برنامجي التمويل الأطول أجلاً للتجارة، ومحفظة البنوك الإسلامية للتجارة والتنمية، فضلاً عن إنشاء نظام «ودائع الاستثمار».

طموحات مستقبلية

● ما الطموحات التي يسعى البنك لتحقيقها في الفترة المقبلة؟

- هناك الكثير من الطموحات التي يسعى البنك لتحقيقها، لعل من أهمها تطوير آلياته وأساليبه بالشكل الذي يمكنه من مواجهة المتغيرات المتلاحقة في العالم المصرفي، فعندما تم إنشاء البنك وكتبت اتفاقية تأسيسة كانت الظروف مختلفة تماماً عن تلك التي يعيشها العالم الإسلامي في الوقت الحاضر، فعلى سبيل المثال كان النشاط الإنمائي في معظم الدول الإسلامية - إن لم يكن في جميعها، يقتصر على القطاع العام والمؤسسات الحكومية، أما الآن فدور القطاع الخاص يتنامى بشكل متسارع في جميع أنحاء العالم الإسلامي، لذلك كان لابد للبنك الإسلامي للتنمية أن يدخل التعديلات اللازمة في هياكله وفي أسلوب عمله حتى يستطيع مواكبة تلك المتغيرات.

أيضاً فإن رأس مال البنك يزيد بشكل مستمر، ومن ثمَّ كان على البنك أن يرفع من مستوى أدائه وقدراته ويتوسع في برامجه التمويلية تماشياً مع هذه الزيادة.

وهناك بالإضافة لذلك متغيرات اقتصادية عالمية متسارعة يتبناها ما يسمى بالنظام العالمي الجديد الذي يسعى نحو تحرير التجارة، وكل هذه الأمور تمثل تحديات كثيرة يجب الالتفات لها والعمل على مواجهتها وتلبية متطلباتها.

عصب الاقتصاد

● صحيح إن التنمية عصب الاقتصاد، وهو ما يصبو إليه العالم الإسلامي في هذه المرحلة، ولكن هناك قضايا أخرى ملحّة تحتاج إلى دعم المؤسسات الإسلامية مثل قضايا الجوع والفقر التي يتعرض لها اللاجئون المسلمون. ما دور البنك في دعم مثل هذه القضايا؟

- الحقيقة إن نسبة كبيرة من الأقليات المسلمة أو كما يسميهم البنك «المجتمعات الإسلامية التي تعيش في دول غير إسلامية» يشكلون نحو ثلث عدد المسلمين في العالم، وهم يعيشون ظروفاً غاية في التردي، لذلك فإن المادة الأولى من اتفاقية تأسيس البنك تنص على أن هدف البنك الإسلامي للتنمية هو دعم التنمية الاقتصادية والتطور الاجتماعي في الدول الأعضاء والمجتمعات الإسلامية في الدول غير الأعضاء وفقاً لمبادئ الشريعة الإسلامية، وبالتالي هناك مسؤولية أساسية بالنسبة للبنك فيما يتعلق بالمجتمعات الإسلامية في الدول غير الأعضاء «الأقليات الإسلامية» حيث نضع برامج مستمرة للتعاون مع هذه الأقليات خصوصاً في مجالات التعليم والصحة، فيقوم البنك بتقديم العون والمساندة في مثل هذه المجالات، وهناك كثير من المدارس ومؤسسات التدريب في هذه المجتمعات قدم لها البنك الدعم والمساندة لإنشائها واستمرارها، سواء بتمويل ابنيتها أو بتزويدها بالمعدات التعليمية والتدريبية وغيرها.

وإلى جانب ذلك، فقد أنشأ البنك برنامجاً خاصاً للمنح الدراسية في هذه المجتمعات، وركز البرنامج في بدايته على الهندسة والطب باعتبارهما من الأمور الصعبة على الأقليات، ومن ثمَّ تخرج نحو ألف مهندس وطبيب منهم.

كما أن البنك خصص حساباً خاصاً لتقديم المساعدات لحالات الكوارث، سواء في الدول الأعضاء أو للمجتمعات الإسلامية في الدول غير الأعضاء، كحالات الزلازل والفيضانات وغيرها من الكوارث، حيث يسهم في إعادة البناء وتقديم المساعدات المالية والعينية.

تجارب ناجحة

● لاتزال المصارف والبنوك الإسلامية وليدة في تجاربها، فبعضها قطع شوطاً كبيراً نحو النجاح، وبعضها يتهدده الفشل. ما تقويمك لهذه

التجربة، وكيف يمكن النهوض بها؟

- الحقيقة أن المصارف والبنوك الإسلامية تواجه الكثير من التحديات والصعوبات، ولكنها على الرغم من ذلك أثبتت وجودها، فهذه التجربة لا يزيد عمرها عن ٣٠ عاماً، وخلال هذه المسيرة استطاعت البنوك الإسلامية أن تنافس مثيلاتها العالمية في جميع المجالات، واذكر أن كثيرين توقعوا فشل البنك الإسلامي للتنمية وأنه لن يستمر ثلاث أو أربع سنوات على الأكثر، لكن والحمد لله استطاع أن يثبت وجوده وأن يسير بخطوات ثابتة وقوية إلى الأمام، واعتقد أن المؤسسات المصرفية الإسلامية لاتزال تحتاج إلى بعض الوقت لترسيخ أقدامها في السوق العالمي، وبخاصة بعد أن أصبحت تشكل ثقلاً كبيراً في الاقتصاد المحلي للكثير من الدول الإسلامية.

أما كيفية النهوض بهذه المؤسسات لتصبح قادرة على مواجهة التحديات والصعوبات التي تتعرض لها، فاعتقد أن فترة ٣٠ عاماً هي فترة قصيرة بالنسبة للعمل المصرفي بشكل عام، ولكن نرجو أن تكون هذه المؤسسات قد اكتسبت الخبرة اللازمة التي تجعلها تقوم بدور فعّال في مجالات التنمية، خصوصاً أننا نجد العذر لهذه المؤسسات التي كانت تركز خلال السنوات الأولى من إنشائها على مجالات المرابحة والتجارة، ولكن حان الوقت كي تستحدث هذه المؤسسات الآليات التي تمكنها من الإسهام الفعال في مجال المشاركة وفي مجال التنمية.

الحرية الاقتصادية

● هل صحيح أن المؤسسات المصرفية الإسلامية ترفض التعامل مع مثيلاتها الغربية التي تتبع نظام «الفائدة» وما الحلول البديلة في هذا الإطار؟

- أقول إن مبدأ الحرية الاقتصادية من المبادئ الأصيلة في الشريعة الإسلامية ومن ثمَّ فإن مبدأ التعامل مع الجميع سواء أكانوا على ديننا أم على غير ديننا، على طريقتنا أم على غيرها، مسموح في الشريعة، فقد تعامل المسلمون في صدر الإسلام مع اليهود ومع غيرهم، وبالتالي ليس هناك سبب للقول: إن هناك أسلوباً واحداً أو طريقة واحدة للتعامل المصرفي، كما ليس من المنطقي أن نحجر على الآخرين طريقتهم في التعامل لمجرد أنها تغاير طريقتنا، فالمفروض أن المجال مفتوح للمصارف الإسلامية، كما هو مفتوح للبنوك الأخرى، والمسألة تخضع لمعايير السوق والتنافس الشريف.

مبادئ اقتصادية

● ثمة اتهام للنظرية الاقتصادية الإسلامية أنها غير واضحة المعالم، أو بمعنى أدق أنها غير صالحة للتعامل مع المستجدات العالمية، بِمَ ترد على هذا الاتهام؟

- مسمى النظرية الاقتصادية الإسلامية ليس صحيحاً على إطلاق إنما الصحيح أن لدينا مبادئ أساسية حددتها الشريعة في مجال التعاملات بشكل عام وحضت المسلمين على الالتزام بها، وهذه المبادئ تنطلق من التصور الشامل للتشريع الإسلامي، وهو وضع المبادئ الأساسية وترك التفاصيل للظروف الزمانية والمكانية المتغيرة، فلو نظرنا إلى مختلف عصور الأمة وجدنا أحكاماً عامة هي التي وردت في الكتاب والسنة وهي التي التزمت بها جميع المجتمعات الإسلامية على مر العصور، أما بالنسبة للتفصيلات ففيها من الأمور المتغيرة زماناً ومكاناً حسب ما يستجد من أمور، وهذه الميزة الكبيرة في الشريعة الإسلامية والتي تمكّنها من أن تكون شريعة دائمة ومستمرة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، هذه الميزة هي ترك التفصيلات للظروف الزمانية والمكانية، وليس أدل على ذلك مما فعله الإمام الشافعي رضي الله عنه عندما انتقل من العراق إلى مصر ووجد بعض الأمور المتغيرة ما دفعه إلى تغيير كثير من أحكام مذهبه هناك، فما بالنا لو تصورنا حجم المتغيرات المستجدة من عصر الإمام الشافعي إلى عصرنا الحالي، والفرق بين المجتمعات الإسلامية في ذلك الوقت عنه الآن.

فهذه النقلة الكبيرة التي يعيشها الإنسان الآن تجعلنا مطالبين بإيجاد اجتهادات فقهية بشأنها، خصوصاً أن الشريعة الإسلامية تستوعب جميع هذه المتغيرات وتحتويها وتتكيف معها، واعتقد أن هذه الميزة تنفرد بها الشريعة الإسلامية دون غيرها، بل هي منّة كبيرة من الله عز وجل للاستفادة من جميع المتغيرات والمستجدات التي تطرأ على البشر في كل عصر وكل مكان.

الإسلام وضع المبادئ الأساسية للمعاملات المالية وترك التفاصيل للظروف الزمانية المتغيرة

أزمة فتوى

● هل لدينا أزمة فتوى بشأن القضايا الاقتصادية المعاصرة؟

- بالنسبة للبنك الإسلامي للتنمية ليست لديه مشكلة في هذا الإطار، خصوصاً أنه يعتمد على مرجعية واحدة وهي المجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي باعتباره يمثل الأمة الإسلامية قاطبة، ومن ثمَّ نحن نتقيد بما يصدر عن المجمع الفقهي، وبالتالي ليست لدينا أزمة فتيا، وكل الأمور الخلافية نعيدها إلى المجمع الفقهي وما ينتهي إليه هو ما نسير عليه ونتمسك به ■

تدخل الدولة في السوق في عهد الخلفاء الراشدين

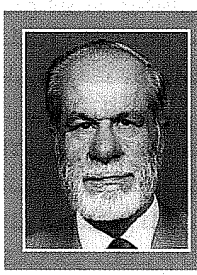

بقلم:
د. محمد رواس قلعه جي

ليست الغاية من هذا المبحث التراثي - الحديث عن التاريخ، أو امتداح الرعيل الأول من سلف هذه الأمة - وإن كان كل ذلك مقصداً بذاته - ولكن الغاية الحقيقية هي إحياء شريعة الله التي أراد بها الخير لعباده، وغذّاها سلف هذه الأمة من الخلفاء الراشدين وغيرهم بفكرهم وأقاموها حكماً فيهم، فكانت أعدل حكم، فأنبتت النبات الحسن بإذن الله.

ونحن في هذا البحث نتحدث عن تدخل الدولة في السوق في عهد الخلفاء الراشدين بدءاً من بناء السوق وانتهاء بالتفتيش على الأسواق.

إن فكرة العدل قد سيطرت على تفكير صحابة رسول الله ﷺ - ومنهم الخلفاء الراشدون - فكانوا حريصين على تطبيقها في كل ميدان من ميادين الحياة، ومن تطبيقات فكرة العدل عندهم بناء المسجد الجامع في وسط المدينة في جميع المدن التي أقاموها، مثل الكوفة والبصرة والفسطاط، وغيرها، ليتساوى الناس جميعاً في بعدهم عن الجامع، وخصوصاً أن الجامع كان مركز القضاء.

وكان السوق الرئيس للمدينة في وسطها أيضاً ليتساوى الجميع في بعدهم عنه، وخصوصاً أن جميع سكان المدينة يحتاجون لهذا السوق لشراء حاجياتهم منه، والدولة هي التي كانت تفرض هذا الموقع للسوق حين تخطط المدينة، ومن يطلع على تخطيط مدينة الكوفة التي بُنيت في عهد عمر بن الخطاب - وقد نشر هذا المخطط ماسينون - يجد أن السوق في وسط المدينة.

وقد حرص رسول الله ﷺ على أن يكون السوق واسعاً، يتسع لحاجيات الناس حتى يتمكن قاصد السوق من شراء جميع حاجياته دون أن يضطر إلى الانتقال إلى سوق آخر، بل إن اجتماع باعة الصنف الواحد في سوق واحد يسهل على المشتري انتقاء الصنف الذي يريده ويكشف له فروق الأسعار بين البائعين. قال عطاء بن يسار: لما أراد رسول الله ﷺ أن يجعل للمدينة سوقاً، أتى سوق بني قينقاع، ثم جاء سوق المدينة، فضربه برجله وقال: هذا سوقكم فلا يضيَّق، ولا يؤخذ منه خراج. «تاريخ المدينة المنورة».

وانطلاقاً من مبدأ عدم تضييق الأسواق على روادها، فإنه يُمنع كل ما يعوق حركة المرور في السوق، من بناء دكان ونحو ذلك، فإن خالف أحد وبنى دكاناً يعرض فيها بضاعته، فعلى الدولة أن تزيل ذلك الدكان، فقد رأى عمر بن الخطاب دكاناً قد أحدِثَ في السوق فكسره. «تاريخ المدينة».

التجار

لا يجوز لموظف الدولة له صفة الولاية العامة مثل القاضي، وأمير البلد ونحوهما أن يمارس التجارة في الأسواق بنفسه، لأنه يحابا بسبب منصبه، فقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري، وكان أبو موسى أميراً على العراق - لا تبيعن ولا تشارينَّ ولا تضاربنَّ، وكان رضي الله عنه يقول: إن تجارة الأمير خسارة «سنن البيهقي»، وقصة عمر بن الخطاب معروفة مع أبي هريرة - عندما كان أبو هريرة أميراً على حضرموت، ومصادرة عمر نصف مال أبي هريرة لأنه عمل بالتجارة في أثناء إمارته.

ويكره أن يكون المتحكمون في الأسواق غير الصالحين من هذه الأمة، كما يكره للرجل أن يكل أمر تجارته إلى الأجراء يكفونه أمرها، لأنهم قد يمعنون في تعمية أخبارها وحساباتها عليه، فيضبح بذلك غير قادر على الاستغناء عنهم، ويزيد تحكمهم فيه، ويزيد احتياجه إليهم، وهذا ما حذر منه عمر بن الخطاب، قال أبو عدي: كنا جلوساً في المسجد، فقام عمر، فقلنا: أين تنطلق يا أمير المؤمنين، قال: انطلق إلى السوق انظر إليها، فأخذ درته فانطلق، وقعدنا ننتظره، فلما رجع قلنا: كيف رأيت السوق يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت العبيد والموالي جل أهلها، وما بها من العرب إلا قليل: وكأنه ساءه ذلك - فقلنا: يا أمير المؤمنين قد أغنانا الله عنها بالفيء، ونكره أن نركب الدناءة، وتكفينا موالينا

وغلماننا، قال: والله لو تركتموهم وإياها ليحتاجن رجالكم إلى رجالهم، ونساؤكم إلى نسائهم. «تاريخ المدينة»

وقال السائب بن يزيد: قال عمر: من تجاركم؟ قالوا: عبيدنا وموالينا، قال: يوشك أن تحتاجوا إلى ما في أيديهم فيمنعوكم. «تاريخ المدينة».

السلع

كان الخلفاء الراشدون يسعون جهدهم لتوافر ما يحتاجه الناس من السلع في الأسواق، يتبعون في ذلك وسائل شتى، منها خفض الضرائب المفروضة على السلع التجارية الضرورية، ليكثر جلبها إلى أسواق الناس، ورفع الضرائب على سلع الكماليات ليقل جلبها لأسواق الناس وانطلاقاً من هذا المبدأ «فقد كان عمر يأخذ من النبط من الحنطة والزيت نصف العشر، يريد بذلك أن يكثر الحمل إلى المدينة، ويأخذ من القطينة الحمص والعدس العشر» (الموطأ)، لأن حاجة الناس إليه أقل، وهكذا فرّق عمر في فقد الضريبة بين البر والعدس تبعاً لاختلاف الحاجة.

ومنها جلب الدولة السلع الضرورية لتوافرها للناس، فإنه لما كان عام الرمادة كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص بالكوفة، وإلى أبي موسى الأشعري بالبصرة، وإلى عمرو بن العاص بمصر، وإلى معاوية بن أبي سفيان بالشام، يستغيثهم ويطلب إليهم إرسال المؤن إلى المدينة فكتب إليه أبو موسى: إني وجهت إليك عيراً تحمل الدقيق والزيت والسمن والشحم والمال. وكتب إليه سعد ومعاوية بمثل ذلك، وكتب إليه عمرو بن العاص: قد وجهت إليك السفين تترى بعضها إثر بعض.

فلما قدم عمر ذلك قال: الحمد لله، ما كان الله ليضيع هؤلاء، ثم دعا محمد بن مسلمة وعبدالله بن الأرقم، فوجّه ابن الأرقم إلى قيس وتميم وطيىء وأسد في نجد، ووجّه محمد بن مسلمة إلى طريق الشام إلى غطفان ووادي قضاعة ولخم وجُذام، ثم قال لهما: افهما، إياكما أن تعطيا العرب الإبل، فإنها لا تنحرها.. انحرا البعير فأطعماهم مخه وعظامه، واجعلا لحمه وشيقة - أي قديداً - واجعلا الفرارة - الذي فطم وقوي على الأكل - بين عشرة، سيرا في كنف الله. «تاريخ المدينة».

المكاييل والموازين

كان الخلفاء الراشدون حريصين على توحيد المكاييل والموازين في السوق، ومنع المكاييل الخاصة أو المكاييل التي لم يجر العرف بالتعامل بها، لئلا يُغبن الناس في بيوعهم، وليكون المبيع معلوم القدر، ولقطع دابر فوضى المكاييل في الأسواق.

فقد سمع عمر بن الخطاب بأن لأبي موسى مكيالان يكتال بمكيال، ويكيل للناس بغيره، فلما حضر أبو موسى إلى عمر قال له عمر: ما بال هذا المكيال الذي تكتال به وتكيل للناس بغيره؟ قال: مكيال أكيل به قوت أهلي وأرزاق دوابي، ما كلتُ به لأحد، ولا اكتلت به لأحد.

وكان عمر يمنع أمدادَ أهل اليمن - أي البيع والشراء بمد أهل اليمن - وينهى الناس أن يشتروا منهم شيئاً مما يمنعهم عنه، فعثر على مالك بن عياض - مولى عمر بن الخطاب - وقد اشترى منهم شيئاً مما منعهم منه، فضربه عمر بالدرة، وقال: ما حملك على أن تشتري منهم شيئاً مما نيهت الناس عنه. «تاريخ المدينة».

النقد

كانت النقود المتداولة في الحجاز هي النقود الرومانية والنقود الساسانية، وكانت في مكة بعض النقود الحميرية نتيجة لرحلة قريش إلى اليمن.

أقر أبو بكر النقود الأجنبية المتداولة في أسواق المسلمين، ولكن عمر فكر باستبدال هذه النقود بنقود إسلامية رمزاً لسيادة الدولة واستقلالها، وقطعاً لدابر التلاعب، فأصدر نقوداً إسلامية مماثلة للنقود الساسانية، في الوزن والشكل، ولكن نقش عليها نقوشاً عربية، فنقش على بعضها «لا إله إلا الله» وعلى بعضها «الحمد لله» وعلى بعضها «محمد رسول الله».

ولما كانت خلافة عثمان ضرب دراهم ونقش عليها عبارة «الله أكبر»، وبقي الأمر كذلك إلى أن كان الإصلاح النقدي الكبير على يد عبدالملك بن مروان.

وبذلك نرى جهود الدولة في توحيد النقد وتخصيصه في أسواق المسلمين.

منع الخلفاء الراشدون المكاييل الخاصة أو التي لم يجر العرف بالتعامل بها

الأسعار

كان عمر رضي الله عنه يرى جواز تدخل الدولة لفرض الأسعار العادلة للسلع حماية للتاجر والمستهلك في آن واحد، ولا نعلم لعمر في ذلك مخالفاً من الخلفاء الراشدين. فقد مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحاطب بن أبي بلتعة بسوق المصلى وبين يديه غراراتان فيهما زبيب، فقال: كيف تبيع يا حاطب؟ قال: مدين بدرهم، فقال: لقد حدثتُ بعيراً مقبلة من الطائف تحمل زبيباً، وهم يعتبرون بسعرك، تبيعون بأبوابنا وأفنيتنا وأسواقنا وتقطعون في رقابنا ثم تبيعون كيف شئتم، بع صاعاً - والصاع أربعة أمداد - بدرهم وإلا فلا تبع في

سوقنا. «موسوعة فقه عمر»، وبذلك نرى عمر يتدخل في فرض السعر العادل حماية للمستهلك.

وأحياناً يكون التدخل لحماية التجار من الإفلاس، عندما يبيع بعضهم بسعر أقل من أسعار التكلفة عليهم، فقد روى يحيى بن حاطب قال: كان أبي وعثمان بن عفان شريكين يجلبان التمر من العالية إلى السوق، فمرَّ عمر بهم، فضرب الغرارة برجله وقال: يا بن أبي بلتعة، زد في السعر، وإلا فاخرج من سوقنا.. «تاريخ المدينة»

والسعر الذي لا يحق للدولة التدخل فيه هو السعر الذي يبيع به كل التجار، فإذا ما خرج عن هذا السعر خارج زيادة أو نقصاً، ردَّته الدولة إليه، فقد جاء رجل بزيت فوضعه في السوق، فجعل يبيع بغير سعر الناس، فقال له عمر: إما أن تبيع بسعر السوق وإما أن ترحل عن سوقنا، فإنا لا نجبرك على سعر، فنحّاه عنهم.

ومما له صلة بالأسعار، ويؤثر فيها تأثيراً ملحوظاً: الاحتكار، فهو يرفع الأسعار ويضير بالمستهلكين، ولذلك حرَّمه رسول الله - ﷺ - والخلفاء من بعده، فقد خرج عمر إلى السوق فرأى ناساً يحتكرون بفضل أموالهم، فقال عمر: لا ولا نعمة عين، يأتينا الله بالرزق حتى إذا نزل بسوقنا قام أقوام فاحتكروا بفضل أذهابهم أي: أموالهم - عن الأرملة والمسكين، حتى إذا خرج الجلاب باعوا على نحو ما يريدون من التحكم.

لا يوافق موظف الدولة في الإسلام أن يصبح تاجراً في السوق يبيع ويشتري

ونهى عثمان ﷺ عن الاحتكار، فدخل الزبير السوق، فإذا هو بموالي لبني أمية يحتكرون، فأقبل عليهم ضرباً، فبينما هو كذلك، إذا هو بعثمان مقبل على بغلة له، فمشى إليه الزبير فأخذ بلجام بغلته فهزها هزاً شديداً واشتد على عثمان في القول، فلما نزل عثمان ألقيت إليه وسادة، فجلس عليها، وجاءه الزبير فسلم عليه وقال: والله يا أمير المؤمنين إني لأعلم أن لك حقاً، ولكني رجل إذا رأيت المنكر لم أصبر، فقال له عثمان: اجلس ههنا، فأجلسه على الوسادة إلى جنبه.

ومن أنواع الاحتكار الرابطات التي ينشئها التجار، حيث تتفق طائفة منهم على شراء جميع ما طرح في السوق من سلعة معينة، ثم يبيعونه على نحو ما يريدون من السعر لانعدام المنافس، وقد كان الخلفاء الراشدون يمنعون قيام مثل هذه الرابطات أو الشركات الاحتكارية، لما في ذلك من الضرر على المستهلك، فقد قدم المدينة المنورة طعام في عهد عمر، فخرج أهل السوق إليه فابتاعوه، فقال لهم عمر: أفي أسواقنا تتجرون، أشركوا الناس أو اخرجو فاشتروا ثم ائتوا فبيعوا.

وقد كان عثمان ﷺ دائم المذاكرة مع الناس في أسعارهم، حتى أنه ليسألهم عنها بعدما يرقى المنبر لخطبة الجمعة.

مراقبة الأسواق

كان رسول الله - ﷺ - دائم المراقبة للأسواق، يزورها ويرشد أهلها إلى التعامل السليم، ولا نزال نذكر يوم دخل عليه الصلاة والسلام السوق فمر على صُبرة طعام، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: يا رسول الله أصابته السماء، قال: «أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟! من غشنا فليس منا» «رواه مسلم»، وكذلك كان خلفاؤه الراشدون يزورون الأسواق ليمنعوا الغش فيها، أو يولون من يراقبها، وقد ولى عمر بن الخطاب «الشفاء» مراقبة الأسواق، وكان هو ﷺ يذهب إلى العوالي كل يوم سبت، فإذا وجد عبداً في عمل لا يطيقه وضع عنه منه.

وكان بعض الخلفاء يوجهون الباعة إلى تزيين سلعهم بما فيها من غير تغرير، لما في ذلك من تنشيط الحركة التجارية، فقد خرج عمر ومعه أبو ذر، فمرَّ على مولى له - لعمر - فقال عمر: إذا نشرت ثوباً كبيراً فانشره وأنت قائم، وإذا نشرت ثوباً صغيراً فانشره وأنت قاعد، فقال أبو ذر: اتقوا الله يا آل عمر، فقال عمر: إنه لا بأس أن تزين سلعتك بما فيها.

ومرَّ عمر على غلام له يبيع الرطب، فقال: كيف تبيع؟ انفش فإنه أحسن للسوق. «تاريخ المدينة»

المساعدات المالية للتجار

إن نشاط التجارة قوة للدولة، ولذلك حرص الخلفاء الراشدون على تنشيط التجارة بوسائل عدة نذكر منها:

منح التجار أماكن في الأسواق يبيعون فيها بضائعهم دون أن يدفعوا أجرة لهذه الأماكن، فعن محمد بن عبدالله ابن حسن قال: تصدَّق رسول الله على المسلمين بأسواقهم - أي لم يأخذ منهم أجراً على مقاعد الأسواق - وسار الخلفاء على نهج الرسول في ذلك.

بتأجيل دفع زكاة أموالهم التجارية في أيام الكساد إلى أيام اليسار، فقد ترك عمر الناس عام الرمادة فلم يأخذ منهم الصدقة، فلما كان العام القابل أخذها منهم عن العامين - عن العام الماضي وعند العام الحاضر. «الأموال - كنزل العمال» ■

أستاذ كلية الشريعة - جامعة الكويت

٢ / ٢

الخلع بين الشريعة والتطبيق القانوني

في العدد ٤١٤ ناقش الكاتب د. سعد الدين هلالي الأستاذ في كلية الشريعة. جامعة الكويت حقيقة الخلع في الشريعة والاصطلاح، وهل هو طلاق أم فسخ؟ ومدى مشروعيته وفي الأصل وضوابطه. وناقش أيضاً ما يمكن أن يندرج تحت إساءة استخدام الخلع، وضوابطه في حالي الوفاق والشقاق، كما ناقش مقدار العرض الذي تبذله المرأة، هل بمقدار ما أصدقها الرجل أم أكثر منه أم أقل.

وفي الجزء الثاني من المقال الذي بين أيديكم يتابع الكاتب تتمة الأبواب المتعلقة بمسائل الخلع ومناقشتها بقدر واسع من العلم الدقيق والعرض الممتع.

بقلم: د. سعد الدين الهلالي *

الخلع بالتراضي والخلع بالقضاء:

لا خلاف بين الفقهاء في مشروعية الخلع قضاء، لأن القضاء يحسم كثيراً من مسائل النزاع مثل تلك الأحكام، ولأن امرأة ثابت بن قيس خالعت زوجها على عهد النبي ﷺ. واختلف الفقهاء في مشروعية الخلع بالتراضي بين الزوجين، فذهب جمهور الفقهاء إلى مشروعيته مستدلين بالمأثور والمعقول.(٥٠).

أما دليل المأثور فمنه ما رواه ابن أبي شيبة عن طريق خيثمة بن عبدالرحمن موصولاً: أن بشر بن مروان أتى في خلع كان بين رجل وامرأة فلم يجزه، فقال له عبدالله بن شهاب الخولاني: قد أتى عمر في خلع فأجازه.(٥١)

وأما دليل المعقول فمنه أن الطلاق من حيث النظر جائز بلا حاكم، فكذلك الخلع. ولأن الخلع قطع عقد بالتراضي جعل لدفع الضرر فلم يفتقر إلى الحاكم مثل الإقالة في البيع.

وذهب الحسن البصري وابن سيرين إلى عدم جواز الخلع إلا بإذن السلطان، استدلالاً بقوله تعالى: (فإن خفتم ألا يقيما حدود الله) البقرة ٢٢٩، وقوله جل شأنه: (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها) النساء:٣٥، قالا: فجعل الله تعالى الخوف لغير الزوجين ولم يقل: فإن خافا. ووصف ابن رشد هذا القول بالشذوذ.(٥٢)

والراجح: هو ما ذهب إليه الجمهور من جواز الخلع بالتراضي كما يجوز بالقضاء، لأنه عقد معاوضة.

هل يسقط حق المرأة في الخلع حال اعتراض الزوج؟

أجمع الفقهاء على عدم صحة الخلع دون صيغته من الإيجاب والقبول، وهما عبارة كل من الزوج والزوجة أو من يحل محلهما كالوكيل أو الولي أو الحاكم، قالوا: لأنه عقد على الطلاق بعوض، فلا تقع الفرقة ولا يستحق العوض من دون القبول. ويثور التساؤل فيما لو طالبت المرأة بحقها في الخلع فامتنع الزوج، والظاهر من كلام الفقهاء أن عدم موافقته لا يمنعها من رفع أمرها للحاكم ليمنع عنها تعسف زوجها، ويجيبها لطلبها، لأن حاجتها داعية إلى فرقته، ولا تصل إلى الفرقة إلا بذلك. يقول ابن رشد: «والفقه أن الفداء إنما جعل للمرأة في مقابلة ما بيد الرجل من الطلاق»(٥٣). ويقول الشيرازي: «إذا كرهت المرأة زوجها وخافت ألا تؤدي حقه جاز أن تخالعه على عوض.(٥٤)، ويقول البهوتي: «ويصح الخلع ممن يصح طلاقه بالملك أو الوكالة أو الولاية كالحاكم في الشقاق»(٥٥)، فهذه النصوص وغيرها تشير إلى أن تمسك المرأة بالخلع لا يبطله ممانعة الزوج.

وذهب بعض الفقهاء إلى أن موافقة الزوج واجبة لصحة

الخلع، لأنه لا يُجبر أحد على التنازل عن ملكه، وقد ملك عصمتها بالنكاح. قالوا: وأمر النبي ﷺ ثابت بن قيس أن يطلق امرأته بالخلع بناء على طلبها إنما هو أمر إرشاد لا إيجاب.

قال الصنعاني: كذا قيل. والظاهر بقاؤه على أصله من الإيجاب، ويدل له قوله تعالى: (فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) البقرة:٢٢٩. فإن المراد: يجب عليه أحد الأمرين، وهنا قد تعذر الإمساك بمعروف لطلبها الفراق فيتعين عليه التسريح بإحسان.(٥٦).

رؤية شرعية حول أحكام الخلع في قانون تبسيط إجراءات الأحوال الشخصية المصري ومدى الحاجة إليه في القانون الكويتي

تجاهل قانون تبسيط إجراءات الأحوال الشخصية المصري كثيراً من الأحكام الشرعية كالخلع والإيلاء واللعان والظهار، وفي مقتبل هذا العام تنبه أولو الأمر لواحدة من تلك الأحكام فيما يعرف بالخلع، كان الدافع إليه الحاجة الملحة لانفكاك المرأة من رباط الزوجية الذي سئمته وكرهته لسبب أو لآخر في نفسها، وليس لها من طريق في ظل القانون المعمول به سوى طلب الطلاق للإضرار، الأمر الذي كان يدفعها للافتراء على زوجها في ساحات القضاء لمحاولة إثبات الإضرار للوصول إلى غرضها، فكم شهدت المحاكم ادعاءات كاذبة، وشهادات مزورة، وكشف للمستور، لتعضيد موقف المدعية والطالبة للطلاق. ولأن القانون يرتب حقوقاً مالية على الزوج إن حكم القاضي بالطلاق للإضرار، فإنه من باب العدالة قد أعطي للزوج الحق في الدفاع عن نفسه أمام ادعاء زوجته، الأمر الذي تطول معه إجراءات الطلاق إلى بضع سنين أو يزيد، فإذا رفعت المرأة دعوى بالطلاق للإضرار وهي في سن الثلاثين مثلاً لم تحصل عليه إلا بعد الأربعين وقد غربت عليها شمس الحياة، هذا فضلاً عن تراكم قضايا طلب الطلاق بالآلاف المؤلفة، وبعض من ضعيفات الدين أقمن علاقات غير شرعية في ظل عدم نصرتهن أمام هذه الإجراءات ناهيك عن عضل الزوج. هذا، وقد أحسن أولو الأمر عندما وجدوا المخرج في الشريعة الإسلامية فأسرعوا إلى العمل بأحكام الخلع وصدرت المادة ٢٠ من قانون تبسيط إجراءات الأحوال الشخصية، والتي بدأ العمل بموجبها فعلاً اعتباراً من أول مارس عام ٢٠٠٠م التي تقضي بأن للمرأة أن تفتدي نفسها بطلب الخلع من زوجها مقابل رد المهر أو مثله في حال التراضي وفي حال رفض الزوج طلبها في الخلع فلها أن ترفع دعوى أمام القاضي المختص طالبة إجبار الزوج على تنفيذ الخلع وإلا فيقوم القاضي بتطليقها طلقة واحدة بائنة لا تقبل الطعن، وذلك بعد طرح مهلة تمتد إلى ثلاثة أشهر، تعطى فيها فرصة لجهة التحكيم لمحاولة الإصلاح بين الزوجين وإقصاء الزوجة عن طلبها، وفي حال فشل الحكمين في الإصلاح لزم عليهما التقدم بتقرير للقاضي يثبتان فيه ذلك، وعلى القاضي بمقتضاه أن يصدر وجوباً حكماً بالتطليق بالخلع.

أجمع الفقهاء على عدم صحة الخلع دون صفته من الإيجاب والقبول

وقد تجاهل مشروع تلك المادة المهلة المشار إليها وتعيين الحكمين، غير أنه عند الإقرار وبعد المناقشات الموضوعية تم تعديل المشروع بإثبات ذلك. ولا شك أنه بالرجوع إلى أحكام الخلع الشرعية سيجد الزوجان مخارج ويسراً، ورفعاً للحرج في كثير من المعاملات بينهما، وستنتهي آلاف القضايا المتعلقة بالطلاق منذ بضع سنوات.

فالزوج الذي كان يمتنع عن الطلاق لما يترتب عليه من أعباء مالية، والزوجة التي كانت تلهث وراء المحاكم سعياً إلى الطلاق، ولم تكن تملكه إلا بإثبات الإضرار من الشتم والضرب ونحوهما، يستطيع كل منهما أن يجد مخرجاً في الخلع ولا أنكر إمكان إساءة استخدام أحكام الخلع لظلم الإنسان كما قال تعالى: (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً) الأحزاب:٧٢، ولذلك كثرت الآيات القرآنية الآمرة بحسن المعاملة بين الزوجين، وحض كل منهما على عدم إساءة استخدام حقه تجاه الآخر، قال تعالى: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) وقال (فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) وقال: (فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف) البقرة:٢٣٢، وقال: (ولا تنسوا الفضل بينكم) البقرة:٢٣٧.

ومع ذلك فإن بعض الأزواج قد يدفعهم ظلمهم ورغبتهم في الانتقام أن يسيؤوا إلى زوجاتهم رغبة في طلبهن الخلع واسترداد المهر منهن، وقد ذهب أكثر أهل العلم منهم أصحاب المذاهب الأربعة إلى تحريم هذا الخلع، وإن وقع كان طلاقاً رجعياً لا يستحق الزوج به عوض الخلع، فإن أخذه كان من أكل أموال الناس بالباطل استدلالاً بقوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) النساء:١٩. وقد فسر زيد بن أسلم الفاحشة في الآية بالزنى، يعني إذا وقعت الزوجة في الزنى صح لزوجها عضلها ليأخذ شيئاً من مالها، قال ابن كثير: وهذا قول جيد.(٥٧).

كما أنه من إساءة استخدام حق الخلع أن تطلبه المرأة دون سبب، وإنما لمجرد أن هذا من حقها، وقد حذر النبي - ﷺ - النساء من ذلك فيما رواه ثوبان مرفوعاً «أيما امرأة

سألت زوجها طلاقاً في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة»(٥٨). ويثبت الحق للزوجة في طلب الخلع لمجرد كراهة الزوج كراهية تخشى معها من عدم تمكنها من إعطائه حقه عليها لحديث ثابت بن قيس في صحيح البخاري، حيث ذهبت زوجته إلى الرسول ﷺ وقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس ما أعيب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام.(٥٩)

مطابقة المادة ٢٠ للخلع الشرعي

لا تتعارض المادة ٢٠ من قانون تبسيط إجراءات الأحوال الشخصية المصري مع أحكام الخلع في الشريعة الإسلامية بصفة عامة، ولعل المأخذ الذي يراه البعض في تلك المادة ينحصر في إحلال إرادة القاضي محل إرادة الزوج عند امتناعه عن الخلع بناء على طلب زوجته بدعوى أن الخلع لا يصح إلا بإرادة الزوج، لأنه لا يجبر أحد على التنازل عن ملكه، والزوج مالك لعصمة النكاح، وأولوا قول النبي ﷺ لثابت بن قيس «اقبل الحديقة وطلقها تطليقه» على أنه أمر إرشاد لا إيجاب. ولكن الظاهر من الأمر الوجوب لقوله تعالى: (فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) فإن المراد: يجب عليه أحد الأمرين، وهنا قد تعذر الإمساك بمعروف لطلبها للفراق فيتعين عليه التسريح بإحسان. والمتتبع لنصوص الفقهاء يلحظ اتجاههم بعدم سقوط حق المرأة في الخلع حال امتناع الزوج، ولها أن ترفع أمرها للحاكم ليمنع عنها تعسف زوجها. يقول ابن رشد: والفقه أن الفداء إنما جعل للمرأة في مقابلة ما بيد الرجل من الطلاق.(٦٠) ويقول الشيرازي: إذا كرهت المرأة زوجها وخافت ألا تؤدي حقه جاز أن تخالعه على عوض(٦١)، يعني وجوباً. ويقول البهوتي: ويصح الخلع ممن يصح طلاقه بالملك أو الوكالة أو الولاية كالحاكم في الشقاق.(٦٢)

الخلع والإصلاح الاجتماعي

لا شك أن العمل بالخلع وغيره من الأحكام الشرعية هو بداية الإصلاح والأمن الاجتماعيين، لأن شريعة الله محكمة متوازنة، ترعى مصالح كل الأطراف دون محاباة، غير أنه يجب التنبيه إلى ضرورة حسن الإتيان بتلك الأحكام والالتزام بالضوابط الشرعية، قال تعالى: (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) الزمر:١٨. واعتقد أن العمل بالخلع الشرعي يدفع بالزوجين لحسن المعاشرة، كما يجعل الحياة بينهما قائمة على تمام الرضا والاختيار، ويعد هذا اليوم من سمات الحضارة، وقد عرفته الشريعة الإسلامية منذ أكثر من أربعة عشر قرناً فكما يملك الزوج الطلاق تملك الزوجة الخلع، وكما يطالب الزوج بعدم إساءة استخدام الطلاق، تُطالب الزوجة أيضاً بعدم إساءة استخدام الخلع، قال تعالى: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف). وأتوقع توجه الكثير من النساء في مصر لطلب الخلع هذا العام نظراً لآلاف القضايا المرفوعة للطلاق منذ أكثر من عشر سنوات، ثم يحدث استقرار لأوضاع الأسرة المصرية وتقل قضايا الطلاق والخلع معاً في الأعوام المقبلة، لأن الحرية في ظل الشريعة لا تأتي إلا بخير، والممنوع مرغوب، وكان الطلاق في ظل القانون القديم أشبه بالمستحيل، إلا وقد انفرجت الحياة بين الزوجين بالخلع فلم يبق إلا التراحم لتتجلى آية الله في قوله: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) الروم:٢١. ولا أظن أن المرأة تسعى لخراب بيتها بالخلع دون حاجة في عموم الأحوال، فالمرأة أحرص على بيت الزوجية لأنها تعلم بقصر عمرها الجمالي والإنجابي. وأملي ليس فقط في العمل بالخلع الشرعي، وإنما يتعدى للعمل بسائر الأحكام الشرعية في الأسرة والمعاملات والجنايات وجهات الإدارة لقوله تعالى: (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) المائدة:٥٠، والبشرية جمعاء في أمسّ الحاجة لتلك الشريعة لقوله تعالى: (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) الملك: ١٤.

من إساءة استخدام حق الخلع أن تطلبه المرأة دون سبب

هذا، وقد عالج القانون الكويتي للأحوال الشخصية كثيراً من أحكام الخلع، ولم يتجاهله بالكلية كما تجاهلته بعض التشريعات العربية، فتنص المادة ١١٣، من القانون الكويتي على أنه «لكل من الطرفين الرجوع عن إيجابه في المخالعة قبل قبول الآخر». ولا شك أنه يحتاج كلما دعت الحاجة إلى بعض التعديلات المستقاة من روافد الشريعة الإسلامية نظراً للمتغيرات التي هي سمة كل حادث ■

الأستاذ بقسم الفقه والأصول - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

الهوامش :

٥٠ ـ بدائع الصنائع ١٤٥/٣، حاشية الدسوقي ٣٤٧/٢، المهذب ٧١/٢، المغني ٥٢/٧، فتح الباري ٣٩٦/٩.

٥١ ـ فتح الباري ٣٩٦/٩.

٥٢ ـ بداية المجتهد ٦٩/٢، فتح الباري ٣٦٩/٩.

٥٣ ـ بداية المجتهد ٦٨/٢.

٥٤ ـ المهذب ٧٠/٢.

٥٥ ـ كشاف القناع ٢١٣/٥.

٥٦ ـ سبل السلام ١٠٧٤/٣.

٥٧ ـ تفسير ابن كثير ٦١٩/١.

٥٨ ـ سنن أبي داود ٦٦٧/٢، المستدرك ٢٠٠/٢، وقال صحيح على شرط الشيخين.

٥٩ ـ صحيح البخاري مع فتح الباري ٢٩٥/٩.

٦٠ ـ بداية المجتهد ٦٨/٢.

٦١ ـ المهذب ٧٠/٢.

٦٢ ـ كشاف القناع ٢١٣/٥.

يتردد على الألسنة في أثناء الحديث عن العقوبات والجزاءات لفظ «التعزير»، فما الذي يُراد بهذا اللفظ؟ وما مدلوله؟ وما ميادين استعمالاته؟

قبل الإجابة عن هذه التساؤلات، يجدر بيان أصول هذا الموضوع؟ وذلك على النحو التالي:

د. حسن عبدالغني أبو غدة *

التعزير ونظائره بين الفقه والقانون

أنواع العقوبة في الإسلام

تتنوع العقوبة بحسب الجرائم المرتكبة إلى ثلاثة أنواع: الحدُّ، والقصاص، والتعزير.

أولاً: الحد: وهو العقوبة المقدرة في الكتاب أو السنَّة، الواجب تنفيذها بشروطها، حقاً لله تعالى، ومعنى كون الحدّ حقاً لله تعالى: أنه لا يقبل الإسقاط بعد الحكم به - من الفرد المعتدى عليه، ولا من المجتمع.

وموجبات الحدود سبع جرائم هي: الزنى، وقذف الناس في أعراضهم، وشرب المسكرات، والحرابة وهي قطع الطريق والإخلال بالأمن، والردة عن الإسلام، والسرقة، والبغي وهو التمرد على الحاكم بالإسلام، وقد فُصلت عقوبات هذه الجرائم في مواضعها من الكتب المتخصصة.

ثانياً: القصاص: وهو معاقبة الجاني على جريمة القتل أو القطع أو الجرح عمداً بمثلها.

ومن توابع القصاص الدِّية، وهي: مالٌ يُعطى لأولياء القتيل بدَلَ نفسه المقتولة، ومن توابعه أيضاً: الأَرْش، وهو: المال الواجب فيما دون النفس، تعويضاً عن النقص الذي لحق بالمعتدى عليه، ويسميه بعضهم: الحكومة، لأن أهل الاختصاص يحكمون به ويقدِّرونه.

ثالثاً: التعزير: هو في اللغة: المنع، والتأديب، وفي اصطلاح العلماء: عقوبة غير مقدرة في الكتاب والسنة، يجب استيفاؤها ممن ارتكب معصية تجاوز فيها حقوق الله تعالى أو حقوق الناس فيما ليس له كفارة.

ويُمثل لما يجب لحق الله تعالى بعقوبة من يأكل في نهار رمضان، ومن يتعاطى المخدرات أو يهرِّبها، ومن يزوِّر الوثائق والمستندات، ومن يرمي القاذورات في الطرقات والساحات ولا يلتزم بأنظمة النظافة... ويُمثل لما يجب الحق الناس بعقوبة من يعتدي عليهم بالضرب والشتم والإيذاء، أو يطلع على عوراتهم، أو يقلق راحة جيرانه.

تفويض القاضي في تقدير التعزير

فوَّض الإسلام القاضي في تقدير عقوبة التعزير، بحسب أحوال الجاني، وحجم الجناية وضررها، إذ ليس من الحكمة تقدير عقوبة تعزيرية واحدة عامة لكل الناس وإلزام القاضي بها، وإلا فقدت وظيفتها وهدفها، وكانت غير فاعلة ولا عادلة في كثير من الأحوال، لأن بعض الناس إذا خالفوا أنظمة النظافة - مثلاً - ينزجرون بالجزاء اليسير، وبعض الناس لا يردعهم عن ذلك إلا الجزاء الأشد نسبياً، وهكذا في بقية موجبات التعزير التي تتصل بحقوق الله تعالى، أو بحقوق الناس ومن ثم كان للقاضي أن يعاقب على الفعل الواحد بتعزير متفاوت، بحسب اختلاف الأشخاص ومنزلتهم ودرجة تأثرهم بالعقوبة.

وليس من خوف ولا ضرر في تفويض القاضي بالتعزير، لأن جرائمه غالباً ليس فيها من الخطر ما في جرائم الحدود والقصاص.

علماً بأن الشريعة لا تمانع في إيجاد هيئة عليا لمراقبة أحكام القضاة وتصرفاتهم كما يُفعل اليوم في محاكم التمييز أو الاستئناف ونحوه من التسميات المعاصرة، ما يجعل الأحكام

أكثر ملائمة لحال المجرم وحجم الجريمة.

وما تفويض القضاة - في الأنظمة الجزائية الوضعية - في اختيار عقوبة من مجموعة عقوبات على فعل محدد، إلا صورة من صور التعزير التي تُرك فيها الاختيار للقاضي.

ضوابط التعزير وموجباته

لم يحدد الإسلام جرائم التعزير كما فعل في الحدود والقصاص، بل أرشد إلى معالم ذلك ضمن ضوابط معينة، لأن نوازع الشر والجريمة في نفوس بعض الناس تتجدد ولا تنتهي، ومفاسدهم تتطور وتتنوع، فلا يتأتى في الفكر التشريعي إحصاء جميع الجرائم من الأشخاص والبلدان المختلفة في الأزمان المتعاقبة.

ومن هنا وضع العلماء ضابطاً لجرائم التعزير وهو كونه في المعاصي التي لا حد فيها ولا كفارة، بسبب إضرارها بالمجتمع أو بالأفراد، سواء في أنفسهم أو أحوالهم أو حقوقهم.

وحددوا المراد بالمعصية التي فيها التعزير بأنها: ترك الواجب وفعل المحرم إذا لم تكن هناك عقوبة مقدرة.

وقد ذكر العلماء السابقون أنواعاً من جرائم التعزير التي يعاقب عليها فاعلها، من مثل: إخفاء البائع عيوب المبيع، والتعامل بالربا، والتستر على المجرم وإيوائه، واليمين الغموس «الكاذبة»، والخيانة في الوظيفة العامة، والرشوة أخذاً وعطاء، وشهادة الزور، وتطفيف الكيل والميزان.

ويمكن أن نخرِّج عليها اليوم: مخالفة أنظمة المرور والبلدية والنظافة، والغش في العلامات التجارية والمكاييل والمواصفات والمقاييس، وإتلاف الأشجار والمصابيح في الطرقات والحدائق.

أنواع التعزير

من أنواع التعزير التي ذكرها العلماء ما يلي:

١ - القتل: أجاز كثير من العلماء القتل تعزيراً على الأفعال الفظيعة المنكرة، التي تؤذي الأمة وتسيء إلى كرامتها وقيمها ومستقبلها، ومن ذلك تجسس المسلم لحساب العدو، والدعوة إلى الأفكار الضالة والفساد الأخلاقي، والشذوذ الجنسي، وتهريب المخدرات، ونحو ذلك من الجرائم الخطيرة التي تعرِّض كيان المجتمع للتفكك وأمنه للخوف.

وعلى أن عقوبة القتل تعزيراً تتوقف - اليوم - على موافقة ولي الأمر، بعد أن تتم دراستها من لجان وهيئات عليا، تتوافر فيها النزاهة والعلم وبعد النظر والرحمة وتحمُّل المسؤولية.

والأصل في مشروعية القتل تعزيراً الآية ٣٣ من سورة المائدة: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتَّلوا...) وجاء في الحديث الذي رواه الترمذي وأبو داود: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به».

٢ - الجلد: وهو جائز عند عامة الفقهاء، وقد قضى الخلفاء الراشدون في رجل وامرأة وجدا في لحاف واحد، أن يُجلد كل منهما تعزيراً. والجلد من أكثر العقوبات الجسدية مرونة، لأنه يمكن أن تجازي به كل مجرم بقدر جريمته وحاله، فضلاً عن أنه لا يكلف الدولة أعباء مالية، ولا يعطل المعاقب عن العمل والإنتاج، ولا يعرّض أسرته للحرمان والضياع، لأن بإمكانه العودة إلى عمله أو بيته بعد وقت قصير.

وقد عملت به الأمم والحكومات منذ القديم، وأقرّه الإسلام، وتخلّت عنه أكثر الدول المعاصرة بحجة ازدياد النظرة المتعقلة إلى قيمة الإنسان، لكنَّ هذا المنع القانوني لم يثبت جدواه، فلا يزال الجلد عقوبة معمولاً بها في تأديب السجناء والعسكريين بمعرفة رجال القانون الذين يغضُّون الطرف عن ذلك لعلمهم باستحالة الاستغناء عنه.

والجلد في الشريعة الإسلامية يختلف عنه في غيرها، من حيث أدوات وصفاته والمواضع التي تضرب من الجسم، والملابس التي تخلع وعدد الجلدات ووقت الجلد برودة وحرارة.

وقد ذكر العلماء أن الجلد لا يكون بأداة تُدمي الجسم ولاتكسر العظم، وأنه لا يضرب الرأس ولا المواضع الحساسة في الجسم كالبطن والعورة والرقبة، وأنه لايجلد في وقت شديد الحر ولا شديد البرد مخافة موت المعاقب، ونحو ذلك مما فصّلوه في مواضعه الفقهية.

٣ - التغريب: ويُقال له أيضاً: النفي، وهو مشروع في الآية/ ٣٣، من سورة المائدة: (أو ينفوا من الأرض) وذكر ابن حجر وغيره: أن النبي ﷺ - نفى رجلاً مخنثاً يتشبه بالنساء إلى النقيع، وهو بلد صغير يبعد عن المدينة نحو ٤٠ كم.

وذكر أيضاً أن عمر الخطاب - رضي الله عنه - نفى نصر بن حجاج إلى العراق، ونفى كذلك صبيغ بن عِسل إليها، وكان يثير الشُبه أمام البسطاء من الناس.

والحكمة في التغريب أو النفي: إبعاد الجاني عن مسرح جنايته حتى ينساه الناس وينسوا جريمته، وتمكينه من بدء حياة جديدة في مكان جديد ليس له فيه سوابق سلبية.

ومن مستلزمات عقوبة التغريب أن تقوم الجهات المعنية بمراقبة المنفي وتتبع أحواله والاطلاع على سيره وسلوكه حتى يتحقق الهدف الذي من أجله كان النفي. روى عبدالرزاق وغيره أن عمر - رضي الله عنه - نفى صبيغ بن عِسل إلى العراق وكتب أن لا يجالسه أحد حتى حسنت توبته.

وقد أخذت الشعوب منذ القديم بالنفي فصارت تنفي المجرمين إلى خارج حدودها الوطنية، مما ترتب عليه مشكلات عديدة، حتى ألغي عقب الحرب العالمية الثانية.

هذا، ويعود وسرُّ نجاح

الجلد من أكثر العقوبات الجسدية مرونة لأنه يمكن أن تجازي به كل مجرم بقدر جريمته

عقوبة التغريب - عند المسلمين دون غيرهم - إلى أنهم أرادوا أن يكون النفي طريقاً للإصلاح وإعادة التأهيل لا التخلص من المجرم خارج الحدود الوطنية... ما مكنهم من متابعة سلوكه وتوجيهه وإصلاحه، كما وقع لصبيغ بن عِسْل وغيره ممن ذكرهم أبو الحسن المدائني في كتابه «المغرَّبين».

٤ - السجن: وهو تعويق الفرد عن التصرف بنفسه ذهاباً ومجيئاً وبيعاً وشراء... وهذا الحد من الحرية غرضه: ردع الجاني وإصلاح سلوكه حتى لا يتكرر إجرامه مستقبلاً.

وهو مشروع في الإسلام ففي الآية ١٠٦ من سورة المائدة (تحبسونهما من بعد الصلاة) في الآية ١٥ من النساء (فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت...).

وروى الدارقطني وغيره حديثاً شريفاً: «إذا أمسك الرجلُ الرجلَ وقتله الآخر، فيقتل الذي قتل، ويحبس الذي أمسك»، ورويت وقائع كثيرة حبس فيها رسول الله ﷺ أناساً في تهمة وفي جريمة... وحبس أصحابه من بعده في جرائم وموجبات، واتخذوا السجون وجعلوا فيها الحراس.

والسجن واحد من العقوبات التعزيرية المتعددة، وليس له الصدارة والأولية على غيره، وليس هو العقوبة الوحيدة، كما هو الحال في النظم الوضعية، بل هو أشبه بالعقوبة الاضطرارية، نظراً لما فيه من أضرار صحية ونفسية واجتماعية فضلاً عن إرهاقه خزينة الدولة، وتعطيله الأفراد عن العمل والإنتاج.

تتنوع العقوبة بحسب الجرائم المرتكبة إلى الحدِّ والقصاص والتعزير

ولا يجوز بحال من الأحوال تعطيل الحدود والقصاص والمعاقبة على جرائمها بالحبس، كما لا يجوز المعاقبة بالحبس على جريمة التعزير، إذا اعتقد القاضي انزجار الجاني وانصلاح حاله بغير الحبس.

وقد رتب الإسلام للمحبوس - حال الاضطرار إلى حبسه - حقوقاً ينبغي أداؤها إليه، من طعام وشراب وصحة وتعليم ورعاية اجتماعية... وأوجب تفقد السجون للوقوف على معاملة السجناء، والاطلاع على مدى تحسُّن أحوالهم الأخلاقية والسلوكية واستجابتهم للتوبة والتأهيل.

٥ - الهجر: ويقصد به المقاطعة الاجتماعية لوقت محدد، حتى يحسَّ الجاني بالوحدة والملل فينزجر ويعدِّل سلوكه.

وهو فعلي وقولي، مثال الأول: ما تقدم قريباً في نفي عمر صبيغاً إلى العراق، وأمره أن لا يجالسه الناس، ومثال الثاني: نهي النبي ﷺ أصحابه عن تكليم الثلاثة الذين خُلفوا في غزوة تبوك، حتى مكثوا على ذلك خمسين ليلة لا يكلمهم أحد.

والهجر عقوبة نفسية شديدة نوعاً ما، وهي معمول بها في السجون، حين يحبس السجين وحده في غرفة منفردة، لا يجالسه أحد ولا يكلمه.

٦ - الحرمان من بعض الحقوق: من أنواع التعزير منع الجاني من بعض حقوقه، كمنعه من السفر لموجب راجح، ومنعه من الوظائف الحكومية، لاتهامه في سلوكه وفي نزاهته، ومثل هذا منعه من الشهادة.

ولا يكون هذا المنع إلا بناء على موجبات ثابتة، تتحقق معها مصلحة المجتمع، روي عن عمر رضي الله عنه أنه حرم شاهد زور من أداء الشهادة بسبب «تعزير له».

وقد أخذت الكثير من الدول بمبدأ الحرمان من بعض الحقوق بناء على حكم قضائي ثبتت موجباته.

والغرض من ذلك تضييق دائرة الضرر المتوقعة من الجاني، وإلجاؤه إلى تعديل سلوكه وإصلاح تصرفاته في المستقبل.

٧ - عقوبات تعزيرية أخرى: هناك عقوبات تعزيرية أخرى تناسب المبتدئين أو الذين يرتكبون مخالفات محدودة الضرر، ويقصد بهذه التعزرات لفت نظرهم حتى يكفوا عن مثل هذه التصرفات، وحتى يحذر الناس منهم.

من هذه التعزيرات:

شهرُ الجاني والتعريف به حتى يحذره الناس، وأكثر ما يكون هذا في الأفعال المخلة بالثقة والأمانة كالغش التجاري وشهادة الزور، وقد شهر عمر رضي الله عنه - شاهد زور وأمر أن يُطاف به في الأسواق ليحذره الناس، ويمكن أن يستعاض عنه بالصحف المصورة أو الملصقات في أماكن سكن الجاني.

ويعرف هذا اليوم في الأنظمة الوضعية بنشر مضامين بعض الأحكام في الصحف المحلية.

ومن التعزير أيضاً الإحضار إلى المحكمة، وإعلام القاضي الجاني بذنبه، وعزله من وظيفته، والحكم عليه بالغرامة المالية، وفي جواز هذا الأخير خلاف قديم بين العلماء، إذ منعه بعضهم لئلا يتسلط الحكام على أموال الناس بغير حق.

ومن التعزير توبيخ الجانب وتهديده، فقد وبّخ النبي ﷺ رجلاً عيَّر آخر بأمه، وهدَّد قوماً أهملوا تعليم وتفقيه جيرانهم.

وقد أخذت بعض القوانين الوضعية المعاصرة بهذه الأنواع في الجرائم البسيطة وفي المخالفات وللمبتدئين والأحداث.

صفات العقوبة التعزيرية

لم يشرع الإسلام العقوبة من أجل الانتقام والتحقير وإهدار كرامة الإنسان، بل شرعها ضمن أهداف كثيرة منها:

١ - التقويم والإصلاح لا التحقير والشماتة: روي أن رجلاً حُدَّ في شرب الخمر مراراً فلعنه بعض الصحابة بعد جلده فقال له النبي ﷺ «لا تقل هكذا ولا تُعِن عليه الشيطان، ولكن قل: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه». رواه البخاري وأبو داود.

٢ - كونها على قدر الحاجة: حيث لا يجوز زيادة العقوبة مقداراً وزماناً عن الحد الذي يُظن انزجار الجاني به، كما لا يجوز العكس، لأن الهدف هو إقامة العدالة وإصلاح المسيء.

٣ - الحفاظ على آدمية الإنسان: لا يجوز شتم المعاقب ولا كشف عورته ولا تجويعه ولا تعريضه للحر والبرد أو تعطيل منافع جسمه، كما لا يجوز صفع الوجه، لما في هذه الممارسات من إهدار كرامة الإنسان وآدميته.

إن التعزير قسم من ثلاثة أقسام من العقوبات الشرعية، وهذا القسم له فروع كثيرة تصل إلى أكثر من عشرة فروع، يختار القاضي الأنسب منها ■

أستاذ الفقه المشارك في قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية - جامعة الملك سعود - الرياض

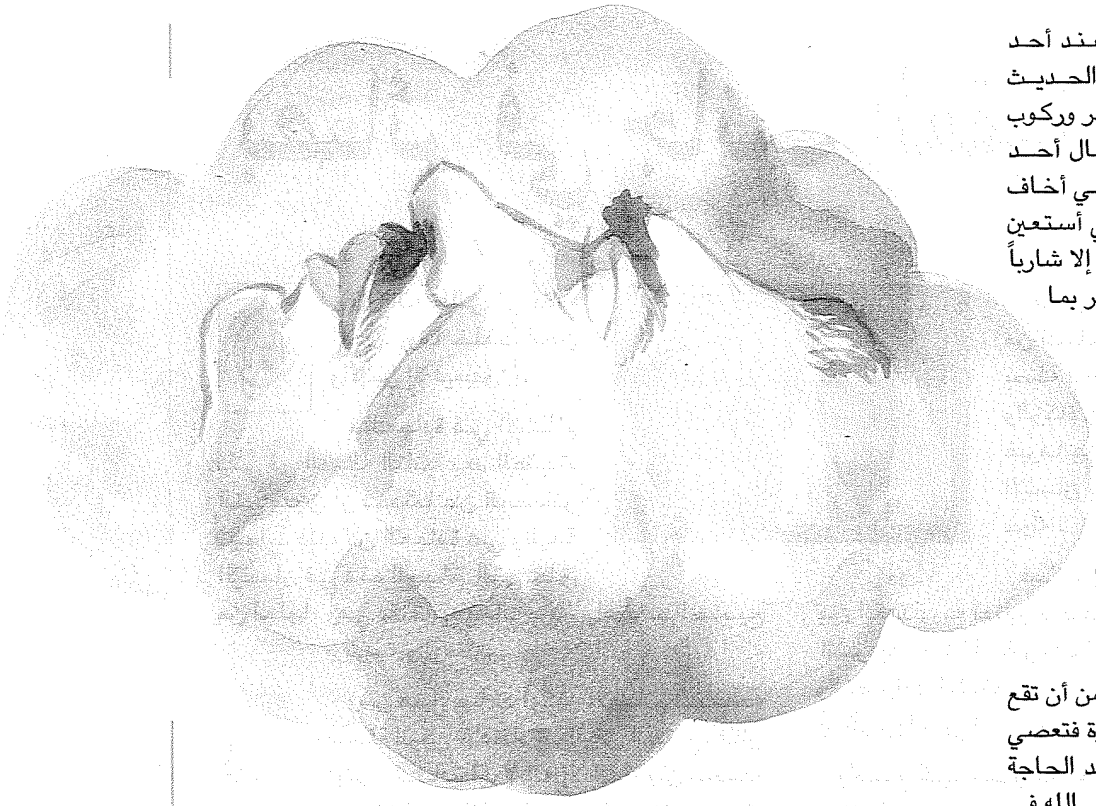

يستجير من الرمضاء بالنار

عبدالرحمن قرة حمود

في جلسة عند أحد الأصدقاء دار الحديث فيها عن السفر وركوب الطائرة، قال أحد الحاضرين: إني أخاف الركوب في الطائرة، ولكني أستعين على ذلك بالسُكْر، فلا أركبها إلا شارباً حيث أفقد وعيي، ولا أشعر بما أنا فيه.

قلت: عجباً لك، كيف تفرّ من عذاب محتمل - إن حدث فهو قصير الأمد - إلى عذاب مؤكد ومؤبد؟! إني لم أر أحداً ينطبق عليه المثل القائل: «كالمستجير من الرمضاء بالنار مثلك».

قال: ماذا تعني؟

قلت: إن شعورك بالخوف من أن تقع الطائرة يجعلك تشرب الخمرة فتعصي الله في وقت أنت فيه في أشد الحاجة إليه، فحتى الكافر يلجأ إلى الله في ذلك الوقت.

وإذا كان الكافر يلجأ إلى الله في تلك الساعة يسأله النجاة، فإن المؤمن بالإضافة إلى ما يأمله من إنجاء الله له، إنما يفكر بما هو أهم من ذلك.

قال: وهل هناك ما هو أهم من النجاة في تلك الساعة؟!

قلت: نعم. الموت على الإيمان فيما إذا لم ينج.

قال: يا سيدي، إن الله غفور رحيم.

قلت: وهو شديد العقاب.

قال: أنا عندما أشرب الخمرة لا أوذي أحداً، وكل همي هو نسيان ما أنا فيه من خوف.

قلت: حتى إذا تمَّ لك عدم إيذاء غيرك، وهو غير مضمون بسبب فقدك وعيك - فيكفي أنك تؤذي نفسك، فالخمر تضر بالجسم وبالروح، وإن لنفسك عليك حقاً، ومن قتل نفسه فهو في النار، وأهم من ذلك كله طاعة الله فيما نهى وأمر بغض النظر عن النفع أو الضرر. ثم هناك نكتة لو علمتها لقضيت عمرك كله مخموراً.

قال: وما هي؟

قلت: نحن دائماً في طائرة، وهل الكرة الأرضية إلا طائرة كبيرة؟ والفرق بين الطائرتين في الخطر يتناسب مع الفرق بينهما في الحجم. فالأولى إذا هوت تلقتها الثانية، أما إذا هوت الثانية فمن يتلقاها؟

قال: معك حق، ولكن هذا لا يخطر على بال.

قلت: لا يخطر على بال من لا يفكر، وقد صدق من قال: «تفكر ساعة خير من عبادة ستين عاماً»، وذلك فهماً من قوله تعالى: (إن في خلق السموات والأرض لآيات لأولي الألباب، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار).

قال: سامحك الله لقد أخفتني وخرج من المجلس ■

بصائر في جانب العقيدة (٤)

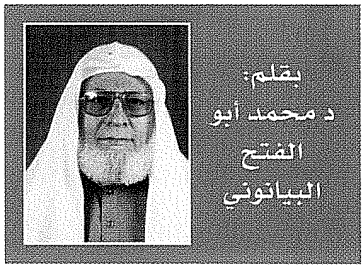

قال الله تعالى في كتابه المبين: (وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدون).

فالعبادة في الإسلام تأتي في الدرجة الثانية بعد العقيدة، التي سبق أن تحدثنا عن البصائر فيها... ذلك لأن العبادة هي وظيفة الإنسان في هذه الحياة، التي خلق من أجلها، وهي مقتضى إيمانه بربه، واعتقاده الصحيح بربوبيته وألوهيته.

ومن هنا: جاءت أركان الإسلام الخمسة شاملة للركن الاعتقادي والركن العبادي، فكان أولها شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وكان باقيها: الصلاة والزكاة، والصوم، والحج.

يجب أن تكون اهتمامات الداعية الأولى تصحيح مفهوم العبادة في النفوس

فالداعية للإسلام العظيم، يجب عليه أن يتبصر في دعوته إلى عقيدة الإسلام، ويجب عليه أن يتبصر أيضاً في دعوته إلى عبادة الله عز وجل، وذلك للقيام بواجبه نحو دينه من جهة، وتجلية لمحاسن العقيدة والعبادة فيه من جهة أخرى، ولعل من أهم البصائر الدعوية في جانب العبادة:

١ ـ أن يوجه الداعية اهتمامه في البصيرة الأولى إلى تصحيح مفهوم العبادة في النفوس، ليخلُصَ مفهومها مما شابه من شوائب مع مرور الزمان، ولعل أخطر هذه الشوائب التي شابت مفهوم العبادة في الإسلام عند كثير من المسلمين:

أ ـ الحصر لمفهوم العبادة في المعنى الخاص للعبادة، وهو «القيام بالشعائر التعبدية، وانحساره عن المعنى العام لها الشامل لكل عمل من أعمال العبد، والمنتظم لكل علاقة من علاقاته».

ب ـ قصر معنى العبادة عملياً على بعض المعاني اللغوية لها، الواردة في القرآن الكريم دون بعض.

أما عن المفهوم الأول: فقد فهم كثير من المسلمين أن العبادة أعمال تتعلق بصلة العبد بربه، كالصلاة والصيام، والزكاة والحج، وفصلوا بينها وبين غيرها من العلاقات الأخرى، كعلاقة الإنسان بنفسه، وعلاقته بالناس من حوله!!

فما كان من التصرفات والأعمال بين العبد وربه اعتبروه عبادة، وخضعوا فيه للأحكام الشرعية.. وما كان غير ذلك اعتبروه من الأعمال الدنيوية، والتصرفات الشخصية، التي لا يُرجع فيها إلى دين، ولا يُحكّمُ فيها شرع!!

وأصبح كثير منهم إذا ما سمع لفظة العبادة في آية قرآنية، أو حديث شريف، انصرف ذهنه إلى الصلاة والصوم والزكاة والحج فحسب!.

هذا المفهوم الضيق عن العبادة، وهذا الحصر لها بالشعائر التعبدية، والطقوس الدينية، يشبه إلى حد كبير مفهوم المشركين الأوائل للعبادات التي كانوا يمارسونها، والطقوس التي كانوا يؤدونها لأصنامهم وآلهتهم.

فكانوا يقولون (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) الزمر:٣.

ومن هنا اشكل على عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ معنى قوله عز وجل في اليهود والنصارى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) التوبة:٣١.

فقال عدي: إنهم لم يعبدوهم ـ أي لم يقدموا لهم الشعائر والطقوس ـ فأوضح له رسول الله ﷺ: «أن عبادتهم لهم إنما هي في اتباعهم، فقال: «إنهم حرَّموا عليهم الحلال، وأحلّوا لهم الحرام، فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم» رواه أحمد والترمذي.

وقد علل سيد قطب ـ رحمه الله ـ هذا في تفسيره، فقال:

«إنما أطلقت لفظة العبادة على الشعائر التعبدية، باعتبارها صورة من صور الدينونة لله في شأن من الشؤون، صورة لا تستغرق مدلول العبادة، بل إنها تجيء بالتبعية لا بالأصالة.

فلما بهت مدلول الدين، ومدلول العبادة في نفوس الناس، صاروا يفهمون: أن عبادة غير الله التي يخرج بها الناس عن الإسلام إلى الجاهلية هي فقط: تقديم الشعائر التعبدية لغير الله، كتقديمها للأصنام والأوثان مثلاً...

وأنه متى تجنب الإنسان هذه الصورة، فقد بعد عن الشرك والجاهلية، وأصبح مسلماً لا يجوز تكفيره، وتمتع بكل ما يتمتع به المسلم في المجتمع المسلم من صيانة دمه، وعرضه وماله.. إلى آخر حقوق المسلم على المسلم!.

ثم قال: «وهذا وهم باطل، وانحسار وانكماش، بل تبديل وتغيير في مدلول لفظ العبادة. ثم قال: والواقع إنه لو كانت حقيقة العبادة هي مجرد الشعائر التعبدية، ما استحقت كل هذا الموكب العظيم من الرسل والرسالات، وما استحقت كل هذه الجهود المضنية التي بذلها الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وما استحقت كل هذه الأعذبة والآلام التي تعرض لها الدعاة والمؤمنون على مدار الزمان...» في ظلال القرآن (١٩٠٢/٤ - ١٩٠٣) بتصرف.

كما أشار - رحمه الله - إلى أثر الاصطلاح الفقهي السائد في تقسيم النشاط الإنساني، إلى عبادات ومعاملات في تحويل هذا المفهوم - مع أنه كان أول الأمر مجرد تقسيم فني علمي! «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص ١٢٩».

هذا عن المفهوم الأول الذي شاب مفهوم العبادة بمعناها العام.

أما عن المفهوم الثاني: فقد استعمل القرآن الكريم لفظ العبادة استعمالات عدة أساسية يمكن تلخيصها في ما يلي:

١ - في معنى العَبْدية والطاعة معاً.

٢ - في معنى الطاعة فقط.

٣ - في معنى التأله.

٤ - في جميع هذه المعاني السابقة في وقت واحد.

فقصر بعض الناس معنى العبادة على واحد من هذه المعاني دون غيره، يخرجها عن معناها الشرعي العام الذي أراده الله منها.

ولعل من أبرز مظاهر القصر:

١ - استبعاد معنى «التأله» من مفهوم العبادة، وقصره على الطاعة والخضوع فقط، حيث أوقع بعض الناس في بعض مظاهر الشرك، من الاعتقاد بالخرافات، والعياذ بالجن والشياطين واللجوء إليهما - مع محافظتهم على الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها من الأحكام الشرعية الأخرى - كما هو ملاحظ في واقع كثير من المسلمين.

٢ - إشراك غير الله عز وجل مع الله في معاني العبادة، دون أن يستشعر المرء مناقضة ذلك للعبودية، وذلك كإشراك غير الله في الطاعة والاتباع، سواء كان هذا الغيرُ زوجة أو ولداً، أو حاكماً، أو شيطاناً، علماً أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق!

٣ - صرف الهمة لغير الله، وتفضيل أمره على أمر الله، كحب كثير من الناس للدنيا، وعبادتهم للشهوات والغرائز، دون أن يشعر بِقَدْح هذا في العبودية لله وتأثيره فيها!!

وإلى هذا ومثله أشار الرسول ﷺ بقوله: «تعسَ عبدالدرهم، تعسَ عبد الدينار...» رواه البخاري.

البصيرة تعد أولى البصائر في جانب العبادة التي يجب على الدعاة تفهمها

وقد حذَّر القرآن الكريم من مثل هذا المعنى فقال: (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) التوبة:٢٤.

إن هذا الاختلاف في مفاهيم العبادة في الإسلام، يهدد أعظم أساس في بناء الإسلام بعد الإيمان بالله عز وجل، وذلك بتشويه صورة العبادة التي أرادها الله من عباده، وخلق الإنسان من أجلها، وانصراف المسلمين عنها إلى مفاهيم ضيقة قاصرة لا تحقق غاية العبادات ولا تترك أثارها في حياة الناس.

ومن هنا أرى أن هذه البصيرة تُعدُّ أولى البصائر في جانب العبادة، التي يجب على الدعاة تفهمها، وتفهيمها للناس، لتصح عباداتهم، ويسلم دينهم.

والحمد لله رب العالمين ■

كلية الشريعة - جامعة الكويت

البصمات الحضارية لمولد الرسول ﷺ

بقلم : مصطفى محمد طه

هنالك عبر مسيرة البشرية المديدة على ظهر هذا الكوكب الأرضي، توجد لحظات تاريخية حاسمة توقف عندها التاريخ طويلاً، لكي يسجل بصماتها الحضارية الحيّة على جبين الحياة وذلك لأنها تعد- على الحقيقة- بمثابة مفترق الطرق في حياة الأمم عبر العصور. ومن هذا المنطلق التاريخي، فإننا نعتقد جازمين وخصوصاً بعد المعايشة الحية للتاريخ الإنساني، عبر حقبه الطويلة، وحضاراته المتباينة بأن ميلاد سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، كان ولا يزال وسوف يظل - إن شاء الله - هو أكبر تحول حضاري، عرفه التاريخ البشري.

ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا وبكل موضوعية، أنه هو التحول الحضاري الأوحد الذي غيّر ملامح الحياة الإنسانية- ليس على المستوى العربي فقط بل على المستوى الكوني بأسره- وذلك لأنه تولّد عنه تغييرات جذرية رفدت الحياة بكل المفاهيم الإيمانية والحضارية الحقة التي ساعدت مساعدة حيوية على تشكيل الإنسان- المسلم- وصياغته صياغة أقل ما يقال عنها إنها صياغة إيمانية شاملة، مما أهّل هذا الإنسان الذي تربى على مائدة محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، أن يشكل وفي مدة زمنية ليست بالطويلة- من المنظار الزمني- حضارة تعتبر من أعظم حضارات التاريخ البشري قاطبة. ولعل هذا هو الذي جعل من ميلاد الرسول الأكرم ﷺ بصمة حضارية خالصة، بصمت بميسمها الأغر على جبين التاريخ البشري لمسات إيمانية حية، أضفت طابعاً من الإشراق على الحياة الإسلامية بخاصة والبشرية بعامة.

ومن هنا يمكن القول إن ميلاد محمد ﷺ الذي كان في الثلث الأخير من القرن السادس الميلادي ذلك القرن الذي شهد ظروفاً تاريخية تكاد تكون مماثلة تماماً لتلك الظروف التاريخية التي نحياها اليوم، نحن الذين نعيش في أواخر القرن العشرين قد ترك بصمات حضارية لا يمكن إنكارها بأي حال من الأحوال. ويؤكد الاستقراء التاريخي، على أنه كانت تسيطر على مقدرات العالم التاريخية ومكاسبه الحضارية آنذاك، امبراطورية فارس في الشرق - حيث كانت الشيوعية الفوضوية هي طابع الحياة فيها- وفي الغرب كانت الأمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية)- حيث كانت الإنحلالية هي طابع الحياة فيها- كما هو الحال اليوم في عالمنا الراهن سواء في الشرق أو الغرب- وقد أشار إلى ذلك الدكتور عبد الحليم عويس. وقدّم عنه تحليلاً تاريخياً عميقاً، مفعماً بالرؤية الإسلامية لتفسير التاريخ في كتابه القيّم (في ظلال الرسول ﷺ).

وبعد هذه المقدمة البسيطة نرى أنه لزاماً علينا أن نقوم بتحليل الأوضاع التاريخية التي ولد فيها سيدنا محمد ﷺ، في شبه الجزيرة العربية وما جاورها من البلاد التي تأثرت أو أثرت فيها. ثم ننطلق بعد ذلك إلى عقد مقارنة تاريخية بين ميلاد الاسكندر الأكبر- الذي يعد أعظم الشخصيات التاريخية في العصور القديمة، وفقاً لتصور بعض المؤرخين- وبين ميلاد سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ. وذلك حتى يتبين للقارىء، وبصورة ناصعة، أي الميلادين كان له بصمات حضارية واضحة القسمات على مسيرة البشرية من حيث الفاعلية الإيمانية، والديناميكية الحضارية المتفجرة فضلاً عن الاستمرار التاريخي لكل منهما.

صلى الله عليه وسلم

ولكي تكتمل الأبعاد الحقيقية لهذه المقارنة من المنظور التاريخي البحت، فإنه لابد من معرفة لماذا لم يبق المد الإشعاعي للإسكندر الأكبر حضارياً بعد موته؟ بينما بقي مدُّ سيدنا محمد ﷺ سواء على المستوى الإيماني أو الحضاري، إلى يومنا هذا؟ وسيبقى هذا المد الإشعاعي نامياً متطوراً طالما هناك حياة إنسانية راشدة على ظهر هذا الكوكب الأرضي، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أضف إلى ذلك أنه يكتسب إلى صفه كل يوم المزيد والمزيد من المؤمنين به في جميع الأوساط الثقافية والفكرية المتميّزة التي تطبع العصر بطابعها الفكري والفلسفي. وفي هذا دلالة أكيدة، على عمق الأثر الفكري الفاعل، والمتدفق بشتى العطاءات الإيمانية والحضارية لميلاد سيدنا محمد ﷺ، كرسول- من أولي العزم من الرسل عليهم صلوات الله وسلامه- فضلاً عن كونه إنساناً واعياً في الحياة، وفي النهاية كصانع ورائد لحضارة فذّة ألا وهي الحضارة الإسلامية.

إشراقة النبوة

وبادىء ذي بدء نؤكد أن سيدنا محمد ﷺ، قد ولد في تلك البقعة التي تحتل موقعاً وسطاً من العالم- من وجهة نظر الجغرافيا الفلكية- وفي هذا مؤشر حيوي على أن الإشعاع الإيماني، الذي تنامى مع ميلاد سيدنا محمد ﷺ، كان مقدراً له أن يحقق ذلك الانتشار الحضاري، عبر الآفاق الرحبة من العالم شرقاً وغرباً. وهذا راجع إلى أنه شعّ ولا يزال- وسوف يظل إن شاء الله- يشع من هذا المنبع الوسط، الذي كان بمثابة البؤرة التي تنطلق منها الإشعاعات الروحية والحضارية لهذا الميلاد الأغر الميمون، في نمطية متناغمة حققت التوازن المنشود منها.

ويؤكد الواقع التاريخي أنه [قد ولد في العام الميلادي (٥٧١م)، أي عام الفيل الموافق ليوم الاثنين ١٢ ربيع الأول(١). ومسار حياة الرسول الأعظم ﷺ في الجاهلية، وما واكب هذه الحياة، من تبدّل في الأوضاع الاجتماعية الخاصة به، من حيث كونه نشأ يتيم الأب والأم، ثم كفله جده (عبد المطلب بن هاشم) له، ومن ثمَّ كفله عمه «أبو طالب بن عبد المطلب» له، كل هذا أمور تاريخية معروفة لجميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وهذه ناصعة نصاعة الشمس في رابعة النهار. ومن هنا فإننا نرى أنه ليس هنالك ضرورة منهجية تدعونا لسردها هنا حسب سياقها التاريخي، ولكن الذي يهمنا - وفقاً للمنظور النسقي البحت- هو سبر أغوار التاريخ، من خلال التحليل الدقيق للظروف البيئية التي تربى فيها سيدنا محمد ﷺ كطفل غض التكوين، ثم شاب يافع حتى صار رجلاً، وجاءته النبوة المباركة وهو في الأربعين من عمره.

وذلك لنعرف مدى التغيير الجذري، الذي أحدثه هذا الميلاد المبارك لتلك الشخصية الفذة التي قدر لها أن تكتب الصفحة الأخيرة في الصلة العضوية الحيّة ما بين السماء والأرض بشأن نزول الرسالات السماوية. وإذا ما جئنا إلى الواقع التاريخي لشبه الجزيرة العربية في غضون هذه الآونة التي ولد ونشأ فيها محمد ﷺ قبل بعثته المباركة. فإننا نستطيع أن نؤكد أن الرسول ﷺ قد نشأ قبل بعثته أمياً... وعاش أمياً بين قوم أميين مجردين من أي رصيد ثقافي، أو أي خلفية حضارية مؤثرة. والقرآن الماجد يبلور لنا هذه الحقيقة بجلاء عندما يقول الحق وهو أصدق القائلين: «هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين» «الجمعة:٢». ولأميته وظهوره بين قوم مغرقين في الأمية... حكمتان من حكم الله سبحانه وتعالى، حتى تكون معجزة النبوة الخالدة والشريعة الإسلامية الغرّاء واضحة في الأذهان لا لبس بينها وبين الدعوات البشرية المختلفة(٢).

ومن هنا كانت حياته الصافية- ﷺ- وسط هذا الركام الجاهلي الآسن بمثابة الإرهاصات الإيمانية والومضة الحضارية البارقة التي تنامى نورها، ومدها الإشعاعي إلى أن أصبحت بمثابة انبثاقة وضاءة وإشراقة خالدة انبلجت وغيَّرت معالم الحياة في شبه الجزيرة العربية، وعالم القرن السابع الميلادي ومن ثم قلبتها رأساً عن عقب، ثم تواصل عطاؤها الخيّر ولا يزال وسوف يظل بإذن الله تعالى.

وحتى يتسنى لنا فهم الأبعاد الحقيقية لتلك اللمسات الإيمانية، والبصمات الحضارية التي نتجت عن ميلاد سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، وأحدثت بالتالي تغييراً جذرياً في بنية ونسيج الحياة العربية الجاهلية، قبل انبثاق فجر الإسلام الأبلج في ليل الجاهلية البهيم. فإنه لابد من معرفة قيم الجاهلية العربية، التي كانت ملامحها النشاز هي السمة الأساسية لحياة الإنسان العربي القديم، قبل إطلالة الإسلام على حياته.

ولعل أهم هذه السمات البارزة، أن التطور الحضاري- وبالذات الجانب الثقافي منه للأمة العربية، كان قد تعرض في السنوات الأولى من حياة الرسول الكريم ﷺ قبل البعثة النبوية المباركة إلى أزمة عنيفة هزت أركان الحياة القبلية في شبه جزيرة العرب كلها وأصابت بالشلل جميع الأنظمة القبلية على اختلاف مظاهرها، من ممالك في اليمن، وإمارات على أطراف الهلال الخصيب ومشيخات في جوف بلاد العرب وبخاصة في مكة وكان قوام هذه الأوضاع هو الصراع الحاد بين الروح الفردية التي فطرت عليها النظم القبلية وبين المحاولات التي قامت بها مجموعة من القبائل لبناء أحلاف تصلح نواة لمجتمعات سياسية كبرى.(٣)

لقد كان هذا الواقع الحضاري المتأزم لشبه الجزيرة العربية إبان الميلاد الأغرّ للرسول الأعظم عليه هو بمثابة إفراز طبيعي لتلك الظاهرة الكبرى في تاريخ بلاد العرب قبل الإسلام. ونعني بها سيطرة النظم القبلية على حياة السكان فيها ونشاطهم سيطرة كاملة. ويرجع السبب الحيوي في سيادة تلك الظاهرة إلى أنها جاءت خير نموذج للتطبيق العملي لتأثير «قانون البيئة»، الذي ينظم القواعد التي يقوم عليها «العمران»، وهو ما يقصد به الاجتماع الإنساني الذي تتولى فيه النظم توجيه السلوك الجمعي للأفراد على نحو يكفل لهم مطالبهم المادية والمعنوية في الحياة(٤).

إشراقة النبوة

وبناءً على ما سبق فقد اختلف الباحثون وهم بصدد التقييم الموضوعي- من المنظور الحضاري- لحال بلاد العرب قبيل ظهور الإسلام، فقال بعضهم إنه كان هناك نهضة تقدمت بعثة النبي ﷺ، وأن العرب كانوا على استعداد لقبول دعوة الإسلام المشرق، وأنكر آخرون كل ما يطلق عليه كلمة استعداد ونهضة، وجعلوا العرب في هوة سحيقة من الانحطاط الأدبي والأخلاقي والسياسي والديني وأخيراً الحضاري. وفي هذا الإطار يقول المستشرق «لوثروب ستودرد»: «كيف لا وكان العرب- قبل الإسلام- قد فاقوا آباءهم وأجدادهم إيغالاً في الشرك والوثنية، وانقضى عليهم وهم على هذه الحال عهد ليس بالقليل حتى استحالت عناصر أمزجتهم من شدة ذلك كله فصاروا توّاقين بفعل غرائزهم وأخلاقهم إلى تبديل حالهم وتحسين شأنهم. هكذا كانت حالهم العقلية والنفسية لما صاح فيهم نفير الإسلام».(٥)

ومن هنا تأتي حيوية دراسة السمات البارزة، التي وسمت حياة سيدنا محمد ﷺ قبل بعثته الميمونة، وكانت حقيقة إرهاصات إيمانية وحضارية مهدّت لظهور الإسلام -كدين وحضارة- إلى الواقع البشري المعاش. ولعل أبرز هذه السمات أنه ﷺ كان يتحنث على دين أبيه إبراهيم- أبو الأنبياء عليه السلام- ولا فرق بين دين إبراهيم ونوح وموسى وعيسى بالنسبة لنوع العبادة التي ينتهجها مفكر تجاه خالق الكون، أو تجاه باحث عن الحقائق الكبرى الكلية ولا مجال بالتالي لأي خلاف حول هذه القضية - الإيمانية إذ إنه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، لم يكن يمارس شعائر دينية يمكن أن تنسب إلى دين معين، وإنما كان يمارس تطهيراً للنفس وتفكيراً في عظمة الخالق الأكمل، وفيما وراء هذا العالم الظاهر، وفي اختلال الأوضاع والقيم التي كانت تسيطر على المجتمعات الجاهلية العالمية سواء في المجتمع الفارسي أو في المجتمع الروماني، أو حتى في داخل شبه الجزيرة العربية الضائعة في ذلك الحين(٦).

وبناء على ما سبق فقد كان ﷺ منذ نعومة أظفاره بعيداً عن دنس الجاهلية العربية وفسادها المدمر الذي أغرق القوم في جحيمها. وفي سيرته العاطرة العابقة بشذى الفطرة السوية والمضمخة بندى الاستجابة لنداء قلبه الصافي قبل البعثة الدليل الناصع الذي لا يقبل الجدل ولا المراء، على أنه ﷺ قد خُلق ليؤدي رسالة سامية عظيمة الشأن. فميّزه الله بأخلاق عالية وصفات حسنة، لم يتحل بها غيره من عفة اللسان وطهارة الجنان وصدق الحديث وقوة الأمانة. وكان لهذه الصفات الحميدة الاحترام والإجلال من قومه على اختلاف مذاهبهم حتى أنهم سمّوه بالأمين(٧).

لذا نؤكد أن هذه الحياة الصافية- لرسولنا الأكرم ﷺ قبل بعثته الخالدة- كان رائدها الأول والأخير، هو البحث الدقيق عن الحقيقة الناصعة ومن ثم عبادة الخالق الواحد عزّ وجل في علاه عن طريق الخلوة والتفكر في ملكوته الواسع وكونه الرحيب إنما كانت هي البوتقة الإيمانية - إذا صحّ التعبير- التي انصهرت فيها تلك الإرهاصات التي سادت شبه الجزيرة العربية من حيث عزوف البعض عن عبادة الأصنام، وظهور ما سمي- تاريخياً- بالحنفاء الذين دعوا إلى عبادة إله إبراهيم - عليه السلام- وهو الخالق الأعظم والموجد الأكمل. وكان من أشهرهم ورقة بن نوفل، وعثمان بن الحويرث، وزيد بن عمرو بن نفيل. وهم الذين كانوا كارهين في المجتمع الجاهلي لبعض القيم الجاهلية النكراء. ولكن واحداً من هؤلاء لم يبلغ جزءاً من ألف جزء مما بلغه كمال الرسول ﷺ الخلقي والنفسي حتى صار مضرب المثل، بين أهل مكة في هذا السياق والإطار الطبيعي لهذه الجوانب جميعاً. وقد اتبعه بعض هؤلاء أنفسهم- وقال له ورقة بن نوفل والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة. ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ولتكذبن ولتؤذين ولتخرجن ولتقاتلن. ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه(٨).

وبعد أن تناولنا أبعاد الواقع التاريخي للبيئة الحضارية التي ولد فيها سيدنا محمد ﷺ، قبل بعثته المباركة، بعيداً عن هذا المُناخ الجاهلي الصاخب، عبر الإطار الإيماني المتفرد الذي التزمه وانتهج معالمه البارزة، لكي يكون ميسماً متميزاً يطبع حياته بهذا الطابع السلوكي الفريد. نرى أنه لزاماً علينا، أن نأتي إلى عقد المقارنة الحضارية المتوازنة، بين ميلاد الاسكندر الأكبر، وميلاد الرسول الأكرم محمد بن عبد الله ﷺ، وذلك لكي يتسنى لنا بلورة الملامح العامة والخاصة للبصمات الحضارية الحية لميلاد كل منهما، على مسيرة الحضارة البشرية من المنظور الإيماني والحضاري.

وفي ضوء هذا المنطلق نستطيع أن نقول: إن ميلاد الإسكندر كولي للعهد في بلاد كانت تتمتع بحضارة عريقة ناضجة مرموقة وتتوافر فيها سبل الحياة. حيث إن تاج الملك كان ينتظره، فتقلده وهو شاب يافع، وحماس الشباب وحب الانتقام دفعه إلى أن يقوم بحملته العسكرية الكبيرة

إشراقة النبوة

كي يثأر للاغريق من الفرس الذين اقتحموا بلادهم من قبل ونكلوا بهم في عقر دارهم. واصطحب الإسكندر معه في حملته عدداً كبيراً من الفنانين والعلماء من أهل بلده لغرض نشر الحضارة الإغريقية الهلينية في الأقطار التي أخذ يفتحها الواحد تلو الآخر، ويقطع كلاً منها لقائد من قواده يتوارثه أولاده من بعده، إلى أن انقرض حكمهم بعد فترات من الوقت سواء طالت أو قصرت. وكان هدف الأسكندر من ذلك أن يُصبغ تلك الأقطار بصبغة إغريقية تجعلها خاضعة أبداً للنفوذ الإغريقي(٩).

فهل يا ترى تحققت نبوءة الإسكندر وحلمه الحضاري الأوحد وبقيت هذه البلاد خاضعة دائماً وأبداً للسيطرة الأغريقية واصطبغت إفرازاتها ومنجزاتها الحضارية بالطابع الأغريقي «الهليني كما كان يريد الإسكندر الأكبر؟!. وللإجابة عن هذا التساؤل الحيوي يمكننا القول: إن السياق التاريخي لمشروع الإسكندر الحضاري هذا يؤكد أن جزءاً كبيراً من الثقافة والفنون التي جاءت إلى تلك الأقطار، قد ذاب مع الوقت في الحضارات المحلية التي أخذت تعود إليها بعض الملامح الأصلية التي كانت سائدة في كل قطر منها من قبل، وبدأت تتبلور منها حضارات جديدة تميز كل منها بطابع وذوق محليين مع بقاء بعض الرواسب من الحضارة الهلينستية في مجرى الحضارات الجديدة، وكانت تتضح تلك الرواسب أحياناً وتختفي أحياناً أخرى. فقامت الحضارة البوذية الأغريقية في الهند، وقامت الحضارة الفارسية ومن بعدها الساسانية في العراق وفارس، وبقيت الحضارة الهلينستية في الشام إلى أن انتشرت المسيحية هناك وقامت الحضارة البيزنطية. وقامت الحضارة البطلمية في مصر ومن بعدها الرومانية ثم البيزنطية المسيحية المعروفة بالقبطية. وقد احتكت الحضارة الإسلامية في بادىء الأمر، وهي في مرحلة تشكيلها بتلك الحضارات المتباينة(١٠)، في الأصقاع الحضارية المتفرقة التي كانت مسرحاً للحضارة الهلينستية، وشهدت مواطن الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري بينها وبين الحضارة الإسلامية الوليدة.

أما على الصعيد الآخر أي الشق الثاني للمقارنة- فيما يخص ميلاد الرسول ﷺ- فإننا نجد بعد استلهام الدليل الموضوعي من واقع التاريخ الحي أن محمداً النبي العربي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام قد ولد يتيماً لا جاه ولا مال له إلا ما منحه إياه من كفله من أقاربه. وكانت نشأته متواضعة وسط مجموعات من القبائل تقيم في بقاع تقرب أو تبعد عن بعضها بعضاً تبعاً للبيئة التي تجدها القبيلة منها صالحة لها. وكُلف محمد ﷺ من ربه بالدعوة إلى الدين الإسلامي الخالد، بعد أن بلغ مرحلة الرجولة الناضجة. فقام يهدي الناس إلى ما فيه خيرهم وخير الإنسانية جمعاء. فقد بدأ دعوته باللين والترغيب والتسامح حتى بادأه أعداؤه بالكيد والعدوان. فلم يجد مناصاً من دفع الأذى عن المسلمين وعن نفسه حتى انتصر وانتصرت دعوته الخالدة معه. وتابع خلفاؤه من بعده نشر الدعوة ، وتوسعوا في سبيل ذلك بالحرب حيناً وبالسلم أحياناً، حتى دخلت تحت لواء الإسلام معظم الأقطار التي كان الإسكندر المقدوني قد أخضعها من قبل. بل إن المسلمين لم يكتفوا بها بل أضافوا إليها أقطاراً أخرى. وتغلغل الإسلام في تلك الرقعة الشاسعة من الأرض وانتشرت فيها جذوره. ولكن على عكس ما حدث للحضارة الهلينستية التي ذاب أكثرها في الحضارات المحلية للمناطق المختلفة - كما ألمحنا من قبل- فإن الإسلام هو الذي أذاب كثيراً من تلك الحضارات وصهرها في بوتقته، ومن ثم فقد نشأت على أيدي المسلمين حضارة إسلامية يانعة نقية في جميع الأقطار، وبإشراف وتوجيه من المسلمين، أخذت تزداد نضجاً وازدهاراً كلما تعاقبت العصور وظلت متماسكة مترابطة في العالم الإسلامي كله على الرغم مما أصاب هذه الأقطار من تفكك الروابط السياسية، واستقلال الكثير منها بنفسه، ومما مرّ به معظم تلك البلاد من أزمات طاحنة وحروب شعواء في أوقات عصيبة(١١).

وهكذا نستطيع أن نخلص مما تقدّم إلى أن البصمات الحضارية الحية - التي أفرزها كل من ميلاد الإسكندر الأكبر وميلاد الرسول الأعظم ﷺ - تتباين فيما بينها تباين الحق البواح والباطل البيّن. فلقد أظهرت منجزات الإسكندر على المستوى الحضاري البحت مدى الروح العدوانية الصارخة التي حرّكت سلوكيات الإسكندر. لذا يتساءل المرء لماذا اصطبغت تصرفات الإسكندر بهذه الروح الشريرة، بينما كانت سلوكيات الرسول الأكرم ﷺ حتى قبل البعثة المباركة ذات نزعة إنسانية رفيعة؟!. والإجابة على هذا هي أن سلوكيات الرسول الأكرم ﷺ، كانت تحدوها السماء وتؤهلها لصناعة وصياغة أكبر تحول حضاري قُدر للتاريخ أن يشهده عبر الأعصار المتطاولة، بينما كانت تصرفات الإسكندر تصرفات مترعة بالنرجسية «حب الذات» القاتلة.

ومن هنا نستطيع أن نؤكد تأكيداً جازماً - ونحن بصدد بلورة الفوارق الجذرية بين بصمات ميلاد محمد ﷺ، وميلاد الإسكندر الأكبر من الوجهة التاريخية- أنه مهما

إشراقة النبوة

يكن من أمر فإن أشد الناس تعصباً لا يمكنه الإقلال من شأن النتائج الحضارية العظيمة التي حدثت في تاريخ البشرية، وترتبت على يدي محمد النبي العربي ﷺ وعلى قيامه ببث الدعوة إلى الدين الإسلامي الخالد، وعلى انتشاره في منطقة كبيرة من العالم، فإن ما أحدثه محمد بما أتى به من عقيدة وتعاليم يدعو بها الناس إلى عبادة رب واحد عظيم، وإلى خلق قويم، ويرشدهم إلى ما فيه صلاحهم وصلاح البشرية. كل ذلك يعد نقطة تحول مهمة في مجرى حضارات العالم قاطبة. فضلاً عن أنه ترك بصمات حضارية باقية ما بقيت الأرض والسماء.

ومن هنا فإنه لا يمكن مقارنة هذا الحدث بأي حدث آخر في تاريخ البشرية. ومبعث هذا هو أنه لا يوجد حدث يقترب منه من بعيد سوى قيام الإسكندر المقدوني بحملته الكبيرة، وما ترتب عليها من نشر أفكار وثقافات وتقاليد حضارية نبعت من بلاد الإغريق وانتشرت في رقعة كبيرة من غرب آسيا والشمال الشرقي من أفريقيا، وبذلك تشابهت بعض نتائج حملة الإسكندر بما أسفرت عنه دعوة محمد ﷺ. غير أن الظروف التي أحاطت بكل منهما في نشأته، وكذلك الحوافز التي دفعت بكل منهما في طريقه كانت مختلفة في كل من الحالين اختلافاً كلياً(١٢).

وأخيراً، كانت تلك المؤشرات الآنفة، مجرد انطباعات إيمانية، بلورناها وفقاً لرؤية إيمانية وذلك من منطلق كوننا مسلمين تجاه حدث كوني فذ، يعتبر من أخطر أحداث التاريخ الإسلامي خصوصاً والبشري عموماً. بل هو أكثرها على الحقيقة تفرداً وسموقاً من الوجهة الحضارية البحتة، لأنه واكبه انبثاق جديدة لتلك القيم المشعة ذات الطابع الأخلاقي، التي سادت في شبه جزيرة العرب، بعد غروب الجاهلية الدامس، ما أدى إلى انبجاس فجر الإسلام المشرق، الذي أطل على الدنيا بازغاً معلناً لها الميلاد الحقيقي لقيم الجمال والحق والخير. وكلما تقدمت الأعصار ودارت الأيام دورتها الطبيعية وتوالت الحقب تلو الحقب، اكتسب المد الإيماني والحضاري الحق لميلاد الرسول محمد ﷺ المزيد والمزيد من الإنصاف والتقييم الموضوعي، وهذا راجع إلى كونه زاداً إيمانياً وحضارياً يُغذي الأمة الإسلامية، بل الإنسانية جمعاء، بكل ما هو فعّال، على طريق الارتقاء الحضاري الأمثل. ولله درُّ القائل:

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء ■

دراسات عليا - مرحلة الدكتوراه - جامعة بيروت العربية

المراجع :

(١) أ.د. عبد الحليم عويس- في ظلال الرسول [- دار الاعتصام- القاهرة- ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م. ص٤٤.

(٢) أ.د. عبد الحليم عويس- مرجع سابق - ص٣٩.

(٣) أ.د. إبراهيم أحمد العدوي- تاريخ العالم الإسلامي «عصر البناء والانطلاق» - الجزء الأول- مكتبة الانجلو المصرية- القاهرة- ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. - ص٣٣.

(٤) أ.د. إبراهيم أحمد العدوي- النظم الإسلامية «مع دراسة تطبيقية في مصر الإسلامية»- مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة- ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م. - ص١.

(٥) أ. عمر رضا كحاله- العالم الإسلامي «العرب قبل الإسلام- البعثة المحمدية»- الجزء الأول- المطبعة الهاشمية- دمشق- الطبعة الثانية- ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م - ص١١١-١١٢.

(٦) أ.د. عبد الحليم عويس- مرجع سابق- ص٤٩-٥٠.

(٧) أ.د. إبراهيم الشريقي- التاريخ الإسلامي «خلال أربعة عشر قرناً منذ العهد النبوي وحتى العصر الحديث»- رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة- الطبعة الثانية- ١٣٩١هـ- ١٩٧١م- ص٢٨.

(٨) أ.د. عبد الحليم عويس- مرجع سابق - ص ٥٣.

(٩) أ.د. مهندس فريد شافعي- العمارة العربية في مصر الإسلامية «عصر الولاة» - المجلد الأول - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر- القاهرة- ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م- ص٧٣-٧٤.

(١٠) أ.د. مهندس فريد شافعي- مرجع سابق - ص٧٤.

(١١) مرجع سابق - ص٧٤-٧٥.

(١٢) مرجع سابق - ص٧٣.

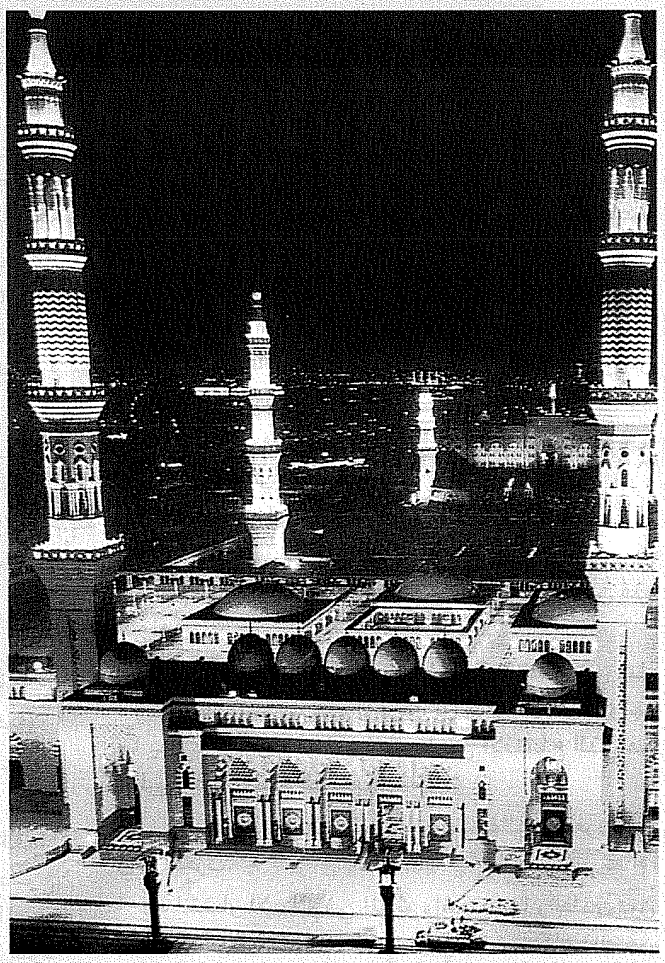

في ذكرى مولد الرسول محمد ﷺ يطيب لي أن أذكر أن الله قد أكرم به الإنسانية حيث جعله نوراً يهتدى به.

(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم)

المائدة: ١٥.١٦.

أدَّبه الله وعلَّمه كيف يتعامل مع خلائق الإنسانية المتغايرة المتنافرة فأنزل عليه قوله تعالى: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)

الأعراف: ١٩٩.

بقلم: الخضري عبدالمنعم خليل

خاتم المرسلين في نظر المنصفين من المستشرقين

سما رسول الله ﷺ عن عثرات الناس وقصور معارفهم وإدراكهم لعظيم قدره، وعلو منزلته، إذ من سمات العظماء أن ينأوا عن الصغائر وأن تبرز خصائص النفوس الزاكية عند جهل الجاهلين.

هذا النبي الذي حباه ربه بنعمه ففضله على جميع خلقه وكرَّمه وأكرمه بميزات لم يعطها غيره من الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام. وبما لاطفه به وواساه، وامتدحه، وأثنى عليه، وبما كمل به محاسنه خلقاً وخلقاً وبما أضفاه عليه من أسمائه: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) التوبة:١٢٨.

وقد جعله أماناً لأمته لقوله تعالى: (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله مُعذبهم وهم يستغفرون) الأنفال:٣٣.

إشراقة النبوة

إن أول ما يقع بصر الإنسان على رسول الله يشعر أنه أمام جمال مدهش لا مثيل له ومظهر يوحي بثقة لا حد لها وهذا ما ينعقد عليه إجماع من شاهده ﷺ.

وما عرف التاريخ إنساناً كمل في كل الجوانب إلى أعلى درجات الكمال غير محمد ﷺ، بشهادة العدو والصديق والمؤمن والكافر. وما بلغ أحد في تاريخ البشرية ما بلغه سيدنا محمد ﷺ في تلك الجوانب كلها ولقد حظي نبينا محمد ﷺ بإنصاف الكثير من الفلاسفة والمستشرقين ومن هؤلاء:

١ ـ بوزورت أسمت حيث يقول: «إن محمداً بلا منازع أعظم المصلحين على الإطلاق».

٢ ـ هنري ا لفرنسي يقول في معرض الاستدلال على صدق رسالة محمد ﷺ: «لسنا نحتاج في إثبات صدقه إلى أكثر مما يلي:

أ ـ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب وهذا الوصف لا يعارض فيه أحد.

ب ـ إنه لم يسترشد في دينه بمرشد يتقدمه.

ج ـ وإنه كان ينفر من عبادة الأوثان وتعدد الآلهة وكان يعرف بوجدانه الواحد الأحد لما اعتكف وحده بغار حراء.

د ـ ومع كونه أمياً ومعه قرآن يعجز فكر البشر عن الإتيان بمثله لفظاً ومعنى.

هـ ـ وإنه لما تلا جعفر بن أبي طالب ما جاء في القرآن عن زكريا ويحيى على النجاشي فاضت عيناه بالدموع، وفي اليوم التالي طلب إليه أن يقرأ ما جاء فيه عن المسيح ففعل، فاستغرب الملك لما علم أن المسيح عبد لله ورسوله فآمن بمحمد وما جاء به.

و ـ وأن محمداً نزل عليه القرآن دليلاً على صدق رسالته، وهذا الكتاب سرٌّ من الأسرار لا يدركه إلا من صدق بأنه من عند الله.

ز ـ أنه لا ينكر أحد أن مظهره كان مظهر نبوة فعلاً، وما بقي فيه فكر خاص به.

ع ـ إنه كان لا يميل إلى الزخارف والاستكبار والبخل، فقد كان يحلب شاته بنفسه ويجلس على التراب، ويرقع ثوبه بيده ـ ﷺ ـ وكان زاهداً في الدنيا.

ولقد خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز البر، ولم تكن له حاشية ولا وزير ولا حشم، ولم يرغب طول حياته في المال، وكان كل ما يأتيه يتصدق به، وبلغ من السلطان غايته إلى غير ذلك من الحقائق التي ذكرها هذا المنصف بلا تشويه.

٣ ـ برنارد شو والإسلام: يقول برناردشو: «إن الإسلام دين يستحق الاحترام والإجلال، لأنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، وهو خالد خلود الأبد، وإني أرى كثيراً من بني قومي من العلماء قد دخلوا هذا الدين على بيِّنة من أمرهم، ومستقبلاً سيجد هذا الدين مجاله الفسيح في كل أنحاء أوروبا. وقد درست سيرة محمد فوجدته بعيداً عن مخاصمة المسيح، ويمكن بحق أن نعتبر محمداً منقذاً للإنسانية، واعتقد أن رجلاً مثله لو حكم العالم بأثره لجلب للعالم السلام والسعادة، وقد برهن الإسلام من ساعته الأولى على أنه دين الأجناس جميعاً، إذ ضم سلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيباً الرومي، كما ضم مجموعات من النصارى واليهود وعبدة الأوثان، وانصهر الجميع في بوتقة واحدة دون فروق على الإطلاق، ولم يحسَّ أي منهم أنه غريب عن هذا الدين، وبعد فترة اتصل هذا الدين بأجناس متعددة بينها الأسود والأصفر والأبيض، وكانوا جميعاً في رحابه متساوين سعداء».

٤ ـ السيد توماس أرنولد: ألف ذلك العلاَّمة كتاباً أسماه الدعوة إلى الإسلام ساق فيه الأدلة والبراهين على أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف كما زعم أعداؤه ومن هذه البراهين:

أ ـ إسلام بعض الصليبيين قبل موقعة حطين أي قبل انكسار شوكتهم في هذه المعركة، بل كانوا في أوج قوتهم ما يدل على أنهم أسلموا عن طريق الاقتناع الذي هو الطريق إلى العقيدة الصحيحة دائماً.

ب ـ إسلام المغول في وقت كانوا فيه غالبين للعرب، بل وغير العرب.

ج ـ انتشار الإسلام في الملايو وإندونيسيا والفلبين دون أن تطأ هذه البلاد قدم جندي عربي واحد، وكان ذلك عن طريق التجار وغيرهم وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، فأي سيف كان يجبر هؤلاء الصليبيين العتاة والمغول الجبابرة على الإسلام، لولا قناعتهم بأنه الدين الصحيح.

إن الذين أسلموا من غير العرب الذي جعلهم يسلمون هو سماحة الإسلام وعظمته، هذا بجانب أن الله سبحانه وتعالى ينهى عن استعمال الشدة في نشر الدين تطبيقاً لقوله تعالى: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) البقرة:٢٥٦.

كما يقول سبحانه وتعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) النحل:١٢٥.

أما استخدام السيف فلا مجال له في نشر الدين اللهم إلا في حال الدفاع عن العقيدة وهذا أمر واجب يقره العقل قبل الدين.

الإسلام والحضارة

يوضح الأستاذ جورج سارلون أن الإسلام شجع الفكر الحضاري في العلوم التجريبية في حين وقفت المسيحية

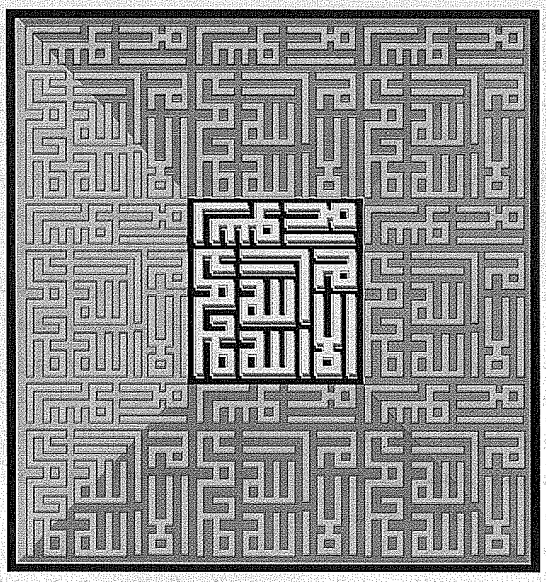

ضد هذا الفكر، فابن النفيس اكتشف الدورة الدموية الصغرى قبل أن يعرفها ميخائيل سرفيت الإسباني بمئتين وخمسين عاماً، ولقد عرف المسلمون فضل ابن النفيس ولكن سرفيت أحرق علناً في جنيف عام ١٥٥٣م.

أما التشريح، فقد كان في أوروبا ممنوعاً ألبتة، ولكن صناعة التشريح بلغت أعظم مدى في المستشفيات الإسلامية، وما يُقال عن التشريح يُقال عن أمراض العيون، فإن المسلمين كانوا حتى القرن الثالث عشر سادة العالم في معالجة أمراض العيون.

وعن مدى الفائدة التي عادت على الغرب في ترجمة الفكر الإسلامي يقول:

٥ ـ روجيه غارودي: إن نهضة الغرب لم تبدأ في إيطاليا مع إحياء الثقافة اليونانية والرومانية، بل بدأت في أسبانيا مع إشعاع العلوم والثقافة الإسلامية والعربية ولكن النهضة الغربية لم تأخذ من العلوم العربية والإسلامية سوى المنهج التجريبي والقوانين العلمية وتركت الإيمان الذي يوجهنا نحو الإله ويسخرها لخدمة البشر.

٦ ـ رأي دينيه في الإسلام: يقول دينيه بعد أن أسلم وسمى نفسه باسم «ناصر الدين»: إن العقيدة الإسلامية لاتقف عثرة في سبيل الفكر، وإن الإسلام صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس، وجميع درجات المدنيات، وهو كمٌ بهيجٌ للرجل العملي في أسواق لندن مثلاً ـ حيث الوقت هناك من ذهب، والإسلام يأخذ بلب الفيلسوف الروماني، ويتقبله الشرقي صاحب الخيال الشعري، فهو يأخذ بمجامع المفكر الغربي الذي عكف على الإبداع في الفن ورسم الصور الرائعة في الشعر والنثر، فكم من فيلسوف وقسيس ومصور وشاعر وطبيب وصيدلي ومحام وسياسي في الشرق والغرب قرأوا عن الإسلام فبهرهم رواؤه واستحوذ عليهم تناسبه مع الفطرة، وجذبتهم إليه عقائده وعباداته فآمنوا به راغبين راسخين، لا رغباً ولا رهباً، بل اقتناعاً عميقاً وحباً فهو الرحيق السائغ والمنطق السليم والمنهج السليم.

٧ ـ جوستاف لوبون: يقول هذا المفكر إن للإسلام وحده الفخار، بأنه أول دين قال بالتوحيد المحض الخالص، وبأنه أول دين نشر اتباعه ذلك التوحيد في أنحاء العالم، فالإله الواحد الأحد الذي دعا إليه الإسلام منزه عن شريك له، وتشتق سهولة الإسلام من التوحيد المحض، وفي التوحيد سر قوة الإسلام، وهو من أكثر الديانات ملاءمة لمناخ العالم واكتشافاته ومن أعظمها تهذيباً للنفوس ودعوة إلى العدل والتسامح.

والحقيقة أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب، والدين الإسلامي هو الذي أعطى المسلمين هذه الرحمة وهذا التسامح.

٨ ـ الكاتب الإنكليزي الأكثر شهرة «توماس كاريليل»: يقول هذا الكاتب الكبير في كتابه الأبطال: لقد أصبح من أكبر العار على أي متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى أناس حاقدين كاذبين على محمد، وآن لنا أن نحارب مزاعمهم السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول مازالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً، لنحو مئتي مليون من الناس بعد المليار نسمة، خلقهم الله كخلقنا، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاشت بها هذه الملايين وماتت أكذوبة وخدعة، أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً ولو أن الكذب والغش يروجان عند الخلق في الناس المجانين، وما الحياة إلا سخف وعبث وأضلولة كان الأولى بها أن تخلق ثم قال: والله إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتاً من الطوب، فهو إذا لم يكن عليماً بخصائص الجير والتراب وماشاكلهما فما الذي يبنيه البيت وإنما هو تل من الأنقاض لا يستطيع أن يبقي عليه دعائمه اثني عشر قرناً من الزمان يسكنه الآن مئتا مليون مسلم ولكن جدير أن تنهار أركانه فينهدم.

٩ ـ ول ديرانت صاحب قصة الحضارة: كتب مجلداً كاملاً عن الحضارة الإسلامية، وقد نظر إلى أثر النبي الكريم في المجتمعات التي آمنت به، وفي تواضعه الذي لم تعرف له البشرية مثيلاً فيقول: «إذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس لقلنا: إن محمداً كان أعظم عظماء التاريخ، فقد رفع المستوى الروحي، والأخلاصي لإناس ألقت بهم في ظلمات الهمجية حرارة وجدب

إشراقة النبوة

الصحراء، وقد نجح محمد برسالته في ذلك نجاحاً عظيماً لم يدانه أحد على مدى التاريخ، لقد كبح محمد جماح التعصب وقضى على الخرافات، وأقام فوق الديانات القديمة لبلاده ديناً سامياً سهلاً واضحاً بنى به صرحاً خلقياً عالياً واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مئة معركة، وفي قرن واحد أن ينشئ دولة عظمى، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم، لم يتظاهر محمد قط بأبهة السلطان، بل كان يرفض أن يوجه إليه شيء من التعظيم والتبجيل، يقبل دعوة العبد الرقيق إلى الطعام، ولا يطلب من عبد أن يقوم له بعمل يجد لديه من القوة والوقت ما يمكنه من عمله، لم يكن ينفق على أسرته من المال إلا القليل رغم ما كان يرد إليه من الفيء الكثير، أما ما ينفقه على نفسه فكان أقل القليل وكان يخص الصدقات بالجزء الأكثر من هذا المال.

١٠ ـ الكاتب الهندي ميهاتا صاحب كتاب الحضارة الهندية والإسلام يقول: إن الإسلام قد حمل إلى الهند مشعلاً من نور، انجلت به الظلمات التي كانت تغشى الحياة الإنسانية في عصر مالت فيه المدنيات القديمة إلى الانحطاط والتدني، وأصبحت الغايات الفاضلة معتقدات فكرية، لقد كانت فتوح الإسلام في عالم الاقتصاد والأفكار أوسع وأعظم منها في حقل السياسة شأنه شأن الأقطار الأخرى، لقد كان من سوء الحظ أن ظل تاريخ الإسلام في هذا القطر الهندي مرتبطاً بالحكومات، فبقيت حقيقة الإسلام في حجاب، وبقيت هباته وأياديه مختفية عن الأنظار.

١١ ـ ميشيل هارت وكتاب المئة الأوائل وأعظمهم محمد يقول: «إن اختياري لمحمد ليكون الأول بين ذوي النفوذ المؤثرين في العالم قد يدهش بعض القراء، ويصير مثار تساؤلات من البقية. ولكن هو الوحيد في التاريخ الذي كان امتيازه متكافئاً على المستوى الديني والدنيوي... وبأصول متواضعة أسس محمد ديانة من ديانات العالم العظيمة، وأصبح زعيماً سياسياً، ورغم مرور أكثر من ١٣ قرناً لا يزال نفوذه الديني والسياسي عميقاً ومستمراً.

ثم يقول مبرزاً سبباً آخر من أسباب اختياره نبي الإسلام ليكون الأول، إن معظم الذين غيَّروا التاريخ ظهروا في قلب أحد المراكز الحضارية في العالم في بيئة متمدنة تبرز ظهور العظماء فيها، ولكن محمداً هو الوحيد الذي نشأ في بقعة من الصحراء الجرداء المجردة تماماً من كل مقومات الحضارة والتقدم، ورغم هذا جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة، قهرت بعد ذلك أمبراطوريات فارس وبيزنطة وروما المتقدمة بما لا يُقاس في تاريخ الغزو في كل زمان ومكان ويكون الغزو عسكرياً ولكن في حال الرسالة المحمدية فإن معظم البلاد التي فتحها خلفاؤه استعربت تماماً وتغيرت لغة وديناً وقومية، وهي تمتد من العراق وسورية إلى آخر الشاطئ الأفريقي غرباً، فالسودان جنوباً وأصبحت أمة واحدة تتكلم لساناً واحداً إلى الآن، فهناك اليوم بعد ألف وأربعمئة سنة خمسمئة مليون مسلم، ولكن هناك بينهم نحو مئة وخمسين مليون عربي.

وهو معيار في قياس أثر الرسالة، أي في استمرارها الزمني وثباتها ليس له مثيل في تاريخ الفتح في العالم، كذلك لايوجد نص في تاريخ الرسالات نقل وبقي بحروفه كاملاً دون تحريف كل هذا الزمن سوى القرآن الذي نقله محمد، الأمر الذي لا يطبق على التوراة أو الإنجيل مثلاً.

وهكذا نجد أن فتوحات العرب التي بدأت في القرن السابع الميلادي قد بقيت تلعب دوراً مهماً في التاريخ الإنساني حتى يومنا هذا، ومن أجل هذا النفوذ الديني والدنيوي فإنني وجدت أن محمداً هو صاحب الحق الوحيد في أن أعتبره صاحب أعظم أثر على الإطلاق في التاريخ الإنساني.

وبعد: فهل آن للبشرية أن تعرف طريقها الحق إلى المجتمع الأمثل وتؤمن بأن هذا المجتمع لا يوجد إلا في إطار الإسلام، والإنسان حين ينظر إلى المجتمع المعاصر ويجد الصراعات المختلفة التي تدور في سائر أرجاء الأرض من قتل ونهب ونهش أعراض.

لا بد أن يعلم أن المنهج الإسلامي هو المنهج القادر وحده على العطاء لأنه قائم في أساسه على الإيمان بالله ذلك الإيمان الذي يولد الحب والرحمة والعدل والحرية في كل الأمم والشعوب ولا يفرق بين طوائف البشر.

ولقد لفت نظر «برنارد شو» أسلوب حل المشكلات التي يتميز به رسول الله، فلم يملك نفسه حتى قال ـ وهو غير مسلم ـ «لو أن محمداً رسول الإسلام وجد وسط هذا العالم المليء بالمشكلات والصراعات لاستطاع أن يحل مشكلات العالم وهو جالس يحتسي فنجاناً من القهوة».

قال تعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين والحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) الصف:٩ ■

المراجع :

- مجلة الأزهر ـ ربيع الأول ـ ١٤٠٧هـ.
- مجلة الأزهر ـ ربيع الأول ١٤٠٥هـ.
- مجلة الوعي الإسلامي ـ ربيع الأول ـ ١٤٠٣هـ.
- كتاب سيد العظماء ـ ميشيل هارت ـ ترجمة أحمد بهجت٨

الفكر الإنساني الحضاري في أحاديث الرسول ﷺ

بقلم : جاك صبري شماس

حديث الحضارة الإسلامية، هو حديث أكثر الكتّاب والباحثين في هذا العصر، سواء منهم المسلمون أو غيرهم، فأكثر المؤلفات التي تظهر ومعظم المجلات الفكرية التي تنشر، تحفل بأحاديث مسهبة عن الحضارة الإسلامية ومدى أهميتها في عصر ازدهارها، إن مكتبة الحضارة الإسلامية تعج اليوم بعشرات المؤلفات الضخمة والمقالات المتنوعة الكثيرة، لكتّاب مسلمين ومستشرقين وغيرهم كلها يسلك في معالجة هذا الموضوع مسلكاً وصفياً أنيقاً يقوم في الأغلب وسط إطار من مظاهر الدهشة وعبارات الإكبار والإعجاب، وربما جاء كله أو جله مقروناً برسوم وصور موثّقة تزيد من مقتضيات الإعجاب والتمجيد لها.

إن هذه الحضارة الإسلامية قادها الرسول ﷺ من خلال رسالته الطاهرة ومواقفه المبدئية المشرفة وأحاديثه التي تقطر عذوبة وشهداً وصفاء في رحاب الإنسانية، فالرسول ﷺ يستشرف الأبعاد الحضارية للبشرية التي تنصهر في بوتقة واحدة لتجسد أنبل التطلعات الحضارية بأخوتهم جنباً إلى جنب في مضمار الحياة وذلك بقوله: «اللهم ربَّ كل شيء ومليكه، أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة»

فالرسول ﷺ ينظر إلى الحياة من منظور إنساني شامل كامل تتجلى فيه المودة والإخاء والمحبة، حيث من المفروض أن يقترن الإيمان بفعل الخير والبر والإحسان، بقوله: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

فالرسول ﷺ يؤكد دائماً على أهمية التقوى والطهر والمحبة في إطار بشري شامل لا يفرق بين إنسان وآخر إلا بمقدار ما يحمله المرء من أفعال مقترنة باليمن والبركة والتقوى، فمنزلة الإنسان عند ربه تلتزم التزاماً وثيقاً بتقواه، وتطلق عليه صفة الكرم العظيمة بقوله: «إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى».

لا يمكن للشعارات والمؤلفات والنظريات والدراسات الأكاديمية أن توازي قول الرسول ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به».

فالرسول ﷺ يجسد الديانة الإسلامية ويمنحها دفقاً إنسانياً حضارياً رائعاً وهو يعلن صراحة بحديثه النبيل السامي حيث يخاطب الميسورين ويطالبهم بالوقوف إلى جانب الفقراء ومؤازرتهم ومساعدتهم في محنهم ولن تجدي كنوز المرء الغني إن لم يقدم على مساعدة أشقائه ولن تكون قيمة لكنوزه وله إن لم يحقق الهدف المنشود والهدف المنشود يقترن بطاعة الله والالتزام بتعاليمه السماوية ويكون محبباً وقريباً من قِبَلِ الرسول ﷺ.

إن البشرية كلها عيال الله وتكمن القدرة الحقيقية في العيال حين تقدم النفع لأقرب الناس إليها وتظهر المفارقة بين عيال وعيال وذلك من خلال السلوك المتمثل باليمن والبر وتكون بذلك هي الأقرب إليه سبحانه وتعالى وفي مثل هذه المفارقة تظهر الصورة الجلية المشرقة السامية لمن يضحي ويكد ويتعب ويبذل الغالي والنفيس لأجل مجتمعه وذلك ماثل في قول الرسول ﷺ: «الخلق كلهم عيال الله، وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله».

كما أن الرسول ﷺ ينظر إلى البشرية بمنظار إنساني حضاري دون التفريق بين أسود أو أبيض، فالناس عند النبي العظيم لهم منزلة سامية، وفي حديثه بُعد حضاري فكري منسجم مع عقيدته وآرائه وحرصه

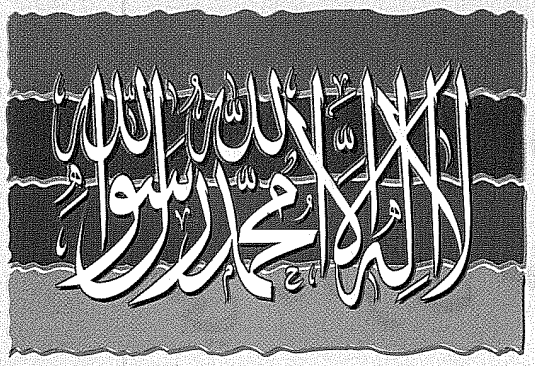

على أهمية الإنسان وذلك بقوله: «الناس سواسية كأسنان المشط».

مهما كثرت الدراسات التي تتناول عظمة الرسول ﷺ فإنها لن تكون بالشيء الكبير أمام أحاديثه التي تسطر بماء زمزم وتتدفق شموخاً وعظمة ومحبة ويمناً لتنهل منها البشرية وهي تقتدي بالرسالة الإسلامية الحنيفة من خلال الرسول ﷺ ونحن في مقالتنا هذه أخذنا غيضاً من فيض أحاديثه السماوية وحسبنا في هذه العجالة أن نختتم موضوعنا حول الفكر الإنساني الحضاري في أحاديث الرسول ﷺ بقوله: «الأنبياء إخوة أمهاتهم شتى ودينهم واحد» ■

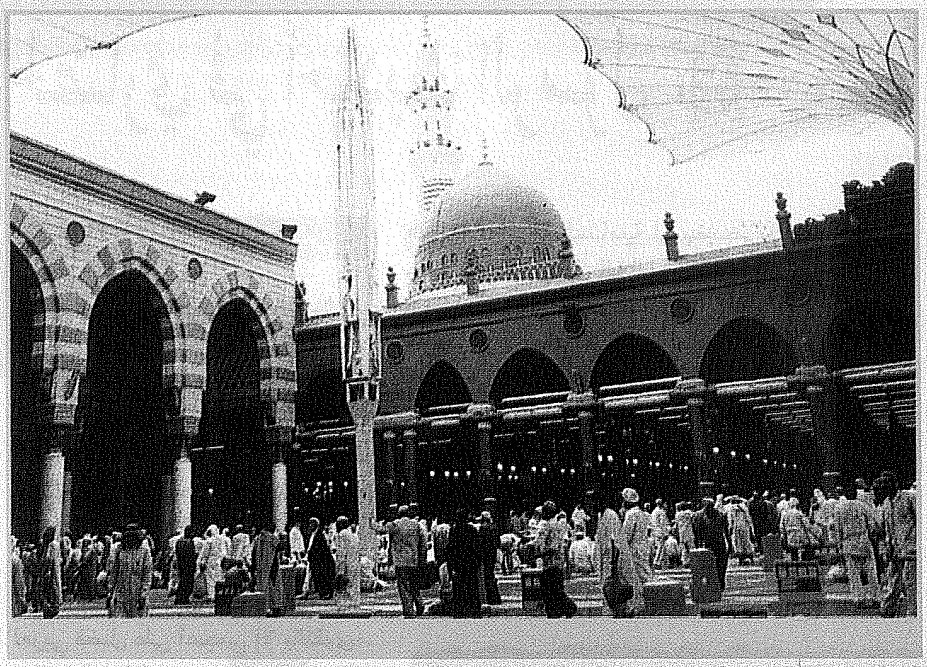

قبس من أنوار النبوة في ذكرى خير المرسلين

بقلم: مجدي محمد عرابي

عن كعب بن عجرة قال: جلسنا يوماً أمام بيوت رسول الله - ﷺ - في المسجد في رهط منا معاشر الأنصار، ورهط من المهاجرين، ورهط من بني هاشم، فاختصمنا في رسول الله - ﷺ: أينا أولى به وأحب إليه، قلنا نحن معاشر الأنصار: آمنا به، واتبعناه، وقاتلنا معه، وكتيبته في نحر عدوه، فنحن أولى برسول الله - ﷺ - وأحبهم إليه.

وقال إخواننا المهاجرون: نحن الذين هاجرنا إلى الله ورسوله، فارقنا العشائر والأهلين والأموال، وقد حضرنا ما حضرتم، وشهدنا ما شهدتم، فنحن أولى الناس برسول الله وأحبهم إليه.

وقال إخواننا من بني هاشم: نحن عشيرة رسول الله ﷺ، قد حضرنا الذي حضرتم وشهدنا الذي شهدتم، فنحن أولى برسول الله ﷺ وأحبهم إليه، فخرج إلينا رسول الله - ﷺ - فأقبل علينا فقال: «إنكم لتقولون شيئاً، فقلنا مثل مقالتنا فقال للأنصار: «صدقتم من يرد هذا عليكم؟»، وأخبرناه بما قال إخواننا المهاجرون. فقال: «صدقوا وبروا. من يرد هذا عليهم؟»، ثم قال: «ألا أقضي بينكم؟».

قلنا: بلى، بأبينا وأمنا، أنت يا رسول الله، فقال: «أما أنتم يا معشر الأنصار فإنما أنا أخوكم»، فقالوا: الله أكبر - ذهبنا به ورب الكعبة. «وأما أنتم معشر المهاجرين فإنما أنا منكم»، فقالوا الله أكبر، ذهبنا به ورب الكعبة. «وأما أنتم بنو هاشم فأنتم مني وإليَّ» فقمنا وكلنا راض مغتبط برسول الله ﷺ. رواه الطبراني

فلم تعرف البشرية في تاريخها المديد، من كان كشخص محمد ﷺ، بهر الدنيا بسيرته، وملأ التاريخ بعظمته، وعطَّر الكون بأريج أخلاقه وشمائله، ولفت أنظار الدنيا إلى آثاره الخالدة، في حياة الإنسانية ونهضتها، فلقد كان ﷺ: مصدر خير، وينبوع رحمة، أعطاه الله من الخير والفضل ما لم يعط أحد قبله ولا بعده، ومنحه خصوصيات في نفسه وفي أمته، وفي الكتاب الذي أنزل عليه وشريعته، فقد ميزه بالكمال في الخلق، والعموم في الرسالة، فقال تعالى: (وإنك لعلى خلق عظيم) القلم:٤.

أرسله الله بالدين الخالد، ختم به الرسالات، والديانات، وهو بسماحته واتساع صدره وضع آداباً للسلوك، وقواعد للذوق السليم لم تصل إليه المدنيات الحديثة، رغم دعواها العريضة بأنها جاءت بما يصلح أمر الناس.

وإن التاريخ الصدوق يقرر أن نهضة الغرب لم تقم إلا على دعائم من تراثنا الديني والفكري، وجاء ذلك صراحة على لساني: «جونسون» و«نيكسون» ممن كانوا رؤساء للولايات المتحدة، كما جاء على لسان غيرهما، إذ هو أمر لا سبيل إلى نكرانه.

إن دين الإسلام الذي أرسل الله به محمداً - ﷺ - أكمل دين يجمع بين الدنيا والآخرة، وبين الروح والجسد،

إشراقة النبوة

ويوفق بين مقتضيات الحياة وأوامر الله حتى تسير الحياة إلى غايتها في توائم وانسجام يهيء المسلم إلى أن يعيش في جميع البيئات، وفي جميع الأوقات بروح الإسلام السمحة، وأن يعاشر كل الناس بالمعروف والإحسان وأن يسع كل الناس بأخلاقه كما كان رسول الله ﷺ.

كذلك أخرج البخاري عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص، فقلت أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ، قال: «والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: «يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينا عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً».

ويزيد ابن إسحاق في روايته: «ولا صخّاب في الأسواق، ولا متزي بالفحش ولا قوال للخنا، أسدده بكل جميل، وأهب له كل خلق كريم، ثم أجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة مقولته، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه، أهدي به بعد الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة، وأرفع به بعد الخمالة، وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة، وأجمع به بعد الفرقة، وأؤلف به بين قلوب مختلفة، وأهواء مشتتة، وأمم متفرقة، واجعل منه خير أمة أخرجت للناس».

لقد غيَّر منهج رسول الله ﷺ، معالم الإنسانية تغييراً شاملاً في كل مجالاتها ونواحيها، كما يقول الله سبحانه، في كتابه العزيز الذي أرسله به: (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. يهدي به الله من اتبع رضوانه سُبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) المائدة:١٥-١٦.

إن المجتمع الذي أقامه رسول الله ﷺ: على العدالة والأخوة والمساواة والتعاون، والصلة بالله رب العالمين، كان له أطيب الثمار، والصلة برب العالمين تتطلب الاستعانة بالله، للنهوض بأعباء هذه الحياة، وتخطي عقباتها: (يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) محمد:٧، وقال تعالى: (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) آل عمران:١٢٦.

ويوم يحدث انصراف عن الله ولو بظن الاستغناء بالكثرة عن مدده وعونه يكلهم الله إلى أنفسهم فتكون الحسرة قال تعالى: (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين. ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذَّب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) التوبة:٢٥-٢٦.

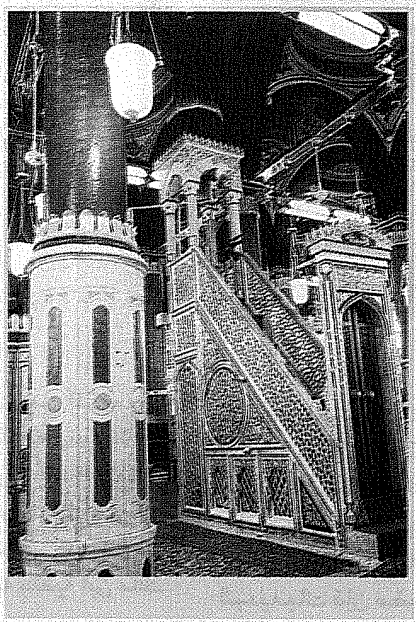

بهذا الأساس المتين والصلة القوية بالله أقام الرسول الكريم مجتمع الخير، ثم دور الأخوة الإنسانية التي ترتفع على نطاق المصلحة وتسمو فوق حدود المادة، بعيداً عن العصبية والقبلية، إنها علاقة جديدة أنشأها الإسلام بين أتباع محمد ﷺ - جعلت لهذه الأخوة حقوقاً لابد من أدائها، ليست عاطفة مجردة أو فكرة عابرة، بل تنظيماً عملياً للمجتمع الجديد يربط بين أفرادها برباط وثيق.

قال تعالى: (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدرهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون. والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) الحشر:٩-١٠.

لقد ألَّف الله بينهم بالإيمان الذي يجمع القلوب، ويوحد الصفوف، قال تعالى: (وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألَّفت بين قلوبهم) الأنفال:٦٣.

(واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) آل عمران:١٠٣.

هذا هو المجتمع الإسلامي الذي تربى وتتلمذ على يد معلم الإنسانية وهادي البشرية ما حدا بهم إلى أن يلوذ كل منهم برسول الله، ويسعى إلى القرب منه، فهو الرسول الرحمة المهداة، والقدوة المجتباه، وهم - مع ذلك - إخوة متحابون ليس بينهم في ذلك ضغن ولا غل، فيا له من رسول كريم.

فمبلغ العلم فيه أنه بشر، وأنه خير خلق الله كلهم ■

المدائح النبوية والبديعيات في الأدب العربي

بقلم: محمود فاخوري

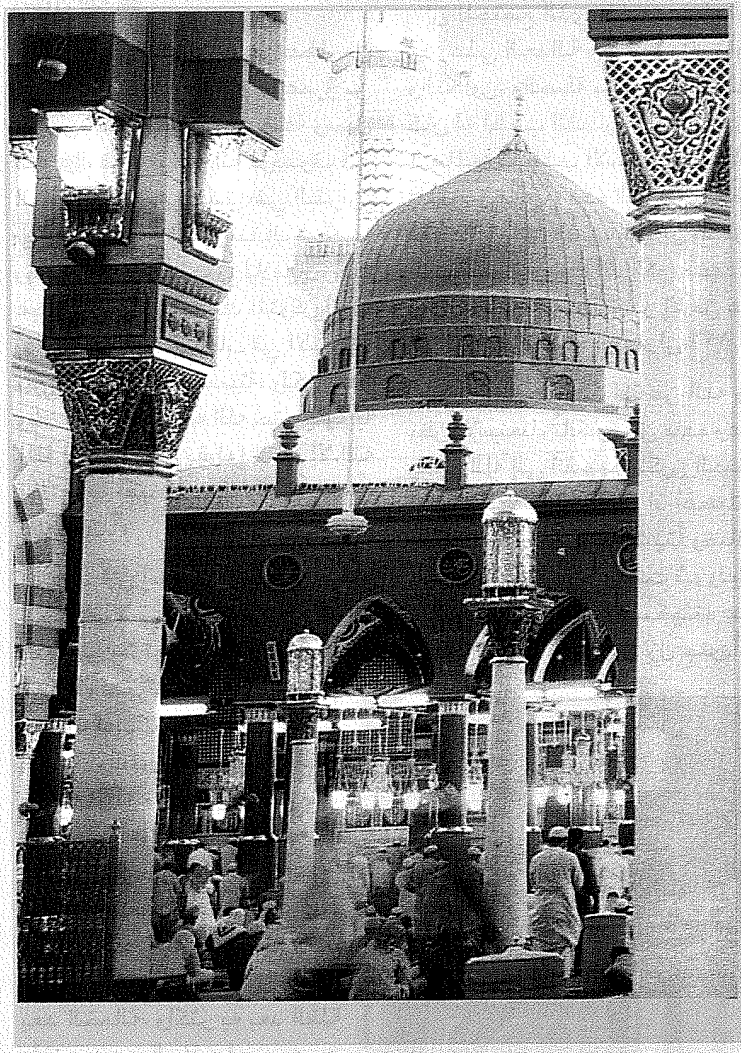

في الأدب العربي قصائد في مدح النبي ﷺ، وفيه قصائد أخرى توسم بالبديعيات، وهي كثيرة، فما الفرق بين المدائح النبوية والبديعيات؟

المدائح النبوية: هي القصائد التي مُدح بها النبي ﷺ طوال العصور منذ «بانت سعاد» حتى «ريم على القاع»، و«ولد الهدى فالكائنات ضياء» لشوقي، ومن بعده إلى يومنا هذا. وهذه المدائح تتحدث عن فضائله ﷺ ومعجزاته وولادته، مقرونة بمشاعر ذاتية للناظم، وإسقاطات عصرية أحياناً، ومن هذا القبيل بردة البوصيري «أمن تذكر جيران...» المتوفى سنة ٦٩٦هـ.

أما «البديعيات» فيقصد بها قصائد على البحر البسيط حصراً «كما في بانت سعاد والبردة»، وعلى رويّ الميم المكسورة أيضاً كما فعل البوصيري في بردته. والبديعيات فن شعري ظهر في العصر المملوكي لشيوع علم البديع وتكلف الشعراء للمحسِّنات البديعية، وتفننهم في اختراع أنواع جديدة من تلك المحسِّنات لا يعرفها السابقون في العصر العباسي، أو لم يكتشفوها، فجاء أصحاب البديعيات ونظموا «بديعياتهم» التي هي قصائد في المديح النبوي تماماً، من المضمون، لكنها من حيث الصنعة والشكل تحاول أن تعرض لنا كل المحسنات البديعية التي عرفت من قبل، وما أضافه النظام إليها مما اكتشفه هو أو اخترعه. ويحرص الناظم على أن يورد اسم المحسَّن البديعي مع مثال عليه في كل بيت من أبيات بديعيته، بحيث تصبح البديعية أشبه بألفية ابن مالك في ذكر التسمية والمثال ضمن البيت نفسه، لكنها في النحو لا في البلاغة، كقول ابن مالك مثلاً:

ترفع «كان» المبتدأ اسماً والخبرْ
تنصبه، كـ«كان» سيداً عُمَرْ

لكن ألفية ابن مالك ليس لها مضمون فكري، أما البديعيات فإن مضمونها مديح نبوي، وعواطف حب

إشراقة النبوة

للرسول ﷺ، وما إلى ذلك، ويبدو فيها التكلف واضحاً، في المحافظة على تسمية النوع البديعي، والتمثيل له ضمن البيت نفسه، لغاية تعليمية، فهي تشبه أيضاً من بعض الوجوه كثيراً من المتون المنظومة ليحفظها الطلاب.

وعلى هذا، فكل بديعية هي مديح نبوي، ولكن ليس كل مديح نبوي هو بديعية، وأول من نظم بديعية، بالمعنى الاصطلاحي هو صفي الدين الحلي، المتوفى سنة ٧٥٠هـ «وهو بعد البوصيري، زمناً» وحصل خلط بينهما في كتاب الأدب «البكالوريا القديم في سورية»، كما حصل خلط في مفهوم المديح النبوي والبديعية في ذلك الكتاب، وكان كاتب ذلك البحث كامل ناصيف.

إلا أن الحلي اكتفى بذكر المثال في البيت، ولم يصرِّح باسم النوع البديعي، ومطلع بديعيته:

إن جئت سلعاً فسل عن جيرة العلم
واقْر السلام على عُرب بذي سلم
أبيت والدمع هام هاملٌ سربٌ
والجسم في إضم لحمٌ على وضم

فالبيت الأول تضمن مثالاً للجناس التام، والثاني لغير التام، لكن لاشاعر لم يذكر اسم هذا المحسَّن البديعي، وعدد أبيات بديعية الحلي ١٤٥ بيتاً. وتتضمن (١٥٠) محسَّناً، بعضها من ابتكاره، ومنها في «الطباق».

قد طال ليلي، وأجفاني به قصرتْ
عن الرقاد، فلم أصبح ولم أنمِ

وحذا حذوه ابن جابر الأندلسي المتوفى سنة ٧٨٠هـ في بديعيته التي سماها «الحلة السيرافي في مدح خير الورى» وعدد أبياتها ١٢٧ وأولها:

بطيبة انزل ويمّم سيد الأمم
وانثر له المدح، وانشر طيب الكلم

ثم جاء عزالدين الموصلي، معاصر ابن جابر والمتوفى بعده بقليل، سنة ٧٨٩هـ، فنظم بديعيته في ١٤٥ بيتاً جرى فيها على نهج الحلي في تضمين كل بيت مثالاً على مصطلح بديعي، وزاد عليه محسَّنات يسيرة، كما أنه جعل كل بيت يتضمن اسم المصطلح البديعي أيضاً. وهذه المرة الأولى التي نرى فيها ذلك بالنسبة للتسمية ومطلعها:

براعة تستهلّ الدمع في العلم
عبارة عن نداء المفرد العلم

وهنا إشارة إلى ما يسمى ببراعة الاستهلال، مع حرصه على أن يكون مطلع بديعيته بارعاً، وأنت تلاحظ أن التسمية لا تأتي في البيت كما هي في الأصل: «براعة الاستهلال» لأن الوزن لا يساعد دائماً سمع هذا الالتزام باسم المصطلح البديعي حرفياً. ومنها قول الموصلي في «الطباق»:

أبكي فيضحك عن درٍّ مطابقة
فقد تشابه منثور بمنتظم

الطباق «مثال»
التسمية
طباق آخر

ثم جاء بلوذين ابن حجة الحموي المتوفى ٨٣٧هـ، فأحرز قصب السبق في هذا الميدان، حين نظم بديعيته التي سماها «تقديم أبي بكر» يعني نفسه. وتشتمل على ١٤٢ نوعاً بديعياً في ١٣٦ بيتاً، لأن البيت قد يضم أكثر من محسّن واحد، ثم شرحها ابن حجة نفسه في كتابه الموسوم بخزانة الأدب، كما فعل قبله الحلي حين شرح بديعيته في كتاب سماه: «الكافية البديعية في المدائح النبوية»، ومطلع بديعية ابن حجة:

لي في ابتدا مدحكم يا عُرب ذي سلم
براعة تستهل الدمع في العلم

براعة الاستهلال أو حسن الابتداء.

ومنها قوله:

قابلتهم بالرضا والسلم منشرحاً
ولّوا غضاباً، فيا حزني لغيظهم «مقابلة».
بوحشة بدّلوا أنسي وقد خفضوا
قدري وزادوا علواً في طباقهم «طباق»

وكثر بعد ذلك ناظمو البديعيات في العصر المملوكي والعثماني، ومنهم السيوطي (٩١١هـ) وعائشة الباعونية (٩٢٢هـ) وعبدالغني النابلسي (١١٤٣هـ) الذي نظم بديعيتين سمَّى النوع البديعي في إحداهما. وأغفله في الأخرى.

ومنهم أيضاً محمد نوري الكيلاني الحموي (١٩٠٨م) له بديعية لم تطبع سماها «البديعية النورية في مدح خير البرية»، والشيخ طاهر الجزائري (١٩٢٠م) وهذا الحبل طويل جداً، ولا جديد فيه، وكأنهم جعلوه رياضة ذهنية وشعرية بارعة.

وظاهر من كل ما سردنا أن المديحة النبوية أعلى في النظم والأدب والفن كله، وهي غرر قصائد العرب والمسلمين، كـ «بانت سعاد» التي ذكرنا، لكعب بن زهير - رضي الله عنه - وسمعها النبي - ﷺ - ومثيلاتها مما مدح به ﷺ في عهده ومن بعده، حتى جاء البوصيري - رحمه الله - فأبدع وأجاد. وأجاد مثله أحمد شوقي، أمير شعراء العصر.

أما البديعيات فنظم بديع حقاً، وعلم بلاغي وفن، ولأنها تتضمن مدح النبي ﷺ فقد علت وسمت وإن كانت صنعة النظم «والتعليم» غلبت عليها. وكانت في عصور المماليك من المنتخبات الرائعات ■

أستاذ الأدب في جامعة حلب، سورية

همسة في المولد

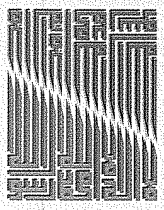

شعر: محمود الحجازي

هذه همسة في آذان المحتفلين بمولده صلى الله عليه وسلم، لعلهم يعرفون أن الاحتفال الحقيقي به هو الاتباع الأمثل لسنته، والسير على هديه، وليس في تقليد النصارى وغيرهم من أصحاب الأهواء.

أكسبتُ قولي رونقاً وجمالاً
فازداد سحراً بيِّناً وجلالاً
لما ذكرتُ محمداً في مدحتي
زيَّنت شعري فازدهى وتلالا
وشعرت بالفخر المنيف يحوطني
فتخذت من فلك النجوم مجالا
وكُسيتُ حين مدحته حلل البها
وشربت من كف الكريم زلالا
فالشعر يسمو إن تضمن مدحه
ويزيد منه فتنة وجمالا
صلى عليه الله في قرآنه
وقضى بأن نثني عليه فقالا
صلوا عليه وسلموا إن كنتم
ترجون حقاً جنة وظلالا
لو رمتُ أن أحصي شمائل فضله
فالأمر يبدو إن أردتُ محالا
هو رحمة للعالمين جميعهم
هو نعمة قد فاقت الأمثالا
وهدى العباد إلى طريق قيم
حتى غدوا بالدين أسعد حالا
قد كان عوناً للضعيف وملجأ
للخائفين ولليتيم ثمالا
جم التواضع خافضاً لجناحه
طلق المحيا لا يرد سؤالا
صفو المودة ليس فيه كدرة
خير البرية خِلقة وخلالا
لا يرهب المظلوم حيفَ قضائه
إن جاء يشكو صائلاً مختالا
وتراه إن حمى الوطيس بكفه
سيف المنون يجندل الأبطالا
طوداً أشم يصد أفواج العدا
ويصول في يوم الوغى رئبالا
مدحوا الملوك تطلعاً لنوالهم
وتزلفوا واستشرفوا الأنفالا
بل داهنوهم إذا رأوا أسيافهم
تغزو النحور وأبصروا الأغلالا
لكن ذكري للحبيب تقرباً
من خالقي سبحانه وتعالى
مسترشداً فيما أقول بهديه
لم أتبع من شط فيه وغالى
ذاك الذي حسب المحبة تقتضي
أن النبي يقدر الآجالا
وبأنه يُشقي ويسعد من يشا
والرزق منه على الورى يتوالى
والنفع والإضرار بعد مماته
وإجابة الداعي إذا ما سالا
والناس من أنواره مخلوقة
وأبوه آدم لم يزل صلصالا
بل أقسموا باسم النبي وتابعوا
سنن اليهود وشايعوا الضُّلالا
ظنوا إذا غالوا ينالون الرضى
وشفاعة المختار والأفضالا
وهو الذي قد قال فيه ربنا
قولاً يرد ويدحض الأقوالا

إشراقة النبوة

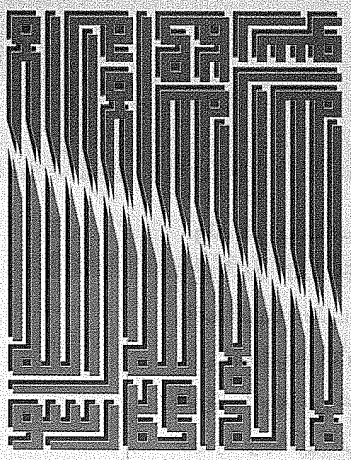

الأمر لله المهيمن كله
ومحمد لا يملك المثقالا
فالله يحيي من يشا ويميته
ويعيده بعد الفناء كمالا
ويعز قوماً بعد طول مذلة
ويذل قوماً قد عتوا إذلالا
ومحمد عبد له ورسوله
أدى الأمانة كلها إجمالا
اختاره ربي نبياً خاتماً
ليفتح الأغلاف والأقفالا
لا يعلم الغيب المخبأ في غد
إلا إذا فتح العليم مجالا
يا من توقره وتقدُر آله
وتحبهم وتجلُّهم إجلالا
ما كنت في تلك المحبة منصفاً
بل كنت مدَّعياً تريد خبالا
لا تَغْلُ في وصف النبي تزيُّداً
واقنع بما وصف الإله وقالا
هو في سمات الخلق فرد مثلكم
لكنه بالوحي خُص فنالا
والزم سبيل الرشد لا تتعده
أو تنأ عنه يمنة وشمالا
إن كنت حقاً في ادعائك صادقاً
فالحب للمختار ليس مقالا
الحب أن تمضي على منهاجه
وتتابع الأقوال والأفعالا
ليس المحبة أن تجيء ببدعة
وتقلد الكفار والجهالا
قالوا فرحنا بالمسيح فقلتم
لم لا يكون صنيعهم منوالا
هل تحتفي في العام يوماً واحداً
في مظهر يذر النفوس ثكالى
دف ومزمار وحفل راقص
في الليل أصوات الخنا تتعالى
وترى النسا في زينة مقصودة
قل لي بربك هل تراه حلالا
إن كان ذلك قربة ترجى فقل
يا خسر من صلى إذن ووبالا
يا ضيعة للصائمين نهارهم
والماء يجري عندهم سلسالا
والباذلين زكاتهم وطعامهم
للمعوزين الطالبين نوالا
والواهبين نفوسهم يوم الوغى
حُرِمُوا النساء ويتَّموا الأطفالا
يا ضيعة الحجاج لما فارقوا
أهليهم أو أنفقوا الأموالا
ما أنت أكثر للنبي محبة
من صحبة عاشوا السنين طوالا
ساروا على سنن الهدى لم يجنحوا
شبراً ولا راموا بها استبدالا
لو كان خيراً ما سبقناهم فهم
أدرى بما فعل الرسول وقالا
إن كنت في تلك المقالة صادقاً
أدِّ الفرائض واتخذه مثالا

مثل أعلى للمتقين الصابرين

عروة بن الزبير

بقلم: البشراوي طاهر محمد

ولد في بيت من أرفع بيوت المسلمين مقاما، فأبوه الزبير ابن العوام رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة وأول من سل سيفا في الإسلام، وأمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، وجده لأمه أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخليفة الأول لرسول الله ﷺ. تمنى وهو جالس. بالقرب من الركن اليماني عند الكعبة المعظمة المستقرة وسط البيت الحرام في مهابة وجلال. أن يكون عالما عاملا يأخذ عنه الناس كتاب الله وسنة النبي ﷺ وأحكام الدين وأن يفوز في الآخرة برضى الله سبحانه وتعالى ويدخل الجنة مع الداخلين. فماذا فعل ليحقق أمنيته؟

لقد انقطع لطلب العلم وأخذ يتردد على صحابة الرسول ﷺ في بيوتهم، ويصلى خلفهم، ويتتبع مجالسهم، وظل على هذه الحال حتى أصبح من فقهاء المدينة الذين يلجأ المسلمون إليهم في أمور دينهم. روى الحديث عن أبي هريرة وعبد الله بن عباس وعلي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف وزيد بن ثابت وخالته عائشة أم المؤمنين وأبى أيوب الأنصاري وأسامة بن زيد رضي الله عنهم أجمعين. وقد كان عروة يجد في الصلاة راحة نفسه وقرة عينه، فيحسنها كل الإحسان ويطيلها قدر استطاعته، كما كان يكثر من ذكر الله ومن الصيام، ويعكف على تلاوة القرآن فيقرأ ربع القرآن كل نهار ثم يقوم به الليل تلاوة عن ظهر قلب، ولم يترك ذلك من أول شبابه حتى يوم وفاته غير مرة واحدة حينما قرر الأطباء بتر ساقه.

كما عرف بالجود والكرم: فقد كان له بستان من أعظم بساتين المدينة وكان يجعل له سوراً ليحمى أشجاره من أذى الماشية وعبث الصبيان حتى إذا رأى الثمار قد أينعت قام بكسر السور الذي أقامه حول البستان ليهيىء للناس دخوله والأكل من ثمره وحمل ما يطيب لهم حمله وكان كلما دخل بستانه يردد قول الله سبحانه: «ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لاقوة إلا بالله» الكهف:٣٩.

كان عظيم الصبر على البلاء، وما قصة بتر ساقه إلا دليل هذا الصبر، فلم يكد ينتهي من دفن ولده حتى أصيب بداء يتآكل منه قدمه تدريجيا فتورمت ساقه وأخذ الورم يمتد بسرعة فائقة فاستدعى الخليفة الأطباء من كل مكان وحثهم على معالجة عروة بكل وسيلة ممكنة لكنهم قرروا ألا مفر من بتر الساق قبل أن يسري الورم إلى الجسد كله ويكون سببا في موته، فوافق عروة على بتر ساقه ولما حضر الجراح وأحضر معه ما يشق به الجلد والمنشار الذي ينشر العظم قال الطبيب لعروة حتى لا تشعر بآلام القطع الشديد نسقيك جرعة من مسكر فقال عروة لا أستعين بمحرَّم على ما أرجوه من العافية فقال الطبيب: إذن نسقيك المخدر فقال عروة: لا أحب أن أسلب عضوا من أعضائي دون أن أشعر بأله وأحتسب ذلك عند الله، ولما همَّ الجراح بقطع الساق تقدم نحو عروة عدد من الرجال فقال: ما هؤلاء؟ فقيل له جئنا بهم ليمسكوك فلربما اشتد عليك الألم فتجذب قدمك جذبة تضرك، فقال: ردوهم، ولا حاجة لي بهم، سأستعين بذكر الله وبالتسبيح، أقبل عليه الطبيب فقطع اللحم بالمبضع ثم وضع المنشار لينشر العظم وعروة يقول: لا إله إلا الله والله أكبر.. الجراح ينشر وعروة يهلل ويكبِّر حتى قطعت الساق ثم وضع زيت على النار في إناء من حديد وغمست فيه ساق عروة ليقف تدفق الدماء فأغمى على عروة إغماءة طويلة حالت دون أن يقرأ الأجزاء التي يقرؤها يوميا من كتاب الله. ولما حُمل عروة إلى المدينة وأُدخل على أهله قال لا تحزنوا لما ترون، فقد وهبني الله أربعة من البنين ثم أخذ منهم واحداً وأبقى ثلاثة فله الحمد وأعطاني أربعة من الأطراف ثم أخذ منها واحدا وأبقى ثلاثة فله الحمد، لئن أخذ الله مني قليلا فلقد أبقى لي كثيرا، ولئن ابتلاني مرة فلطالما عافاني مرات.

عاش عروة واحداً وسبعين عاما مليئة بألوان البر حافلة بالتقوى فلما جاءه الأجل المحتوم أدركه وهو صائم وقد ألح عليه أهله أن يفطر فأبى ولعله كان يرجو أن يفطر على شربة من نهر الكوثر في قوارير من فضة بأيدي الحور العين. رحم الله عروة بن الزبير وجزاه عن الإسلام خير الجزاء ■

في رثاء الشاعر محمد منذر الشعار

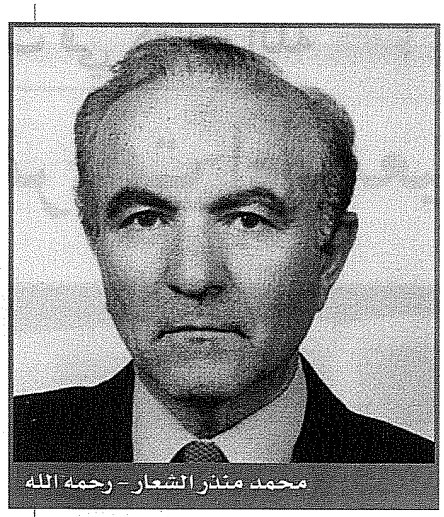
محمد منذر الشعار - رحمه الله

غيَّب الموت أواخر الشهر الماضي الكاتب والأديب الأستاذ محمد منذر الشعار. رحمه الله. ويعد الفقيد الراحل من أوائل الكتاب الذين أثروا المجلة بنتاج فكرهم وإبداعهم، فكانت له بصمات شتى في كل باب من أبواب المجلة، رحم الله فقيدنا وأسكنه فسيح جناته وجزاه الله خير الجزاء.

شعر: محمد عبدالله القولي

مَنْ للقوافي بَعْدَ فَقْدكَ مُنْذِرُ
مُذْ أُسْكِتَ الصَدَّاحُ وَهْوَ المِبْهِرُ؟
مُذْ غَابَ عَنْ بَحْرِ المعارفِ نجمُهُ
وَطَوتْهُ مِنْ غَيبِ المقادرِ أَبْحُرُ
مَنْ للفضائلِ غارساً ومُنَمِّياً
لَكَأنَّهُ في سَقْيِهِنَّ الأنهرُ؟
كَمْ نَوَّعَ الإِبْداعَ في إِبْرازِها
فَإِذا البَيانُ منَ العُذوبةِ يَسْحَرُ
مَنْ لِلْمَكارِمِ داعياً وَمُرَغِّباً
حُلْوُ الحديثِ عَنِ المكارِمِ يُخْبِرُ؟
صِدْقُ الحُروفِ إِلىٰ القُلوبِ مَفَاتِحٌ
فَجَمالُهُ في كُلِّ آنٍ يأسِرُ
مَنْ للشَريعةِ عاشقاً ومُدافعاً؟
كَمْ مِنْ صَحائفَ مِنْ دِفَاعِكَ تَفْخَرُ
كَم جَوْلَةٍ رِدَّتْ يَراعُكَ ظالماً
فَإِذا بِهِ في غَيِّهِ يَتعَثَّرُ

كم مُفْترٍ أَلْقَمْتَهُ حَجَراً وَكَمْ
مِنْ حاقدٍ في حِقْدِهِ يَتَفَجَّرُ
كَمْ طاعنٍ في الدين قُمْتَ تَرُدُّهُ
فإذا بِهِ عِندَ الحقيقةِ يُنْحَرُ
مَنْ للعُروبةِ والهاً ومنافحاً
في حُبِّها هو عاشقٌ مُسْتَأْسِرُ
أَمْضَىٰ الحياةَ يَعُبُّ مِنْ أَنْدائها
ويُنيرُ مِنْ مَجْدِ الجدودِ وَيَذْكُرُ
كم غَرَّدَ الصدَّاحُ في تقريظها
فإذا بِهِ مَجْدٌ يُضافُ ويُؤثَرُ
يَستعرِضُ الآياتِ مِنْ أمجادِها
فإذا الجَمالُ مِنَ المحاسِنِ يَزْخَرُ
لكأنَّما من «يَعرُبٍ» هُوَ مُرسَلٌ
مُترنِّمٌ بِفعالِها ومُصوِّرُ
مَنْ للفصاحةِ ناظِماً مِنْ بَحْرِها
دُرَّ البيانِ قلائداً تَتَنضَّرُ؟

فالشِّعرُ فيضٌ يستقي من «يَعْرُبٍ»
قَسماتِه، ومِنَ الجزالةِ يهْدُرُ
مَنْ للطُّفولَةِ عارفاً أسرارها
يَرقى بها نحو العُلا ويُطوِّرُ؟
مَنْ للشبابِ مُهَذِّباً أخلاقَهُمْ
كالبدرِ في حَلَكِ الدروبِ يُنَوِّرُ؟
يا رَبُّ فاغفر للشهيدِ وَجُدْ لَهُ
بنعيمِ خُلْدٍ سالَ فيهِ الكوثَرُ
طُوبى أبا النعمان ربُّكَ راحِمٌ
وعطاؤهُ لأُولي المحبةِ مُبْهِرُ
سيظلُّ ذكرُكَ في القلوبِ يَسُرُّها
ويظلُ قولُكَ للحياةِ يُعَطِّرُ
فَاهْنَأْ أبا النُعْمانِ ذِكرُكَ طيِّبٌ
وَثَراكَ مِنْ عِطْرِ المَحامِدِ يَزْخَرُ

تأملات في كتاب الله

الحلقة الأولى

المقررات الجامعية في القرآن الكريم

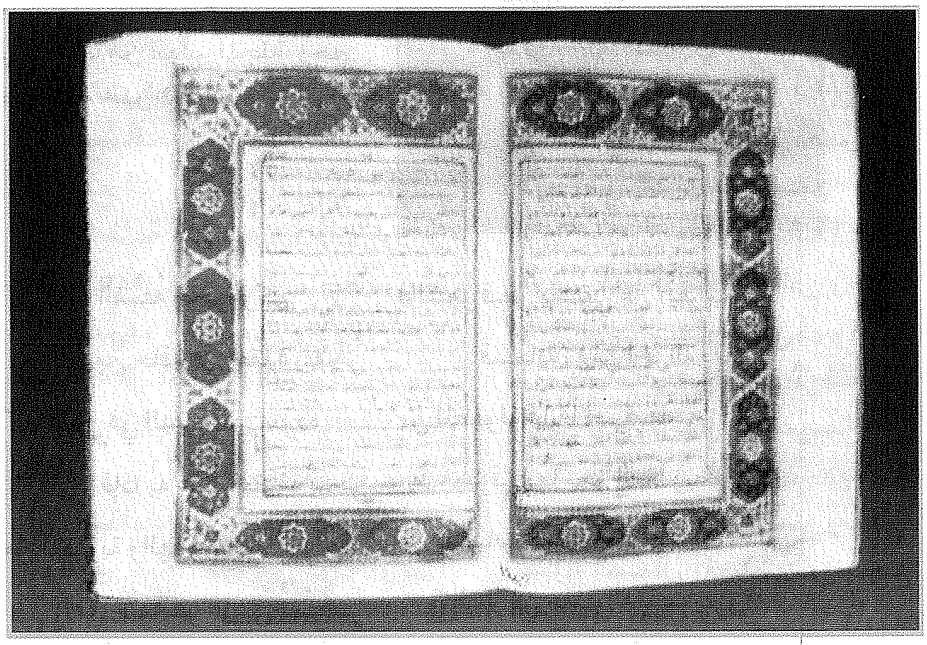

بقلم: د. أحمد شرشال

كم قرأنا وكم سمعنا عن كتابات وأبحاث حول التربية والتعليم، وكم من كتب تزخر بها المكتبات، وكم من مؤسسات تربوية وكليات أقيمت من أجل التربية والتعليم، وكل واحد منا يدلي بدلوه ويخوض مع الخائضين، وكل إناء بما فيه ينضح، ثم لم نشهد آثاراً حميدة تذكر لهذه المؤسسات التربوية، وإنما تدفع جيلاً بعد جيل لا قوام له لأن المناهج التربوية الحديثة وما جدّ فيها من بحوث لم تبنَ على قواعد وأسس لبناء الإنسان علماً وفكراً وأدباً لعمارة الأرض، بل لم تزده إلا انحرافاً وشذوذاً أو غلواً وطغياناً.

والأمر في غاية البساطة لايحتاج إلى كد الذهن وإجهاد الفكر وإجراء التجارب على المجانين والفئران والكلاب وتعميمها على الإنسان الذي كرَّمه الله وحباه. فالأمر لا يحتاج إلى هذا التعقيد، فكأن المنظومة التربوية والمناهج الدراسية ضائعة وكل منا يحاول إيجاد هذه الضالة.

منذ أن أوجد الله جل وعلا هذا الإنسان وخلقه فسواه وعد له ونفخ فيه من روحه، وسخَّر له هذا الكون وبين له ما يصلحه وما يحتاج إليه وما ينمي أحواله الجسدية والنفسية والاجتماعية والتربوية والعلمية وغيرها.

والخالق جلَّ وعلا هو العليم الخبير بخلقه. لم يشاركه أحد في ذلك، فمن العبث أن يحاول هذا المخلوق إيجاد منظومة تربوية تضمن السعادة لهذا الكائن الحي الذي لم يشارك أحد في صنعه: (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً).

أقول: ومن الله استمد العون والتوفيق، لما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع الحاوي لجميع ما يصلح هذا الإنسان، رأيت أن أترسم هداه، وأن ألتقط دره المنثورة في ثنايا الآيات والسور المتعلقة بهذه المقررات والمناهج الدراسية التي رسم القرآن معالمها الكبرى، وأمل من وراء ذلك تحديد هذه المقررات الجامعية، وبيان آثارها على الطالب والأستاذ والمجتمع. فإن أفضل المناهج وأكملها وأسلم طريق للتربية والتعليم ما جاء به القرآن الكريم.

مناهج الدراسة ومقرراتها في الجامعات وغيرها نأتْ عن المنظومة التربوية

إن صلاح الإنسان لا يستقيم إلا إذا صلح تعليمه. لأن التعليم هو الذي يطبع

المتعلم بالطابع الذي يريده المعلم، ولا ينفع هذا التعليم إلا إذا رجعنا به إلى التعليم النبوي في شكله وموضوعه وفي مادته وصورته كما كان يتعلم النبي - ﷺ - من جبريل، وكان يعلِّم أصحابه - رضي الله عنهم - فقد صح عنه - ﷺ - أنه قال: «إنما بُعثت معلِّماً».

وإن مناهج الدراسة ومقرراتها في الجامعات وغيرها قد نأتْ عن هذه المنظومة التربوية، وتضمنت مواد جافة مجردة من الحوافز التي تدفع الطالب للعمل بما علم، ولا تعطي الثمار المرجوة منها، فهي أشبه بالصنعة التي يتعلمها أي إنسان آخر.

ثم هي لم تكن واضحة المعالم عند الطالب، ولا حتى عند الأستاذ الذي تصدّر للتدريس، فلا تحدث في نفس الطالب انفعالاً لهذا المقرر أو ذاك. ولا تولِّد في نفسه حرارة الإيمان، ولا تزوده بزاد التقوى، ولا تحدث في نفسه ذكراً بخلاف ما إذا ربطنا صناعة التعليم ومناهجه بفعل النبي ومنهجه وطريقته.

وإذا أردنا أن نصحح اتجاه الطلبة، فلنبدأ بتصحيح المناهج التعليمية كما حددها القرآن الكريم، فإنه قد تضمن أصولاً وقواعد تربوية غفل عنها رجال التربية والتعليم، ومن ثم أصبح من الواجب علينا قبل الإقدام على وضع المناهج التعليمية والمقررات الدراسية أن نتلمس طريقة القرآن، وهدي النبي - ﷺ - ومنهجه في التربية والتعليم.

إن صفة منهج النبي - ﷺ - في التربية والتعليم قد رسم القرآن معالمها الكبرى واستقل ببيانها، وفصلتها السنة النبوية.

قال تعالى في بيان صفة هذا المعلم ومنهجه في سورة البقرة: (كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) البقرة:١٥١، وقال في سورة آل عمران: (لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) آل عمران:١٦٤، ومثل هذه الآية ما جاء في سورة الجمعة في الآية الثالثة.

فقد صرَّحت هذه الآيات بالمنهج العام لأصول التربية والتعليم ومقرراته، الذي لا منهج ولا مقرر سواه، وهو الذي لا ينبغي أن يتغير أو يتبدل أو يعدل، وهو منهج مقرر أصيل يسعد الإنسان في دنياه وأخراه، لأن منزله هو الخالق لهذا الإنسان، العليم بطبيعة تكوينه، الخبير بدروب نفسه، ومنحنياتها.

وهو منهج موغل في القدم، قد جاء مطابقاً لدعوة إبراهيم - عليه السلام - وقد حكى القرآن نص الدعوة فقال: (ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) البقرة:١٢٩، وقد حقق الله دعوة إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - فوافقت قدر الله السابق، ولذلك قال - ﷺ -: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة أخي عيسى» ابن كثير: ١٩٧/١.

وقد بيَّن القرآن أن هذا المنهج الدراسي وما تضمنه من مقررات علمية لم يكن مقصوراً على الموجودين مع النبي - ﷺ -، بل هو صالح وملزم لكل من يأتي بعد النبي - ﷺ - من العرب والعجم، ولم يكن يومئذٍ قد ولد، فقال: (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين. وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم) الجمعة: ٢-٣، والمراد بالآخرين منهم لما يلحقوا بهم: هو كل من يأتي بعد الصحابة - رضي الله عنهم - إلى يوم القيامة، فيتلو على الحاضرين القرآن، ويتلو على الآخرين، ويعلم الحاضرين الكتاب والحكمة ويعلم الآخرين، ويزكي الحاضرين ويزكي الآخرين.

قال القرطبي: «لأن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمن كان كله مسنداً إلى أوله. فكأنه هو الذي تولى كل ما وجد منه: ٨٣/٩.

أقول: إن منهج التربية والتعليم في القرآن موصول ومتواصل لا انقطاع فيه، ولذلك أسند في الآية تعليم الآخرين إليه - ﷺ -، وهؤلاء الآخرون لم يدركوه، لأنهم يتلقون ذلك عن طريق الرواية والمشافهة والتلقي عمَّن تلقى عنه بالإسناد المتصل، ومن ثم صح إسناد تعليم الآخرين إليه - ﷺ - لهذه النكتة.

صلاح الإنسان لا يستقيم إلا إذا صلح تعليمه في شكله وموضوعه

وقد جاء عقب نص دعوة إبراهيم أن من لم يقبل هذا المنهج، وانحرف عنه يعد سفيهاً فقال جل وعلا: (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) البقرة:١٣٠، أي امتهن نفسه، واستخف بها وظلمها، وما أكثر السفهاء اليوم لتنكبهم عن هذا المنهج وهذه المقررات، ولن يكون أحد داخلاً في دعوة إبراهيم وإسماعيل، حتى يمتثل ويقبل هذا التعليم الجامع بكامل مفرداته ومقرراته، فإن القرآن سماه سفيهاً.

وفي الحلقة الثانية إن شاء الله نشرع في بيان هذه المقررات الجامعية وأثرها في حياة الفرد والمجتمع، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ■

كلية الشريعة. جامعة الكويت

تحقيق قسم النكاح والطلاق من كتاب المحرر للرافعي

إعداد: عبدالله بدران

لاريب في أن الاشتغال بالعلم والعمل به وتعليمه، هو من أفضل القُرب وأجل الطاعات التي يُتقرب بها إلى الله عز وجل، ولكن شرط الإخلاص، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً. ومن أهم أنواع العلم الفقهيَّات، قال تعالى: (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم) التوبة:١٢٢.

وجاءت الأحاديث المشهورة تؤكد ذلك، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» رواه البخاري والترمذي.

ولعل الفقه الذي قصده الله عز وجل ورسوله هو أعم من مجرد العلم بالأحكام الشرعية، فالعلم بالأحكام جزء منه، وأما الفقه في الدين فإنه يتعدى ذلك ليصل إلى سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وما فيه صلاح قلبه بالصلة مع ربه، وصلاح عقله بالتدبر والتفكر في آيات الله وفي إشغاله وإعماله بكل ما هو مفيد له ولمجتمعه، وصلاح جسمه بما يحقق له صحته وقوامه واستمراره.

الرافعي و«المحرَّر»

والرسالة التي سنتناولها هي رسالة ماجستير نوقشت في شعبة الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون في جامعة أم درمان الإسلامية، وتقدم بها الباحث عبدالرحمن فهد الدرخباني بإشراف الأستاذ الدكتور محمد خير هيكل.

وقد اختار الباحث مع مجموعة من الطلبة تحقيق كتاب «المحرر» للإمام أبي القاسم عبدالكريم بن محمد الرافعي، الذي يعد من شيوخ الشافعية، وأحد مرجحي المذهب، كما أن كتاب «المحرر» يعتبر عمدة في تحقيق المذهب الشافعي بعد أن كثرت المبسوطات والمختصرات في الفقه.

وقد ذكر الرافعي في «المحرر» الراجح في المذهب في كل مسائل الفقه، وقام كثير من العلماء بشرحه واختصاره، ولعل أبرز من عني به الإمام النووي، الذي اختصره وسمَّى مختصره «منهاج الطالبين، معتبراً إياه عمدة في تحقيق المذهب، ومعتمداً للمفتي وغيره من أولي الرغبات.

واعتمد الباحث على أربع نسخ مخطوطة من الكتاب، واختار «قسم النكاح والطلاق» موضوعاً لرسالته.

الأسرة المسلمة

أوضح الباحث في مقدمة الرسالة أنه رغب في هذا العلم انطلاقاً من كون الشريعة الإسلامية حرصت من خلال أحكامها على تحقيق مصلحة الفرد والمجتمع، من خلال تنظيم علاقة الفرد بالأسرة.

والأسرة هي اللبنة الأساسية في تأسيس المجتمع الإسلامي القويم بعد تأسيس الفرد، لذا حرصت الشريعة الإسلامية على إقامة الزواج على أمتن الأسس وأقوى المبادئ، لتتحقق الغاية الطيبة وهي بقاؤه ودوامه، وتحقيق سعادة الأسرة من خلاله لينشأ جيل الأولاد فيما بعد جيلاً صالحاً بعيداً عن الفرقة والشتات، في بيت عامر بالحب والسكينة.

كما اعتنت الشريعة الإسلامية بالفرد المسلم، أخلاقاً وتربية وإيماناً، وطلبت إليه اختيار الزوجة الصالحة، ولا يقصد بالزوجة الصالحة التي تكون صالحة في عباداتها فقط!! إنما تكون صاحبة عقل راجح، وقلب عامر، وفكر ناضج، مع حسن التدبير والحكمة في التصرف في مختلف الأوقات والأزمات والصعوبات التي تواجه الحياة الأسرية.

واختار الباحث موضوع الرسالة رغبة في أن ينفض الغبار عن كتاب «المحرر» وينتفع منه أكبر عدد ممكن من طلبة العلم، وينتقل من رفوف مكتبات المخطوطات إلى المكتبات العامة في جميع البلاد الإسلامية.

خطة الرسالة

قسَّم الباحث الرسالة إلى قسمين تناول في الأول التمهيد وثلاثة فصول، فيما تناول في الآخر قسم التحقيق وألحقه بخاتمة وثبت للمصادر والمراجع والفهارس.

وتناول في التمهيد المقدمة وخطة البحث وسبب اختياره، فيما تناول في الفصل الأول دراسة مختصرة عن الإمام الشافعي تضمنت عشرة مباحث، عرض فيها لاسم

الشافعي ونسبه ونشأته وعصره وعمله ومناصبه ومذهبيه القديم والجديد، ومناقبه وصفاته وأقوال العلماء فيه وشيوخه ومصنفاته ووفاته.

وعرض الباحث في الفصل الثاني دراسة عن المؤلف «الإمام الرافعي» وجاءت في تسعة مباحث تناول فيها اسم المؤلف ونسبه ومولده ووفاته وأخلاقه وصفاته وشيوخه وتلامذته وعصره ومنزلته العلمية ومصنفاته. وجاء الفصل الثالث تحت عنوان «المؤلف» وتناول فيه كتاب «المحرر» بوضوح الرسالة ـ من خلال ثلاثة مباحث هي:

١ ـ نسبة الكتاب إلى مؤلفه.

٢ ـ وصف نسخه.

٣ ـ القيمة العلمية للكتاب، ومنهج الرافعي فيه.

منهج الرافعي:

أوضح الباحث أن الرافعي كان قليل الذكر في كتابه «المحرر» لأدلة الأحكام الشرعية، حيث جاءت الأدلة في بداية كل كتاب فقط، واقتصر على دليل واحد لكل كتاب من كتب الفقه، وأدلته مأخوذة من القرآن الكريم، ويندر جداً أن يأتي بحديث. ولم يعتنِ الرافعي كثيراً بمناقشة الآراء الأخرى في المذهب الشافعي، إنما اقتصر على ذكر القول الراجح أو الأظهر أو الأصح فيه، وقد يشير أحياناً إلى وجود قول ثان لكن من دون أن يذكره إلا في بعض المواضع النادرة جداً. ولم يأت «المحرر» على ذكر أو مقارنة للأحكام في المذاهب الأخرى كالحنفية والحنبلية والمالكية على الإطلاق، والتزام الرافعي بذكر ما صح في المذهب الشافعي دون أن ينسب ذلك القول الراجح لصاحبه، كما أن فيه الكثير من الفروع. ومع هذا كله فإن المحرر يعد بشهادة كبار العلماء من أهم كتب الفقه ومراجعه وعمدة في فقه الشافعية. وقد أورد الرافعي مصطلحات عدة في كتابه، كالأصح والأظهر والأشبه، شرحها الإمامان النووي والخطيب الشربيني فيما بعد.

منهج التحقيق

وتناول الباحث في القسم الثاني من رسالته نص «المحرر» في قسم النكاح والطلاق، مبيناً المنهج الذي اتبعه في تحقيق نسخ الكتاب ومن أهم بنوده:

ـ اعتماد أصح النسخ كأصل، والمقارنة مع بقية النسخ.

ـ تخريج الآيات والأحاديث وشرح الكلمات المبهمة.

ـ توضيح المصطلحات التي أوردها الرافعي.

ـ إيراد أدلة الأحكام من الكتاب والسنة وغيرهما.

ـ الاستعانة بنصوص من كتب الشافعية للفهم عند الحاجة.

ـ الإشارة إلى بعض الأحكام الموجودة لدى المذاهب الأخرى لزيادة الفائدة والمقارنة والترجيح.

ـ العودة إلى عدد من المصادر الطبية للاستفادة منها في بعض الموضوعات الشرعية ذات الصلة بالأمور الطبية.

ـ تعريف بالأعلام والمعالم التاريخية الجغرافية.

وأورد الباحث في خاتمة الرسالة سبعة فهارس جاءت كالتالي:

ـ فهرس الآيات. ـ فهرس الأحاديث. ـ فهرس الأعلام. ـ فهرس البلدان والأمكنة.

ـ فهرس أبيات الشعر. ـ فهرس المسائل الفقهية. ـ فهرس الموضوعات.

ولا ريب في أن هذا العمل الضخم الذي جاء في نحو ٦٠٠ صفحة من القطع المتوسط يعتبر إنجازاً جيداً في نشر كتاب مرجعي في الفقه لمؤلف عاش في القرن السادس الهجري وبقي كتابه رهين رفوف المخطوطات حتى القرن الخامس عشر الهجري ■

اقتصر الرافعي على دليل واحد لكل كتاب من كتب الفقه

رسائل وأطروحات

● «أحكام الصغير في الفقه الإسلامي مقارناً بالقانون الكويتي» رسالة ماجستير تقدمت بها فاطمة سعيد الرشيدي إلى كلية الشريعة في جامعة الكويت بإشراف الدكتور خالد المذكور.

● «تزكية النفس بين الأمانة والمسؤولية» رسالة ماجستير تقدم بها عماد دعيج النهابة إلى جامعة الجنان في لبنان بإشراف الدكتور أسامة الرفاعي.

● «كفالة المال في الفقه الإسلامي وصورها المعاصرة» رسالة ماجستير تقدم بها صلاح أحمد علي يوسف إلى كلية الشريعة في جامعة الكويت بإشراف الدكتور محمود حسن.

● «تأثير الحملات الإعلامية على الناخب الكويتي» رسالة ماجستير تقدم بها هزاع عواد الفضلي إلى جامعة الجنان في لبنان بإشراف الدكتور فضل الله اليختي.

● «الأحكام المتعلقة بالمرأة الحامل في الفقه الإسلامي» رسالة ماجستير تقدم بها راشد سعود العميري إلى كلية الشريعة في جامعة الكويت بإشراف الدكتور عبدالغفار الشريف.

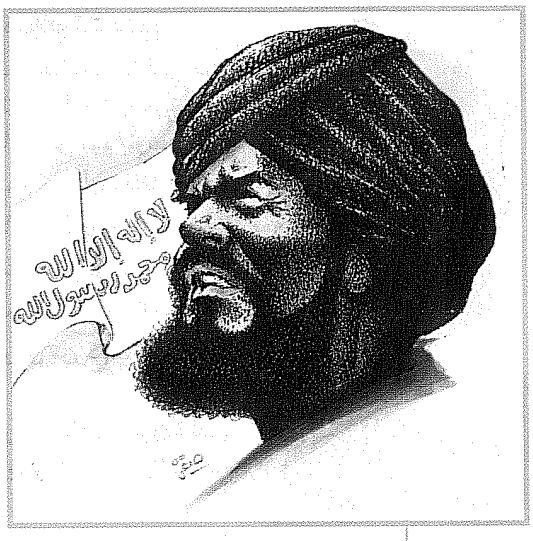

البراء بن عازب
من فتيان الصحابة الفاتحين الفقهاء

بقلم:
أ.د. محمد الزحيلي

قال الله تعالى: (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) الكهف:١٣. هذه الآية تنطبق تماماً على فتيان الصحابة الذين كان الإيمان يغمر قلوبهم، وازدادوا هدى وحباً لرسول الله ﷺ وحرصوا - وهم فتية في ريعان الشباب - أن يشاركوا في الجهاد، حتى استصغرهم رسول الله ﷺ، في معركة بدر الكبرى، وفي غزوة أحد، ردَّهم، والبراء واحد منهم، ولكنهم ازدادوا شوقاً، لمصاحبة رسول الله ﷺ، وتعلقاً بالجهاد، والمشاركة في المشاهد الأخرى، وهم صغار السن، ثم ثابروا على خط الإيمان والفداء، والعطاء والجهاد بعد الكبر، حتى وصلوا الخافقين، وكانوا جسراً مشرِّفاً بين جيل الصحابة الكبار، وبين التابعين في نقل السنَّة، وتصوير حياة رسول الله ﷺ قولاً وفعلاً، وتطبيقاً وسلوكاً، ونقلوا ذلك للأجيال اللاحقة، ثم جاءت الأجيال الإسلامية تتمثل سيرة هؤلاء الصحب الكرام.

ونذكر من هذه الثلة الفتى، والشاب البطل المجاهد محمد الفاتح، الذي فتح القسطنطينة، أعظم حصون الروم، وآخر قلاعها، كما بشَّر بذلك رسول الله ﷺ، ولم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره، وأمثاله كثيرون في تاريخ الإسلام الذهبي الناصع. ومنهم الصحابي الفتى، الفاتح، الفقيه، البراء بن عازب رضي الله عنه.

اسمه ونسبه:

هو البراء «بتخفيف الراء والمد» بن عازب ابن الحارث بن عدي بن جُشم الأنصاري، الأوسي «وجاء في كلام ابن عبدالبر: الخزرجي، ولعله سهو، أو سبق قلم، أو خطأ من النساخ» الحارثي، يُكنى بأبي عمارة، وقيل: أبا الطفيل، وقيل: أبا عمرو، وقيل: أبا عمر، والأكثر أنه أبو عُمارة، وهو الأصح.

أسرته

أبوه - عازب - صحابي، ونصَّ ابن سعد وغيره أنه أسلم، ثم ذكر ابن سعد قصة عازب مع أبي بكر الصديق رضي الله عنهما في طلبه التحديث عن الهجرة، وأم البراء: أم حبيبة بنت أبي حبيبة بن الحُباب ابن أنس بن زيد بن مالك بن النجار بن الخزرج، فهي خزرجية، وقيل: أمه أم خالد بنت ثابت.

أبناء البراء وأخوه

كان للبراء أولاد عدة، منهم: يزيد، وسُويد، وقد رويا عنه الحديث، وكان سُويد على عُمان، فكان خير الأمراء، ومن أولاده: عُبيد، ويونس، وعازب، ويحيى، وأم عبدالله ولم تسمَّ أمهم.

وأخوه هو عُبيد بن عازب، وهو أحد العشرة من الأنصار الذين وجَّههم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مع عمار بن ياسر - رضي الله عنه - إلى الكوفة، وله عقب بالكوفة، وله بنت اسمها أم حفص روت الأحاديث عن عمِّها البراء بن عازب رضي الله عنه. البراء ابن أخت الصحابي الجليل أبي بُردة هانئ بن نيَّار رضي الله عنه، قال البراء: لقيت خالي أبا بردة، ومعه الراية.

إسلام الفتى

أسلم البراء، وهو فتى صغير لايتجاوز العاشرة من عمره. أسلم بالمدينة على يدي الدعاة أمثال مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، وأسعد بن زرارة رضي الله عنهم، قبل الهجرة النبوية، ولا توجد رواية - فيما أعلم - عن تاريخ إسلامه بدقة، ولكنها تستنبط من أحداث تاريخية ثابتة.

فقد عرض نفسه للذهاب إلى غزوة بدر التي كانت في السنة الثانية للهجرة، فاستصغره النبي ﷺ، باتفاق الرواة، واستصغره في غزوة أحد في رأي بعض الرواة، كما سنرى، وروى ابن سعد رحمه الله تعالى، عن محمد بن عمر قال: أجاز رسول الله ﷺ البراء بن عازب يوم الخندق، وهو ابن خمس

عشرة سنة، ولم يُجزْ قبلها، وكانت غزوة الخندق في السنة الخامسة للهجرة، وهذا يعني أن عمره عند الهجرة كان عشر سنوات، وأنه أسلم قبلها.

وروى البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «أول من قَدِمَ علينا من أصحاب رسول الله ﷺ مصعب بن عمير، ثم عمرو بن أم مكتوم رضي الله عنهما، فجعلا يُقرئان الناس القرآن، ثم جاء عمار وبلال، وسعد.. وعمر ابن الخطاب.. فلم يقدم علينا رسول الله ﷺ حتى قرأت سوراً من المفصَّل «سور آخر القرآن» ثم خرجنا نتلقى العير، «للمهاجرين من مكة». وكان البراء بن عازب - رضي الله عنه - من أقران ابن عمر - رضي الله عنهما - قال البراء: غزوت مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة، وأنا وعبدالله بن عمر لِدَّة «أي من سن واحدة».

ولهذا يصدق عليهم قول الله تعالى: (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى» الكهف:١٣.

مشاهد البراء

غزا البراء بن عازب رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة، كما سبق في قوله، وفي رواية: أربع عشرة غزوة، واستُصْغر يوم بدر باتفاق المؤرخين، وكان عدة أهل بدر ثلاثمئة وبضع عشرة، وفي قول ثلاثمئة وأربعة عشر رجلاً، قال البراء رضي الله عنه: استُصْغِرتُ أنا وابن عمر يوم بدر، قال الواقدي: استصغر رسول الله ﷺ يوم بدر جماعة، منهم: البراء بن عازب، وعبدالله بن عمر، ورافع بن خديج، وأسيد بن ظهير، وزيد بن ثابت، وعُمير بن أبي وقاص، ثم أجاز عُمير فاستشهد يومئذ. واتفق المؤرخون أن البراء رضي الله عنه شهد غزوة الخندق، وكانت في السنة الخامسة للهجرة، واختلفت الروايات في حضور البراء غزوة أحد.

قال ابن الأثير: «ردَّه رسول الله ﷺ عن بدر، استصْغره، وأول مشاهد أحد، وقيل: الخندق، وغزا مع رسول الله ﷺ أرب عشرة غزوة». وعن البراء - رضي الله عنه - قال: «استصغرني رسول الله ﷺ أنا وابن عمر، فردّنا يوم بدر، فلم نشهدها...، وشهد أحد»، وقال الخزرجي: «وشهد أحداً والحديبية».

وقال أكثر المحققين في السيرة والتراجم إنه لم يحضر أحداً، واستصغر فيها أيضاً، وردَّ.

قال الواقدي: «أول غزوة شهدها ابن عمر، والبراء بن عازب، وأبو سعيد الخدري، وزيد بن أرقم «الخندق» وعقب ابن عبدالبر على هذه الرواية، وقال: «وهذا أصح في رواية نافع». ونقل ابن القيم رحمه الله تعالى أن البراء ردَّ مع من استصغر يوم أحد، وأكد ذلك ابن هشام في «السيرة»، وأن رسول الله استصغر الشباب يوم أحد، وردَّ بعضهم.

وروى ابن سعد عن محمد بن عمر قال: «أجاز رسول الله ﷺ البراء بن عازب يوم الخندق، وهو ابن خمس عشرة سنة، ولم يُجز قبلها».

والظاهر أن هذا القول هو الأرجح، وأن البراء رضي الله عنه لم يشهد أحداً.

وشهد البراء غزوة الحديبية، ونقل عدد الذين بايعوا تحت الشجرة، وكانوا ألفاً وأربعمئة بخيلنا ورجلنا، يعني فارسهم وراجلهم.

وذهب البراء - رضي الله عنه - مع خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليمن ليدعو أهلها إلى الإسلام، وبقوا ستة أشهر، ثم عاد خالد، وأرسل رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه لليمن، وبقي البراء مع عليّ، حتى أسلمت هَمْدان جميعاً، لما روى البيهقي بإسناد صحيح عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، فكنت فيمن خَرَج مع خالد بن الوليد، فأقمنا ستة أشهر، يدعوهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه، ثم إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه...» قال البراء: «فكنت فيمن عقب مع علي... فأسلمت هَمْدان جميعاً...».

وتابع البراء بن عازب رضي الله عنه المشاركة في القتال والجهاد في سبيل الله تعالى وشهد معركة «تستر» مع أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما سنة عشرين في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتُسْتُر: أعظم مدينة بخوزستان من بلاد فارس، وجعلها عمر رضي الله عنه بعد فتحها من أرض البصرة لقربها منها.

وشهد البراء بن عازب رضي الله عنه مع علي كرم الله وجهه يوم الجمل، وصفين، وحضر معه قتال الخوارج في النهْروان.

استقرار البراء وتفرغه للعلم

وآن للمسافر أن يعود، وللمرتحل أن يحل في أرض، وللمتنقل أن يستقر، بعد جهاد طويل في عهد النبي ﷺ، وطوال عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ونزل البراء بن عازب رضي الله عنه الكوفة، وابتنى بها داراً، وبقي فيها حتى مات بها، وله فيها عقب. وكانت آخر مشاهد البراء رضي الله عنه مع علي كرم الله وجهه، حين جاوز الخمسين من عمره، وعاش بعد ذلك أكثر من ثلاثين سنة، ولم يرد في المصادر والمراجع التي اطلعت عليها أنه اشترك بعد هذا في الجهاد والفتوح، ولكنه تفرغ في الكوفة للعلم والتعلم، والحديث عن رسول الله ﷺ، وتربية المسلمين على منهج الإسلام القويم، ولذلك وردت عنه أحاديث كثيرة، وترك آثاراً علمية طيبة في الكوفة، ولذلك يُعدُّ من فقهاء الصحابة في الكوفة.

جمع البراء بن عازب رضي الله عنه بين الخيرين السيف والقلم أو الجهاد والعلم

أحاديث البراء

روى البراء بن عازب رضي الله عنه جملة كثيرة من الأحاديث عن رسول الله ﷺ مباشرة، وروى عن أبيه، وأبي بكر، وعمر رضي الله عنهم، وغيرهم من كبار الصحابة، وكان رضي الله عنه يقول: «ما كلُّ ما نحدِّثكموه عن رسول الله ﷺ سمعناه منه، حدَّثنا أصحابنا، وكان يشغلنا رعية الإبل». وله ثلاثمئة حديث، وخمسة أحاديث، اتفق البخاري ومسلم على اثنين وعشرين حديثاً، وانفرد البخاري بخمسة عشر حديثاً، ومسلم بستة أحاديث.

وروى عنه من الصحابة أبو جُحَيفة، وعبدالله بن يزيد الخطمي، كما روى عنه جماعة من التابعين، منهم: الشعبي، وعبدالرحمن بن أبي ليلى، وعدي بن ثابت، ومعاوية بن سُويد، وسعد بن

عُبيدة، وخلق كثير، آخرهم أبو إسحاق السبيعي.

وجمع الإمام أحمد ما رواه عن البراء بن عازب رضي الله عنه في الجزء الرابع من «مسند الإمام أحمد» رحمه الله تعالى.

وإن كثرة رواية البراء بن عازب رضي الله عنه للأحاديث هي سبب شهرته في مجالس العلم والعلماء وطلاب العلم، وتكرر اسمه في بطون كتب الفقه والحديث والسيرة أكثر من كبار الصحابة المشهورين، والمعروفين، ولكن يندر من يعرف سيرة هذا الصحابي الفتى في الجهاد والفتوح.

وبيَّن ابن سعد رحمه الله تعالى سبب قلة الأحاديث عن كبار الصحابة، وكثرتها عن صغار الصحابة، فروى عن محمد بن عمر الأسلمي قال: «إنما قلت الرواية عن الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ، لأنهم هلكوا قبل أن يُحتاج إليهم، وإنما كثرت عند عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، لأنهما وليا، فسُئلا، وقضيا بين الناس، وكلُّ أصحاب رسول الله ﷺ كانوا أئمة يُهتدى بهم، ويُحفظ عليهم ما كانوا يفعلون، ويُستفتون فيُفتون، وسمعوا أحاديث فأدَّوها، فكان الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ أقلَّ حديثاً عنه من غيرهم، مثل أبي بكر، وعثمان، وطلحة، والزبير، فلم يأت عنهم من كثرة الحديث مثل ما جاء عن الأحداث الصغار من أصحاب رسول الله ﷺ، مثل جابر بن عبدالله...، وأنس بن مالك، والبراء بن عازب، ونظرائهم، وكلُّ هؤلاء كان يُعدُّ من فقهاء وأصحاب رسول الله ﷺ».

غزا البراء بن عازب رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة

وهكذا جمع هذا الصحابي الجليل البراء بن عازب - رضي الله عنه - بين الخَيْرَين: السيف والقلم، أو الجهاد والعلم، فجاهد، وشارك في القتال، وشهد الغزوات مع رسول الله ﷺ، ثم الفتوح والمعارك الفاصلة في عهد الراشدين، مدة تقرب من أربعين عاماً، ثم صرف معظم عمره، وهو أكثر من ثلاثين سنة في العلم والتعليم، والتحديث والرواية والفقه والتربية.

مناقب البراء

كانت سيرة البراء بن عازب - رضي الله عنه - السابقة أهم مناقبه في الجمع بين الصحبة للنبي ﷺ، وحضور معظم مشاهده في خمس عشرة غزوة، ومصاحبة النبي ﷺ في أسفاره، والتمتع منه بنور النبوة، واقتباس العلم والدعوة، ثم ملازمة النشاط والمشاركة في الدعوة والجهاد طوال العهد الراشدي، إلى أن تفرغ للعلم والرواية والتحديث عن رسول الله ﷺ، متمثلاً قول الحبيب المصطفى، وراغباً بدعائه الميمون المبارك: «نضَّر الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يُبَلِّغه غيره، فربَّ مبلَّغ أوعى من سامع» وفي رواية «نضَّر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه، حتى يُبَلِّغه غيره، فربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، وربَّ حامل فقه ليس بفقيه» وهذا الحديث رواه الإمام أحمد، والترمذي وابن حبان، عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً، والرواية الأخرى رواها الترمذي، والضياء المقدسي، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعاً، والحديث له روايات أخرى متعددة عن أنس رضي الله عنه، والنعمان بن بشير، رضي الله عنه، وغيرهم عن أحمد وابن ماجه والحاكم. كما تفرَّد البراء بن عازب رضي الله عنه ببعض المناقب، أهمها:

١ - كان البراء بن عازب رضي الله عنه يقول: «أنا الذي أرسل معه النبي ﷺ السهم إلى قُلَيب «بئر» الحديبية، فجاش بالرِّي «أي ارتفع ماؤه»، وقيل: إن الذي نزل بالسهم ناجية بن جُندب، وهو أشهر.

٢ - كان البراء بن عازب رضي الله عنه يحب موافقة رسول الله ﷺ في حله وترحاله، وفي إقامته وسفره ما أمكنه ذلك، قال البراء رضي الله عنه: «سافرت مع «وفي رواية - صحبت» رسول الله ﷺ ثمانية عشر سفراً. فلم أره ترك ركعتين قبل الظهر».

٣ - كان البراء بن عازب رضي الله عنه من أقران عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أحد العبادلة وأحد الصحابة المشهورين بالإكثار من رواية الحديث عن رسول الله ﷺ، وأكثر الصحابة تأسياً برسول الله ﷺ، وفقيه أهل المدينة، والذي طُلب إلى عمر رضي الله عنه أن يُرشحه للخلافة بعده، فأبى تورعاً، وجعله أحد المستشارين للستة الذين عينهم بعده للخلافة، قال البراء رضي الله عنه: «غزوتُ مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة، وأنا وعبدالله بن عمر لِدَة».

٤ - روى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى عن البراء بن عازب - رضي الله عنه قال: «سمعت النبي ﷺ يقول يوم حنين: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب»

وروى أيضا عن البراء بن عازب رضي عنه، وسأله رجل من قيس، فقال: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حُنين، فقال البراء: ولكن رسول الله ﷺ لم يفر، كانت هوازن ناساً رماة، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكببنا على الغنائم، فاستقبلونا بالسهام، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان بن الحرث آخذ بلجامها وهو يقول: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب»

وفاة البراء

استقر البراء بن عازب رضي الله عنه بالكوفة حتى مات بها أيام إمارة مصعب بن الزبير - رحمه الله تعالى - سنة اثنتين وسبعين للهجرة، وترك أولاده فيها، وقال ابن حبان البستي: «سنة إحدى وسبعين» وتشكك الخزرجي فقال: «سنة إحدى أو اثنتين وسبعين». رحم الله البراء بن عازب، الذي استمرت آثاره العلمية في الكوفة التي كانت حاضرة الدولة الإسلامية مدة من الزمان، ثم حاضرة العلم واللغة والفقه والأدب والعلماء آماداً طويلة، ولا تزال تحمل مشعل العمل والنور والدعوة من آثار البراء وسائر الصحب الكرام الذين نزلوا بها، ورفعوا فيها، منارات العلم والمعرفة، والدين والإسلام، وقد أدوا الأمانة التي تحملوها من رسول الله ﷺ، وبلغوها للتابعين، وفتحوا الأقطار، ونشروا فيها الإسلام، فكانوا خير جيل عرفه التاريخ، فجزاهم الله خير الجزاء، والحمد لله رب العالمين ■

أستاذ كلية الشريعة - جامعة الكويت

المعهد الألباني للفكر والحضارة الإسلامية

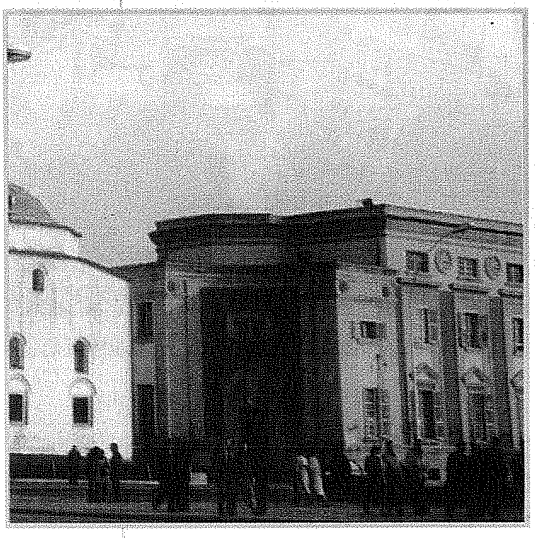

إعداد: عبدالكريم خليل

في الرابع من مارس عام ١٩٩٦م، وبموجب القرار الصادر رقم ١٤٣ عن محكمة تيرانا في العاصمة الألبانية ظهر المعهد الألباني للفكر والحضارة الإسلامية إلى حيز الوجود كقلعة متقدمة من قلاع الفكر والثقافة في منطقة البلقان.

أهداف المعهد:

١ ـ حماية التراث والتقاليد الإسلامية عند الألبان ومسلمي البلقان.

٢ ـ تقديم التراث والتقاليد الإسلامية بطريقة علمية.

٣ ـ تشجيع العلاقات بين الألبان الذين يعيشون في منطقة البلقان والبلدان العربية والإسلامية في مجال التاريخ والفن واللغة والفلسفة وعلم الآثار وما إلى ذلك.

٤ ـ تنظيم المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية والمعارض المشتركة التي ستسهم في تبادل الخبرات والآراء عند الباحثين في مجالات الفكر والحضارة الإسلامية.

٥ ـ إبرام الاتفاقات الثنائية لتبادل المنح الدراسية والمساعدات التعليمية للدراسة في الجامعة الألبانية والعربية والإسلامية.

٦ ـ دراسة وتوثيق المعمار الإسلامي الألباني وذلك بالتعاون مع المؤسسات المختصة في هذا المجال.

٧ ـ إنشاء مكتبة إسلامية متخصصة ومجهزة بآلات التصوير والقراءات لمساعدة الدارسين والباحثين في تحضير البحوث التي تتعلق بالفكر والحضارة الإسلامية.

٨ ـ إنشاء متحف إسلامي يحتوي على نماذج من المخطوطات وأنواع الكتب المطبوعة النادرة والنقوش والنقود الإسلامية والوثائق الإسلامية وغيرها.

٩ ـ وضع برامج مهنية وتدريبية لتحقيق أهداف المعهد يمنح بموجبها للطالب شهادة مهنية أو تدريبية وفقاً لنظام منح الدرجات العلمية والشهادات.

١٠ ـ طباعة مجموعات من أمات الكتب الإسلامية الألبانية والعربية والبحوث الاجتماعية والدراسات المتعلقة بالفكر والحضارة الإسلامية.

التمويل لتحقيق أهداف المعهد:

يمول المعهد الألباني للفكر والحضارة الإسلامية من:

ـ تبرعات عامة. ـ هدايا. ـ إيرادات من الوقف. ـ إيرادات من بيع الكتب وصحيفة المعهد. ـ إيرادات أخرى.

أجهزة المعهد:

يتبع المعهد الألباني للفكر والحضارة الإسلامية الجهازان التاليان:

١ ـ الجمعية العامة: تتألف من ممثلين من الألبان والباحثين الآخرين الذين اشتهروا في العلوم والحضارة الإسلامية. وتنعقد الجمعية العامة مرة كل سنتين.

٢ ـ المجلس التنفيذي الذي يتألف من سبعة أعضاء وتنتخبهم الجمعية العامة مدة خدمة أعضاء المجلس التنفيذي المنتخب «سنتان»، يعاد انتخاب ثلاثة من الأعضاء لمدة أخرى. وتتخذ قرارات المجلس التنفيذي بالأغلبية البسيطة.

الهيكل التنظيمي للمعهد:

لإعطاء المعهد نوعاً من الاستقرار في الهيكل التنظيمي، انبثقت عن الجمعية العامة والمجلس التنفيذي أقسام عدة من أبرزها: شعبة الشؤون الثقافية وشعبة البحث والترجمة، وشعبة النشاطات الثقافية وشؤون التعليم والمكتبة والمتحف، وشعبة الإعلام والنشر ووسائل الاتصال والنشر والمطبوعات والعلاقات العامة.

لغة المعهد: لغة العمل في المعهد هي اللغة الألبانية والمعهد يتعاون مع المعاهد والمراكز المماثلة في العالم سواء كانت شعبية أو دولية «بأي لغة أجنبية مطلوبة».

عنوان المعهد:

ALBANIAN INSTITUTE OF ISLAMIC
THOUGHT & CIVILISATION
TIRANA - ALBANIA
P.O. BOX 2905
TEL & FAX 00355 42 30303

دور النورسي في مواجهة علمانية أتاتورك

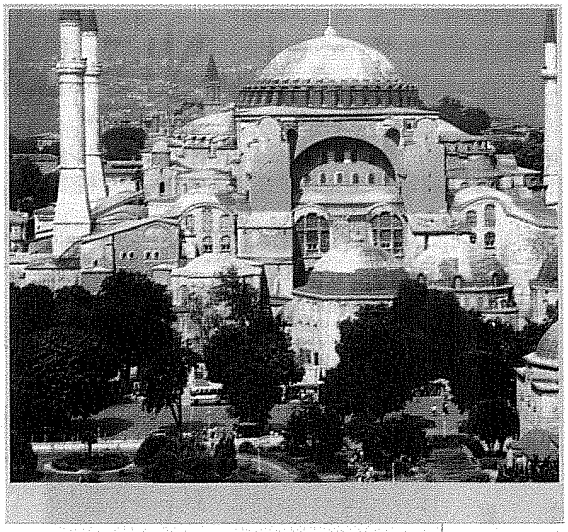

مر الإسلام في جميع أرجاء العالم الإسلامي ببعض المحن والأزمات، وسعى بعضهم إلى خفت ضوء الإسلام في عالمه، إلا أن الله قد قيض للإسلام بعض الرجال الذين وهبوا حياتهم للدفاع عنه في مواجهة المخاطر التي تهدده، ويتبدى هذا في حياتنا المعاصرة في الدور الذي لعبته الحركة الإصلاحية في مواجهة المخاطر كافة التي يتعرض لها الإسلام،

يقلم : د. أحمد محمد سالم

فقد قام كل من الأفغاني، ومحمد عبده بالدفاع عن الإسلام ضد مزاعم المستشرقين وإفتراءاتهم، فرد الأفغاني على دعوى رينان بأن روح الإسلام تتعارض مع العلم، وتصدى محمد عبده للمستشرق الفرنسي هانوتو في إفتراءاته ضد الإسلام، وكذلك فقد تصدت جمعية العلماء الجزائريين وعلى رأسها عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي للاستعمار الفرنسي الذي حاول محو الهوية الإسلامية في الجزائر، وطمس اللغة العربية هناك، وقد أثمرت جهود هذه الجمعية في الحفاظ على الهوية الإسلامية في الجزائر، وكذلك تصدت الحركة المهدية في السودان للاستعمار الإنكليزي، وتصدت الحركة السنوسية للاستعمار الإيطالي في ليبيا.

> أي لغة غير العربية الفصحى عاجزة عن الحفاظ على مزايا القرآن ونقطته البلاغية

نعم لقد وضعت الحركة الإصلاحية على عاتقها مواجهة كل المخاطر التي تهدد الوجود الإسلامي في أرجاء العالم كافة، ولقد تصدى الإمام سعيد النورسى الملقب ببديع الزمان- لسعة علمه ومعرفته- لمحاولات كمال أتاتورك في طمس الهوية الإسلامية في تركيا، وقد ولد النورسي في عام ١٨٧٦-١٩٦٠ حيث كانت الخلافة العثمانية في مرحلة النهاية، وظهر أتاتورك على مسرح الأحداث فغير تركيا من خلافة إسلامية إلى دولة علمانية، وجاء النورسي في تلك الفترة ليقدم لنا نموذجاً للمصلح الإسلامي المجاهد الذي يسعى إلى استمرار الهوية الإسلامية في تركيا، وقد أثمرت جهوده عن تأليف مئة وثلاثين رسالة، سماها «رسائل النور»، وهي تبلغ ستة آلاف صفحة من القطع الكبير، وقام الأستاذ/إحسان قاسم الصالحي بترجمة هذه الأعمال إلى اللغة العربية، وفي هذا المقال نحاول أن نكشف عن الدور الذي قام به بديع الزمان سعيد النورسي في مواجهة المد العلماني لأتاتورك.

وفي البدء أعلن مصطفى كمال أتاتورك نهاية الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤، وأقر بأن تركيا أصبحت جمهورية تتبع في نظامها السياسي الحكم العلماني الأوروبي، ولم يقف أتاتورك عند حدود إعلان سقوط الخلافة، بل سعى بكل طاقته إلى تغيير رموز الهوية الإسلامية لتركيا، معتقداً أنه بذلك يمكن أن تنهض تركيا، وتلحق بذيل المجتمعات الأوروبية.

وقد تمثلت محاولات أتاتورك في علمنة تركيا في إلغائه للرابطة الإسلامية وإحياء القومية الطورانية، وإلغاء تطبيق الشريعة الإسلامية، وإحلال القانون السويسري محلها، وتغيير حروف اللغة التركية من العربية إلى اللاتينية، وترجمة القرآن إلى التركية، وإقامة الآذان بالتركية، وإلغاء الأوقاف الإسلامية، وإعلان السفور محل الحجاب، وإحلال القبعة محل الطربوش، وإحلال النظام الدستوري الغربي محل النظام الإسلامي للحكم.. تلك كانت

أهم علامات التغيير التي تعرضت لها تركيا على يد أتاتورك، في ضوء هذه التغييرات يمكن أن نلاحظ موقف النورسي منها.

١- القومية الطورانية:

دعا مصطفى كمال أتاتورك إلى إحلال الرابطة الطورانية محل الرابطة الإسلامية، حتى يمكن التخلص من العنصر العربي والإسلامي في الهوية التركية، وقد تصدى النورسي لدعوة أتاتورك هذه مؤكداً أن الاستعمار الغربي يقف وراءها حتى يمزق العالم الإسلامي فقال «لقد انتشر الفكر القومي، وترسخ في هذا العصر، ويثير ظالموا أوروبا الماكرون هذا الفكر بشكله السلبي في أوساط المسلمين، ليمزقوهم، ويسهل لهم ابتلاعهم»(١) وينتقد النورسي الآثار السلبية لدعوى القومية الطورانية فيرى أنها فرقت الناس شر فرقة، وأشعلت الفرقة بين الأخوة العرب النجباء، وبين الأتراك المجاهدين، فعم الاضطراب، وسلبت راحة الناس، علماً بأن الإضرار بالناس بأعمال سلبية هو فطرة القومية العنصرية، في حين أن الأتراك مسلمون في أنحاء العالم كافة، فقوميتهم مزجت بالإسلام، ولا يمكن فصلهم عنها، وكذلك العرب فإن قوميتهم مزجت بالإسلام، وهو حسبهم إلا أن القومية العنصرية خطر عظيم».(٢)

٢- قانون القبعة :

وفي عام ١٩٢٥ أصدر أتاتورك قانون القبعة، ولبس القبعة، وكان أتاتورك يعتقد أن أحد أسباب التحضر هو إرتداء أزياء المجتمعات المتحضرة، ونسي أن ذلك مجرد رمز قسري، وإن كان مغزى الفعل في منتهى العمق، لأنه يحاول أن يتبع كل ما هو غربي، فهو يرفض الطربوش كعلامة على الفكر العتيق، ويجبر مجتمعه على القبعة لأنها علامة على الرقي والتقدم، ولقد اتخذ النورسي موقفاً حاداً من مسألة القبعة فقال «لا يود من يرتدي القبعة بمحض إرادته سوى آلاف من السكارى عبدة الغرب، ومقلديه لا فلن ألبس قبعة تجبرني عليها قوة القانون»(٣) ولقد كان في تصميم النورسي على عدم إرتداء القبعة سبباً لمحاكمته ودينه فيقول «لقد أبرزوا عدم قيامي بلبس القبعة، كسبب مهم لإدانتي، ولم يسمحوا لي بالكلام، وإن شخصاً منزوياً مثلي قاسى الأمرين بسبب عدم لبس القبعة، علماً بأن المجتهدين، وجميع شيوخ الإسلام منعوا لبسها، والآن يعودون إلى إيذائي، وعقوبتي من دون وجه حق، فكما لا يتعرض أحد إلى الذين يشربون الخمر جهاراً نهاراً في شهر رمضان، ولا يصلون باسم الحرية الشخصية، لذا فإن الذي يتهمني من أجل قبعتي مراراً، وتكراراً بهذا العناء سوف يسأل عن هذا أمام الله»(٤).

٣- إحلال القانون السويسري محل الشريعة الإسلامية:

قام أتاتورك في عام ١٩٢٦ بإحلال القانون السويسري محل الشريعة الإسلامية حتى في الأحوال الشخصية، ولم يراع أتاتورك اختلاف المجتمع التركي عن المجتمع السويسري، ولقد تصدى النورسي لمحاولة أتاتورك هذه فنجده يقول «أليس من الجناية على الإسلام أن نستجدى الأحكام من أوروبا، ولنا شريعة غراء، تأسست قبل ثلاثة عشر قرناً. وإن هذا الاستجداء شبيه بالتوجه إلى غير القبلة في الصلاة، ويؤكد النورسي أن الإسلام وشريعته الغراء هو الذي يحافظ على حياة أمتنا، ويظهر ثباتنا وكمالنا، ويحقق وجودنا أمام الأجانب»(٥) والواقع أن النورسي محق فيما يقول لأننا من خلال شكل وطبيعة القانون الذي يحكم العلاقات بين الأفراد، نستطيع أن نعرف هوية هذا المجتمع أو تلك، ولهذا فإن إلغاء تطبيق الشريعة الإسلامية حتى في الأحوال الشخصية من المسائل التي أثرت وبقوة في تغيير وجه الحياة في تركيا وتحويلها إلى المسار العلماني.

٤- تغيير الحروف التركية، وترجمة القرآن، وإقامة الآذان بالتركية، وموقف النورسي منها:

في عام ١٩٢٧ قام مصطفى كمال أتاتورك بفرض قانون يجبر على استخدام الحروف اللاتينية محل الحروف العربية في كتابه اللغة التركية، وكان الهدف من ذلك هو رفض اللغة العربية لغة الإسلام ولغة التعليم الديني في تركيا، ومن ثم فإن هذا القرار كان محاولة لتقليص الوجود الإسلامي والعربي في تركيا، لأن معرفة القرآن، وإقامة الصلاة كانا يقومان باللغة العربية، «وسن أتاتورك قانوناً في تركيا يعاقب كل من يكتب بالحروف العربية مدة ثلاثة أشهر، وغرامة عشرة جنيهات»(٦) وقد أدى هذا القانون إلى تفريغ التراث الإسلامي في تركيا، وأصبح اللسان التركي أفقر لسان على وجه الأرض»(٧) وقد تبع تغيير حروف اللغة التركية إلى الحروف اللاتينية قيام مصطفى أتاتورك بترجمة

رفض أتاتورك اللغة العربية لغة التعليم الديني في تركيا محاولة لتقليص الوجود الإسلامي

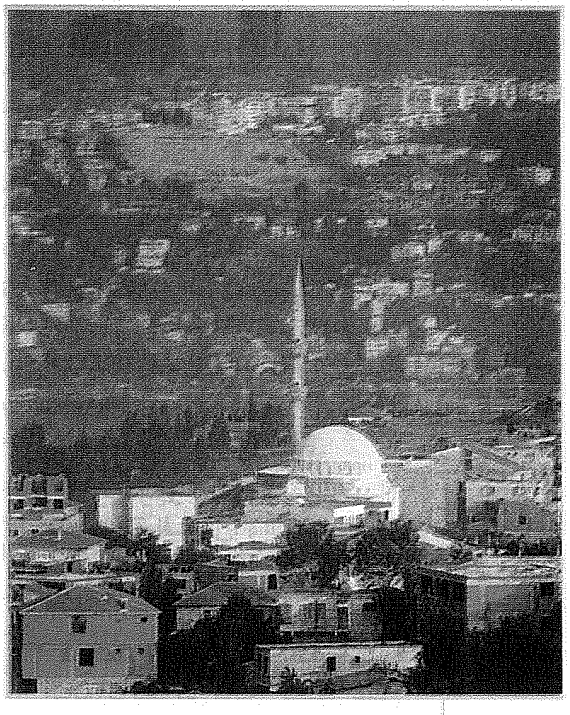

القرآن، وفرض الآذان باللغة التركية، وقراءة خطبة الجمعة بالتركية الجديدة، وكان ذلك في عام ١٩٣٢.

وقد تصدى النورسي لمحاولات أتاتورك هذه في رسائله فرأى «أن التعبير بأي لغة غير اللغة العربية عن حقائق القرآن، وتسبيحات الصلاة، وسورة الإخلاص، والفاتحة التي تتكرر دائماً، ضار جداً، وذلك لأن اللطائف الدائمة تبقى محرومة من نصيبها بعد أن تفقد المنابع الحقيقية الدائمة التي هي الألفاظ الإلهية والنبوية»(٨) ومن ثم فإنه لا يمكن قطعاً ترجمة القرآن الكريم ترجمة حقيقية، وأن أي لغة غير اللغة العربية الفصحى عاجزة عن الحفاظ على مزايا القرآن الكريم ونقطته البلاغية اللطيفة، وأن الترجمات التي يقوم بها البشر لن تحل- بأي حال- محل التعابير الجامعة المعجزة لكلمات القرآن»(٩) ومن ثم لا يمكن أن يقوم مقام الألفاظ القرآنية التي هي محافظ ومنبع للضرورات الدينية أي لفظ آخر، ولا يمكن لأي لفظ آخر أن يحل محلها قطعاً... كما أن شمولية اللغة العربية الفصحى وسعتها والبيان المعجز في الألفاظ القرآنية تحولان دون ترجمة تلك الألفاظ، لذلك لا يمكن ترجمتها قطعاً»(١٠)

> إن السعادة العائلية واستمرارها هي بالثقة المتبادلة بين الزوجين والاحترام اللائق والود الصادق

ويكشف النورسي عن مخطط أتاتورك، وغرضه من ترجمة القرآن فيقول: طرق سمعي أن زنديقاً - يقصد أتاتورك- عنيداً قد فضح سوء طويته، وخبث قصده، بإقدامه على ترجمة القرآن، فحاك خطة رهيبة للتهوين من شأنه بمحاولة ترجمته، وصرح قائلاً «ليترجم القرآن لتظهر قيمته؟ أي ليرى الناس تكراراته غير الضرورية! ولتتلى ترجمته بدلاً منه! إلى آخره من الأفكار السامة، إلا أن رسائل النورسي بفضل الله قد شلت هذه الفكرة، وعقمت تلك الخطة بحججها الدامغة، وإنتشارها الواسع في كل مكان(١١) نعم لقد واجهت الرسائل مسألة ترجمة القرآن من خلال كشفها عن إعجاز القرآن في لغته الأصلية.

ومن ناحية أخرى فقد رفض النورسي مسألة إقامة الآذان باللغة التركية، وكان يقيم الآذان باللغة العربية هو وبعض أهل قرية «بارلا»، وهذا ما أدى به إلى السجن مع عدد من أهل القرية.

٥- إعلان السفور:

اهتم أتاتورك بتغيير ملامح ثوابت الهوية الإسلامية، وإذا كان زي الرجل لا يحدد ملامح هذه الهوية، فإن زي المرأة من ملامح الهوية الإسلامية، لذا فقد اهتم أتاتورك بإعلان السفور، والعداء للحجاب، وذلك في إطار خطته الشاملة لتغيير ملامح تركيا الإسلامية، إلى الهوية العلمانية الجديدة.

وقد اهتم النورسي بالدفاع عن قضية الحجاب وذلك لأن الحجاب أمر فطري للنساء تقتضيه فطرتهن، لأن النساء جبلن على الرقة، والضعف، ومن ثمَّ فيجدن في أنفسهن حاجة إلى رجل يقوم بحمايتهن، وحماية أولادهن الذين يؤثرنهن على أنفسهن، فهن مسوقات فطرياً نحو تحبيب أنفسهن للآخرين، وعدم جلب نفرتهن،(...) ثم إن ما يقرب من سبعة أعشار النساء إما متقدمات في العمر أو دميمات لا يرغبن في إظهار شيبهن أو دمامتهن، أو أنهن يحملن غيرة شديدة في ذواتهن، يخشين أن تفضل عليهن ذوات المحاسن والجمال، وأنهن يتوجسن خيفة من التجاوز عليهن، أو تعارضهن للتهم، فهؤلاء النساء يرغبن فطرة في الحجاب حذراً من التعرض، والتجاوز عليهن، بل نجد أن المسنّات منهن أحرص على الحجاب من غيرهن»(١٢).

وإذا كان أتاتورك يتبع في دعوته للسفور أوروبا فإن النورسي ينتقد سيادة التبرج في أوروبا فيقول «إن رفع المدنية السفيهة الحجاب، وإفساحها المجال للتبرج يناقض الفطرة الإنسانية، وأن أمر القرآن الكريم بالحجاب فضلاً عن كونه فطرياً، فإنه يصون النساء من المهانة والسقوط، ومن الذلة والأسر المعنوي، ومن الرذيلة والسفالة وهن معدن الرأفة، والشفقة»(١٣).

ومن جانب آخر يقدم النورسي رؤية غاية في الأهمية حول دور الحجاب في سعادة الحياة الزوجية فيقول «إن السعادة العائلية في الحياة، واستمرارها، إنما هي بالثقة المتبادلة بين الزوجين، والاحترام اللائق، والود الصادق، إلا أن التبرج والتكشف يخل بتلك الثقة المتبادلة بين الزوجين، ويفسد ذلك الاحترام»(١٤) ومما سبق يتضح أهمية موقف النورسي في رفضه دعوة أتاتورك للسفور، وإلغاء الحجاب، ولقد حكمت حكومة أتاتورك على النورسي بالسجن إحدى عشر شهراً بسبب تأليفه لـ«رسالة الحجاب».

٦- الحياة الدستورية:

كانت أساس دعوة العلمانية لدى أتاتورك هي رفض سيادة نظام الحكم الإسلامي، وإحلال النظام الدستوري الغربي محله، فكان النورسي يرد على دعوى أتاتورك بضرورة الحياة الدستورية بأن الإسلام لا يعارض هذا طالما أن الحياة الدستورية ليست ضد الشريعة فيقول «إن الحياة الدستورية لا ينبغي لها أن تكون ضد الشريعة، أو مخالفة لها، لأن في أساسها ستكون فاسدة، ومن ثم فإن كانت الحياة الدستورية تعني مخالفة الشريعة فليشهد الجميع أني ضدها»(١٥) إن النورسي يريد الحياة الدستورية في ضوء الشريعة وذلك لأنه يريد أن ينقّيها من أضرارها وعلمانيتها الغربية.

ولقد ترتب على إقرار النورسي للحياة الدستورية في ضوء الشريعة، محاولة ترسيخ مفهوم الشورى الإسلامية كبديل للحياة الدستورية ذات الصبغة الغربية، فيقول «إن مفتاح سعادة المسلمين في حياتهم الاجتماعية إنما هي الشورى فآيات القرآن تأمرنا باتخاذ الشورى في جميع أمورنا إذ يقول سبحانه (وأمرهم شورى بينهم) الشورى:٣٨، أجل فكما أن تلاحق الأفكار بين أبناء الجنس البشري إنما هي نتاج الشورى على مر العصور حتى أصبحت مدار رقي البشرية، وأساس علوها، فإنه سبب تخلف القارة الأسيوية الكبرى عن ركب الحضارة إنما هو لعدم قيامها بتلك الشورى الحقيقية»(١٦).

وإذا كان النورسي قد ربط بين الحياة الدستورية، بالشريعة والشورى، فقد ربط بين الحياة الدستورية والعدالة أيضاً فيقول «إن المسألة التي سمعتموها وهي الحياة الدستورية والقانون الأساسي لها، فما هي إلا العدالة، والشورى الشرعية، واسعوا للحفاظ عليها، فسعادتنا الدنيوية في الحياة الدستورية بهذا المعنى، فلقد قاسينا الأمرين من الاستبداد»(١٧).

ولقد تعرض النورسي للكثير من المحاكمات التي سجن بسببها، وذلك بسبب موقفه من الدولة العلمانية الأتاتوركية، ورفضه لتغيير ملامح الهوية الإسلامية، وقد حاول أتاتورك أن يستميل الرجل إلى نظام الحكم العلماني، ومن ثمَّ عرض عليه تولى أحد المناصب الدينية العليا، وأغراه بالمال، ولكن النورسي رفض هذا مؤكداً أن وظيفته في الحياة أصبحت تتمركز في خدمة القرآن، وخدمة الإسلام، وحقائقه.

وقد ظل النورسي حتى أواخر حياته يقوم بتأليف رسائله حول قضايا العقيدة الإسلامية، مثل الوحدانية، والنبوة، والميعاد، والإيمان.

وذلك من أجل إرساء قواعد العقيدة الإسلامية في قلوب المسلمين في تركيا ضد النزعات العلمانية والإلحادية التي كان أتاتورك يجر تركيا إليها، وقد استمر هذا الوضع إلى أن مات النورسي عام ١٩٦٠ ■

أخذت الحركة الإصلاحية على عاتقها مواجهة كل المخاطر التي تهدد الوجود الإسلامي في أرجاء العالم

الهوامش:

١- النورسي: المكتوب السادس والعشرين. المكتوبات دار سوزلر، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٤١٤.
٢- النورسي: ملحق أمير داغ(٢)/ الملاحق ص ٢٠٢.
٣- النورسي: الشعاع ١٢ / الشعاعات ص ٣٤٥.
٤- النورسي: الشعاع ١٤ / الشعاعات، ص ٥٠٧-٥٠٨.
٥- النورسي: المرجع نفسه، ص٥٠٩.
٦- مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، مكتبة الإيمان، القاهرة، ١٩٥٠، ٤/٣٦١.
٧- جمال الدين الأفغاني: العرب والأتراك/ الأعمال الكاملة، ص٢٢٤
٨- النورسي: المكتوب /٢٦المكتوبات، ص٤٢٨.
٩- النورسي: رسالة المعجزات القرآنية/ الكلمات، دار سوزلر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢، ص ٥٣٨.
١٠- النورسي: المكتوب السادس والعشرين/ المكتوبات، ص ٤٣٩.
١١- النورسي: رسالة الثمرة/ الشعاع الحادي عشر/ الشعاعات، ص٣٦٥.
١٢- النورسي: رسالة الحجاب/ اللمعات، ص ٢٩٩.
١٣- المرجع نفسه، ص٣٠٠.
١٤- المرجع نفسه، ص ٣٠٢.
١٥- النورسي: صقيل الإسلام، ص ٤٥٤.
١٦- المرجع نفسه، ص ٥١٤.
١٧- المرجع نفسه، ص ٤٤١.

تمثل الفترة الزمنية التي نعيشها الآن نقطة انطلاق خطيرة في مجال العلوم الطبيعية والطبية وتطبيقاتها، وقد تعد بلاشك خدمة جليلة للعالم بأسره في تنمية المجتمعات ودفع عجلة التقدم، إلا أن.. هذا التطور قد يأتي بنتائج غير مرغوب مما يؤدي إلى تهديد الانسان في حياته الخاصة بل المجتمع الدولي بأسره.. وليس أدل على ذلك من تلك الثورة العارمة التي فاقت كل الحدود وهي ثورة الاستنساخ البشري عبر استخدام علوم الهندسة الوراثية.

الهندسة الوراثية وثورة الاستنساخات البشرية

بقلم: د. نبيل سليم

في هذه الأيام يثور جدل واسع وصاخب في الأوساط الطبية والفلسفية والدينية في جميع أنحاء العالم حول القضية التي أعلن عنها العلماء في اسكتلندا عن نجاح أول عملية استنساخ لنعجه بوساطة التكاثر اللاجنسي.

ثارت ضجة عالمية لم تهدأ حتى الآن أيضا في الأوساط السياسية والمجتمعية، وانطلقت التحذيرات خوفا من إساءة استخدام هذا الأسلوب في استنساخ البشر.

ففي بريطانيا نفسها قررت السلطات وقف تمويل أبحاث الأستنساخ البيولوجي، وفي أمريكا اتخذ الرئيس الأمريكي بيل كلينتون خطوة مشابهة مع التشديد على سد الثغرات القانونية التي قد تسمح بتجربة هذه الطريقة على الإنسان مع الاعتراف بالأهمية العلمية للكشف. وفي إيطاليا اتخذت اتجاهات أكثر تشدداً حيث أصدرت الحكومة قراراً بحظر تجارب الاستنساخ على الإنسان والحيوان على حد سواء.. وفي فرنسا أعلن العلماء أنه ليس من حق أحد التدخل لتغيير قانون الطبيعية البشرية أو البيولوجية للانسان... حتى ولو كان الأمر بما يتعلق بمجرد عملية نقل «قلب خنزير» إلى انسان مريض لإنقاذ حياته، واستندوا في ذلك إلى القانون البيولوجي الاخلاقي الصادر في ٢٩ يوليو عام ١٩٩٤ والذي يحظر القيام بأي تعديل داخل الجسد الانساني تحت أي ظرف من الظروف وقد أكد مسئول صحي كبير أن الرئيس جاك شيراك طلب إلى اللجنة الاستشارية الوطنية للاخلاقيات التأكد من أن التشريعات الفرنسية كافية لمنع اساءة استخدام الاستنساخ البيولوجي وتطبيقه على الإنسان.

كما تحاول دول أخرى وضع نصوص قانونية واضحة تقصر التجارب على الحيوان، ففي الأرجنتين يبحث البرلمان الثالث مشروعات لقوانين تنص على عقوبات مشددة بالسجن لمنع أي تجارب قد تؤدى إلى استنساخ البشر.

وفي بوليفيا وافق مجلس النواب على مشروع قانون يمنع استنساخ الانسان أما في مصر فقد تقرر تشكيل لجنة من وزارة الصحة ونقابة الأطباء وجمعية أمراض النساء لمتابعة ما يحدث في مراكز الخصوبة وتسجيل كل بويضة تخرج من مبيض الأم حتى لا تترك الفرصة لذوى النفوس الضعيفة إجراء التجارب غير المرغوبة.

ورغم كل المخاوف والمخاطر التي تحيط بعمليات الهندسة الوراثية الآن فإنها قد قدمت الكثير لخدمة الانسان في مجالات أخرى لصالحه من خلال علاج بعض الأمراض الصعبة.

حكاية دوللى والقنبلة العلمية

لاشك أن ما أذاعته وكالات الأنباء ووسائل الإعلام العالمية يمكن أن يكون أخطر اكتشاف علمي بيولوجي في القرن العشرين حيث ان استنساخ حيوان من خلية غير خلايا التناسل هو أمر يعد بكل المقاييس العلمية ثورة عارمة لها خطورتها ومحاذيرها.

فالمعروف أن بداية الجنين تبدأ بدخول حيوان منوي من الذكر إلى بويضة الأنثى وتكوين خلية أولية تنقسم بعد ذلك إلى خلايا كثيرة أولية ثم تبدأ كل مجموعة من هذه الخلايا الأولية في التخصص لتكوين الأجزاء العديدة للجسم مثل الجلد والكبد والمخ...الخ.. والخلايا الأولية تحمل صفات واحدة، أما الخلايا التخصصية فتجمع بين الصفات الأولية إلى جانب

الصفات الخاصة بالكبد، وتنقسم وتتكاثر كخلايا كبدية فقط.

ولهذا فكر العلماء الأمريكيون أولا في استنساخ الأجنة عن طريق فصل الخلايا الأولية عن بعضها بعضاً كانت النتيجة أن كل خلية تم فصلها تكاثرت وكونت جنينا هو نسخة طبق الأصل من الخلية الأخرى بعد وضعها في الرحم لتنمو، ولكن الجديد الذي توصل إليه العلماء في اسكتلندا هو استخدام خلية من الجسم من غير خلايا التناسل للتكاثر.. وهي النظرية التي استخدمها العلماء للتوصل إلى النعجة (دوللى)... فكيف حدث هذا؟.

كما سبق وأوضحنا، أن كل خلايا الجسم تحمل كل الصفات الجينية إلا أنها عندما تتخصص في جهاز من أجهزة الجسم فإنها تخفى كل الصفات ماعدا الصفات الجينية الخاصة بالجهاز الذي تخصصت فيه، وبعد سنوات طويلة من الأبحاث توصل العلماء إلى نظرية تقول: «إنه إذا استطاعوا إيقاف الخلية عن التكاثر والانقسام لمدة معينة فإنها تكون مستعدة للعمل في تكوين الجنين بطريقة الخلية الأولية نفسها التي بدأت منها».

وما حدث بالفعل أنه أخذت خلية من ثدي نعجة ثم وضعت في مزرعة بكمية قليلة جدا من التغذية اللازمة لها وفي درجة حرارة منخفضة لمدة أسبوع توقف فيها انقسام هذه الخلية، بعد ذلك أخذت بويضة من نعجة أخرى انتزع العلماء نواتها فأصبحت هذه البويضة معدة لكي تحمل أي صفات وراثية ثم وضعت هذه البويضة مع الخلية المتوقفة عن الانقسام متلامستين، وبوساطة بعض النبضات الكهربائية حدث الالتحام بينهما ودخلت نواة الخلية إلى داخل البويضة الخالية من النواة وبدأت في الانقسام والتكاثر كجنين ثم بعد أسبوع من هذه الانقسامات وضع الجنين داخل رحم النعجة التي أخذت منها البويضة، وتم نمو الجنين الذي يحمل كل الصفات الوراثية للخلية المأخوذة من ثدي النعجة فجاءت صورة مطابقة من هذه النعجة.

الخطير في هذا الأمر أن التقنية المستعملة في هذه التجربة متوافرة في كل العالم وفي مصر أيضا وإذا عرفت بعض التفاصيل الدقيقة الخاصة بالمواد المستعملة لإيقاف الخلية عن الإنقسام فإن هذه التجربة ستصبح بالتأكد متاحة لكل مراكز أطفال الأنابيب المنتشرة في العالم. ويتوقع العلماء نجاحها على الإنسان خلال خمس أو سبع سنوات مقبلة.. وهذا معناه أن التكاثر البشري عن طريق الاستنساخ يصبح في غير حاجة للرجل تماما إذ إن كل المطلوب هو خلية حية سواء من رجل أو أمراة.. ورحم امرأة ومعمل أنابيب.. بل الأخطر من ذلك أن تقنية هذه العلمية ليست معقدة ولا صعبة بالنسبة للتقنية المستعملة الآن في كل معامل أطفال الأنابيب.

هل هو عمل شيطاني؟

إن هذا الاكتشاف العلمي الخطير يؤكد أن قدسية الإنسان أصبحت عرضة لأن تنتهك بعد أن حولته الهندسة الوراثية إلى مجرد مجموعة نيتروجينية ورموز وراثية يمكن حلها وربطها وإعادة برمجته أو التعامل معه كظاهرة كونية.

وإذا كان التدخل الوراثي والتجارب والأبحاث التي تجرى عن طريق الهندسة الوراثية تهدف إلى شفاء الناس من الأمراض، أو تهدف إلى مقاومة الأمراض عموما، فهذا شيء طيب تباركه الأديان مثلما تباركه المجتمعات على اختلاف توجهاتها.

إنما يختلف الأمر ويثور الخلاف لو كان هدف الأبحاث شيئاً آخر غير الشفاء مثل تكرار صور العباقرة الأفذاذ أو محاولة الوصول إلى الإنسان «السوبرمان».

هنا يعتبر البعض هذه الأبحاث الأخيرة تدخلا في المشيئة الآلهية وهذا طريق ...

ولعلنا نلاحظ أن الفنون الإبداعية سبقت العلم أحيانا، ولعل فن الرواية والفن السينمائي هما أول من أطلق العنان للخيال في هذا الموضوع... فلقد كان فيلم (فرانكشتاين) الذي يحكي قصة طبيب نجح في أن يصنع إنساناً قويا ومتفوقا - وإن كان بشع الصورة- إلا أنه انطلق- هذا المسخ الإنساني- ليدمر ويحطم حتى صانعه وكان الفيلم من أول الأفلام التي تنبأت بتلك الفكرة الجهنمية التي أصبحت قاب قوسين أو أدنى من الواقع والحقيقة. ثم ظهر فيلم أحدث تقوم فكرته على أن بعض علماء النازية قد نجح في استخلاص الجينات الوراثية لهتلر وسلوكياته، وتم زرع هذه الجينات الوراثية أو الصفات الوراثية في مجموعة من أرحام الأمهات في ألمانيا وأوروبا.

وكان هذا يعني أن البشرية لن تواجه هتلراً واحداً، وإنما ستواجه خمسين أو ستين نموذجاً لهتلر، وكان هذا هو الانتقام النازي من الغرب. ثم كان هذا الفيلم من أفلام الإثارة والحركة، وكان يصور قصة الصراع بين علماء الغرب وعلماء النازية فقد أنطلق علماء يتتبعون هؤلاء الأطفال الذين يحملون الصفات الوراثية لهتلر وقتلوهم في النهاية بعد مغامرة مثيرة.

لقد كانت فكرة الفيلم تقوم على اللعب في خلايا الوراثة وجيناتها بحيث تكتسب إمكانات جديدة لم تكن لديها، وهذه هي القضية المثارة اليوم والتي أثارت جدلا فلسفياً خطيراً في جميع جوانبها. بل إنها تثير الجدل الديني لأنها تعتبر تدخلا مباشراً في عملية الخلق التي اختص بها الله سبحانه وتعالى. كما أنها أيضاً تثير جدلاً اجتماعياً لأنها تفجر قضية التوافق بين الشخصية والزمن ولنتناول كل قضية على حدة.

الشخصية الإنسانية لا تعمل من فراغ، إنما تعمل في زمن معين ومحدد

إن الله تبارك وتعالى يحدثنا في سورة النساء في الآيات (١١٧-١١٩) عن الشيطان فيقول: «وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً لعنه الله، وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضاً. ولأضلنهم ولا منينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله، ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً). ولنقرأ جيداً (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) إن تغيير خلق الله إذن عمل من أعمال الشيطان، يخرج صاحبه من خيمة الإيمان ويؤدى إلى الخسران المبين كما يقول الحق.

إنما هذا الكلام لا ينطبق على الأبحاث

التي تستهدف علاج الأمراض ومحاولات علماء وباحثي الهندسة الوراثية حصار الأمراض وشفاؤها أو التخفيف من آثارها لوجود قاعدة شرعية تقول- حيث توجد المصلحة فثمَّ شرع الله.

إذاً على المستوى الديني نحن أمام تحذير حاسم لعدم الاقتراب من هذه المنطقة المحرمة وهي تغيير خلق الله وعلى المستوى الاجتماعي نرى اللعب في خلايا الوراثة يثير قضية التوافق بين الشخصية والزمن.

إن الشخصية الإنسانية لا تعمل من فراغ، إنما تعمل في زمن معين ومحدد، كثيرا ما يكون سلوكها رد فعل لأحداث زمنها، فإذا اختلف الزمن أو تغيرت أحواله اختلف سلوك الشخصية هو الآخر.. ولنضرب مثالا على ذلك بهتلر أو لينين، لو كانت لدينا نسخة مكررة من هتلر في المانيا فما الذي يستطيع أن يفعله؟.

قدسية الإنسان أصبحت عرضة لأن تنتهك بعد أن حولته الهندسة الوراثية إلى مجموعة نيتروجينية

لقد صعد هتلر إلى الحكم لأن الظروف في المانيا في الثلاثينيات كانت تسمح بصعوده وكانت تجاربه الشخصية وتكوينه النفسي ومؤهلاته ومشاعره تؤهله لهذا الصعود، ولو اختلف عنصر من هذه العناصر فسوف تتغير الشخصية على الفور.

ولو تصورنا اليوم وجود نسخة من هتلر، فلن يتبعه في المانيا غير عشرات من شباب النازي المتعصب الملتاع، وسيضحك عليه بقية الألمان ويعتبرونه مادة للتندر، والحكم نفسه ينطبق على لينين اوستالين أو غيرهما. فلو أن لدينا نسخة من لينين مثلا في روسيا اليوم، فهل كان سيعيد التجربة الاشتراكية أو الشيوعية الفاشلة مرة أخرى؟ أم؟ كان يستجيب لأفكار العصر ومتطلباته الجديدة؟

إن العلاقة بين الشخصية والزمن أشد تركيباً وتعقيداً مما نتصور، إلا أن هذا التطور المذهل في الاستنساخ البيولوجي الذي يتم بسرعة هائلة ويتشعب في اتجاهات كثيرة متباينة. قد يؤدى إذا ما ترك دون قيود تحكمه إلى تهديد خطير لحياة الإنسان.

العلم والاخلاقيات أيهما أولا؟

في الأونة الأخيرة ظهر اتجاه يدعو إلى تسليط الضوء على الدور الذي يمكن أن يلعبه التزام الأفراد والدول بالأخلاقيات والقيم في الحد مما يعانيه العالم من مشكلات وأحداث مفزعة، من هنا كان اهتمام المجتمعات العلمية والثقافية الدولية حاليا بمناقشة القضايا الأخلاقية التي ينبغي أن تحكم المجالات المختلفة ومنها المجال العلمي والتصدي... للتحديات التي نشأت في العالم كنتيجة للتطور المذهل في هذا المجال.

ولعل المؤتمر الذي عقد تحت رعاية اليونسكو في مقره بباريس خلال العام الماضي تحت مسمى «العلم والاخلاقيات والمجتمع»، قد اتضح منه مدى أهمية أن يتعرف المجتمع الدولي على التطورات السريعة التي تحدث في المجالات العلمية واحتمالات تطبيقها بشكل بالغ الخطورة على الأفراد والمجتمعات ولا سيما تلك التي تعاني من الجهل أو العزلة أو التي أدت ظروفها الاقتصادية أو السياسية إلى ضعف القيم الأصيلة المتوارثة لدى أفرادها. كذلك فقد كان هناك اتفاق على أن أي قوانين منظمة لتلك المجالات العلمية لابد أن يواكبها – ضمان لفاعليتها- التزام أخلاقي من المشتغلين بها والمتعاملين معها كما ظهرت أهمية إقتناع دول العالم جميعها المتقدمة منها والنامية بأهمية ذلك الاتجاه الأخلاقي للحد من المشكلات الحالية والمستقبلية بوصف أن العالم قد أصبح إلى حد كبير وحدة واحدة متشابكة المصالح. ولما كان الاتفاق على الأهداف النبيلة أيسر كثيرا من الاتفاق على الوسائل اللازمة لتحقيقها، فإنه من الواضح أن موضوع أخلاقيات العلم سيظل لفترة ما أحد شواغل المجتمع الانساني، لذلك فمن المنتظر أن تثار خلال الأيام المقبلة الكثير من القضايا الأخلاقية الخاصة ببعض الأبحاث العلمية وتطبيقاتها والتي تحتاج لمناقشات واعية وديمقراطية كبيرة في الحوار وتبادل للأفكار وتقبل للإختلاف في وجهات النظر خصوصاً في مجال الهندسة الوراثية والاستنساخ الحيوي في المجال البشري..

ولقد تم استعراض مجالات الهندسة الوراثية ونقل الأعضاء البشرية في إحدى جلسات هذا المؤتمر، ثم أخيراً تم استعراض أحدث مجالات هذا الفرع التقني المهم وهو تخليق الصور التقديرية Virtualimages، يمكن أن تستخدم في التلاعب بالعقل البشري بشكل يشابه ما قد يحدث من استخدام الجينات في التلاعب بالجسم الانساني، وقد كشف العلماء خلال تلك الجلسة عن كثير من أسرار وخفايا التطبيقات العلمية لتلك المجالات من خلال أمثلة صارخة تفتح المجال لتساؤلات كثيرة مثل ما القوى التي تتحكم في البحوث العلمية واتجاهاتها. هل هم العلماء أنفسهم أم الجهات الممولة لهم أم المنظمات أم هم صانعي القرار من السياسيين؟ ثم عن القوانين الوضعية المحلية والعالمية... وهل هي أقوى أم الاخلاقيات؟ ثم علوم البيئة ودورها في التنمية.

هناك اقتراح بوضع قسم أخلاقي للعلماء وضرورة ادخال مناهج للأخلاقيات في مراحل التعليم المختلفة وأهمية دور وسائل الإعلام والاتصال في أن تكون وقفات جادة من أجل التوصل إلى رؤية جديدة وأفكار مبتكرة وخطوات فعالة تحفظ للانسان في المقام الأول كرامته وحقوقه وتحمي البشرية من وقت قد يعجز فيه الانسان عن التحكم في نتاج العلم الذي نبع أصلا من جهده وعمله وإبداعه.

ومع مزيد من التقدم العلمي سوف تثار المزيد من التساؤلات التي تبحث عن رؤية سليمة للإجابة عنها، والأمل معقود في أن تتواصل الجهود في مجال أخلاقيات العلم حتى تصل إلى القدر الكافي الذي يؤدى إلى إزكاء شرارة الابتكار- كما يحدث في العلم – لكي يعبر بالعالم الى الطريق الآمن الذي يخضع لوعي عالمي جديد بأهمية النظرة الأخلاقية في تسخير العلم والتقنية لمصلحة البشرية والمجتمع الدولي كله ■

الوعي الإسلامي
al-Wa'i al-Islami
الأسرة المسلمة

العدد 415
ربيع الأول 1421 هـ
يونيو / يوليو 2000 م

الجانب المؤلم منها

المراهقة ومشاكلها الصحية

وقفات مع استثمار البيت المسلم

شرك الشيطان

تربية الأبناء مسؤولية من ؟!

كيف تحفز طفلك على النجاح والتفوق ؟

همسة إلى كل زوج

هل التنشئة الاجتماعية الخاطئة تؤدي إلى بناء الشخصية الإجرامية ؟!

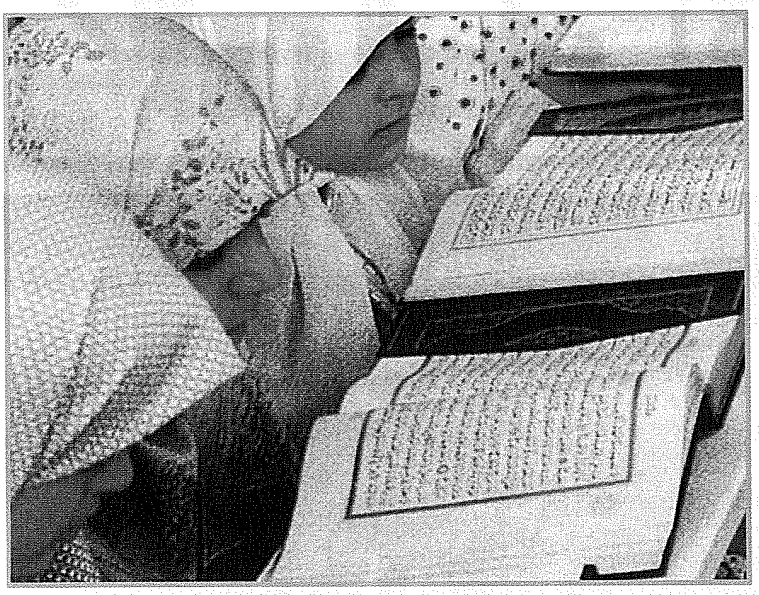

تربية الأبناء ؟! مسؤولية من ؟!

بقلم: عبدالحميد عزي بن حسن

منذ زمن سقراط... وحتى تاريخه والفرسان من رجال التربية يمطون أعناقهم ويتطاولون ليبلغوا أهدافاً نهائية للتربية، ولكن أحداً منهم لم يفلح... لماذا؟! لأن البحث في التربية هو بحث في المواقف الإنسانية... والمواقف الإنسانية لا يمكن، ولا يجوز البت فيها... إنها ليست معادلات ولا أرقاماً حسابية، وإن خضوعها أو إخضاعها للقياسات المنطقية فيه شيء من المبالغة والمجازفة في الإطلاق والتعميم، لأنني لا أستطيع أن أطلق حكماً مسبقاً على ما سينتج من موقف زيد عن هذه الظروف قياساً على ما نتج من موقف زيد نفسه في الظروف نفسها... ربما نستطيع القول: إنه سيفرح... أو يبكي أو يغضب... أو يهرب ... ولكن للبكاء أسباباً وأشكالاً كثيرة... وكذلك للفرح والغضب والهرب... وهذا يعني أننا لم نطلق حكماً دقيقاً، يمكننا أن نبني عليه قواعد حياة أو سلوك لزيد نفسه، فكيف بنا إذا أردنا أن نعممها على المجموعة التي تشابه ظروفها ظروف زيد، ثم على المجموعات التي تختلف ظروفها عن ظروفه.

وإلا لِمَ الفشل في تربية الأبناء؟!

أليس الأجدر أن نتعرف على المشكلة كما هي، ونضع لها البدايات الموضوعية التي تمكننا من ولوج هذا العالم المجهول والتعرف على خباياه... لتمكين وترسيخ ما هو صحيح منها وترميم وتصويب ما اتجه في أقنية مغايرة... صلب المشكلة؟! ثم هل اكتملت في الطفل مقومات الشخصية الإنسانية؟! ثم كيف نتعامل مع هذا الطفل الذي نعتبره صغيراً!! وكون التربية ما هي إلا عملية نمو، إذاً الأمر يقودنا إلى معرفة المعوقات الداخلية والخارجية التي تقف في وجه التربية... ولذلك ليس الأب والأم «الأسرة» وحدهما اللذان يقع على عاتقهما ضياع أبنائهما، وإنما يجب تحقيق المعادلة التربوية لكون تربية الأبناء فن ومسؤولية.

والعوامل الخارجية المؤثِّرة في عدم تحقيق الأهداف المطلوبة، تتعلق بمكونات المنهج لما يسود المجتمع من عادات وتقاليد وأفكار وقيم، ناهيك عن عمليات الصراع والاضطراب التي يعانيها الناشئة نتيجة للتعارض بين الجانبين، وما على التربية كي تتحقق أهدافها... ومن هنا على المؤسسات الاجتماعية ووسائل الإعلام أن تؤدي رسالتها التربوية... والأخطر في التربية الاستقرارية، لذا يجب أن تراعي التطورات العالمية، كماً ونوعاً... ولابد من التسليم بحقيقة أساسية هي «أن التربية ليست رديفاً للحياة، ولا هي ثوب للزينة، إنما هي الحياة نفسها، وإن لم تكن الآن فيجب أن تصير».

وعندما أفلت زمام الابن من بين يديهما راح كل منهما يتهم الآخر... الأم تقول: إن الأب قد أخلى مسؤوليته من تربية ابنه وكأن هذه هي مهمة الأم

وحدها، ودور الأب من وجهة نظره لا يزيد على توفير المطالب المادية دون غيرها... وقال الأب: إنني بعد أن وصلت إلى درجة اليأس، ففي كل الحالات التي كنت أعارض فيها رغبة أو أحدد موقفاً كان هو يلجأ إلى أمه فتحقق له رغبته أو تكسر القيد الذي وضعته على تصرفه، ولذلك رفضت أن أكون الطرف القاسي حتى لا يتجه الابن بكل عواطفه نحو أمه ويعتبرني عدواً له.

لقد بات واضحاً من خلال الاتهامات المتبادلة... أن كل واحد من الأبوين قد أخطأ وأن الابن هو الذي يدفع ثمن الأخطاء... وإن التربية السليمة لها قواعد معينة لابد من اتباعها وتوافرها حتى يتحقق الجو التربوي السليم الذي ينضج فيه الأبناء على أسس قوية ومتينة لا تتعرض للأخطاء الكبيرة والانحرافات، وفي البدء، فإن التربية السليمة لا تتناقض على الاطلاق مع الحب... المهم أن يكون الحب ناضجاً وواعياً حتى ندرك أن هدفه النهائي هو تحقيق المستقبل الأفضل للأبناء، أما العواطف السيالة التي لا تتعارض مع رغبة ولا تتخذ موقف النصح أو المعارضة وتتغاضى عن السلوك المعوج فإنها لا تعبر عن الحب من ناحية، كما أنها تؤدي إلى نتائج وخيمة من جهة ثانية.

ونحن نحب أولادنا أكثر من أي شيء آخر في الدنيا... ولكننا في الوقت نفسه نريد لهم المستقبل الأفضل، وهذا لن يتحقق إلا عن طريق التربية السليمة، وأول مبادئ التربية السليمة، أن يتفق الوالدان على أسلوب هذه التربية وأن يناقشا تفاصيله، وأن يحددا المواقف إزاء كل التصرفات... وليس معنى ذلك أن يتفق الوالدان على الجزم مثلاً... فيكون كل منهما شديد الوطأة على الأبناء وإنما لابد أن تكون هناك مرونة في التطبيق من ناحية، وأن يكون التصرف متفقاً مع أبعاد كل شخصية من ناحية أخرى، وتأتي بعد ذلك النقطة الثانية متمثلة في ضرورة اتباع أسلوب واحد في التربية بالنسبة للأولاد والبنات، ولا يجوز أن يعامل كل جنس بطريقة تختلف عن الجنس الآخر... لأن هذا يولّد الشعور بالظلم، كما أنه يعطي إحساساً بالتفرقة... وهذا يتنافى مع تكوين شخصية بعيدة عن العقد النفسية التي تنعكس آثارها في المستقبل والتي تكون مصدراً للتعاسة، سواء بالنسبة للشخص نفسه أو بالنسبة لمن يتعاملون معه ويقول خبراء التربية: إنه لا يجوز أن يتعامل الآباء مع الأبناء بطريقة واحدة في كل المواقف... فلابد في بعض الحالات من اتخاذ موقف صارم إزاء بعض التصرفات وفي حالات أخرى. يجوز أن يتغاضى الآباء عن أخطاء أبنائهم أو يؤجلوا اللوم عليهم إلى وقت آخر تكون الأعصاب فيه أكثر استرخاء في حال ردّ الفعل، وإلى جانب ذلك، فلابد من مخاطبة العقل حتى يفهم الأبناء أنه من الضروري أن ننقل للأبناء تجاربنا في الحياة حتى تكون دليلاً لهم يهتدون بها في مسيرتهم... والتربية السليمة تقتضي منا أن نعامل الأبناء حسب مرحلة العمر التي يعيشونها وليس حسب مرحلة النضج التي نعيش نحن فيها... وأن من الخطأ أن نفترض في الأبناء وعياً وسلوكاً على الدرجة نفسها التي عليها الآباء... فهذا ضد الطبيعة البشرية، وهذا أيضاً ضد النضج لأنه لا يترك للأبناء فرصة معايشة تجارب العمر مرحلة بعد أخرى.

واجبات الآباء نحو الأبناء

علينا بناء الأطفال أولاً: في البيت والمدرسة والمجتمع... نعلمهم - الأطفال - كيف يتمسكون بالقيم ويدافعون عنها... كيف يعترفون بالخطأ... كيف يدافعون عن كل قيمة سامية في حياتهم.. وعلينا - نحن الآباء - اتباع التالي:

- اختيار الأسماء الحسنة لهم ودفع الألقاب السيئة عنهم ولو مزاحاً، وذلك حتى لا تتلبس فيهم، فتقلقهم فيما بعد. قال ﷺ: «حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن أدبه».

- تغطيتهم بالرحمة والود وملاعبتهم في صباهم وإشعارهم بحضورنا على الدوام. قال ﷺ في الولد وهو صبي: «لاعبه سبعاً» أي من السنة الأولى إلى السابعة.

مر ﷺ على بيت فاطمة، فسمع الحسين يبكي فقال لفاطمة: «ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني؟ وتعثّر الحسن والنبي ﷺ على المنبر، فنزل ﷺ، فحمله وكان ﷺ يكرم الصبيان ويدخل السرور على نفوسهم ويمسح على رؤوسهم ويداعبهم ويحبسهم في حجره، وهو يردد: «من لا يَرْحَم لا يُرْحَم».

- حمايتهم صحياً وبدنياً... وتقديم الأكل اللازم لهم، قال ﷺ: «حق الولد على الوالد أن يعلّمه الكتابة والسباحة والرماية وألا يرزقه إلا حلالاً طيباً».

- الاهتمام بتكوينهم تربوياً وأدبياً وتزويدهم من مختلف المعارف الإنسانية وإعانتهم على تحصيل العلم وغرس القيم الروحية فيهم، وفي هذا قال ﷺ: «أدبه سبعاً» وقال في حق الصلاة التي هي منطلق التعليم الروحي: «مُروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر».

- تشجيعهم على العمل والمشاركة في أعمال البر، وحضهم على التفكير وتوليد الأفكار ومباركة الإبداع فيهم، كما عبر عن ذلك داود عليه السلام

التربية السليمة تقتضي معاملة الأبناء حسب مرحلة العمر التي يعيشونها

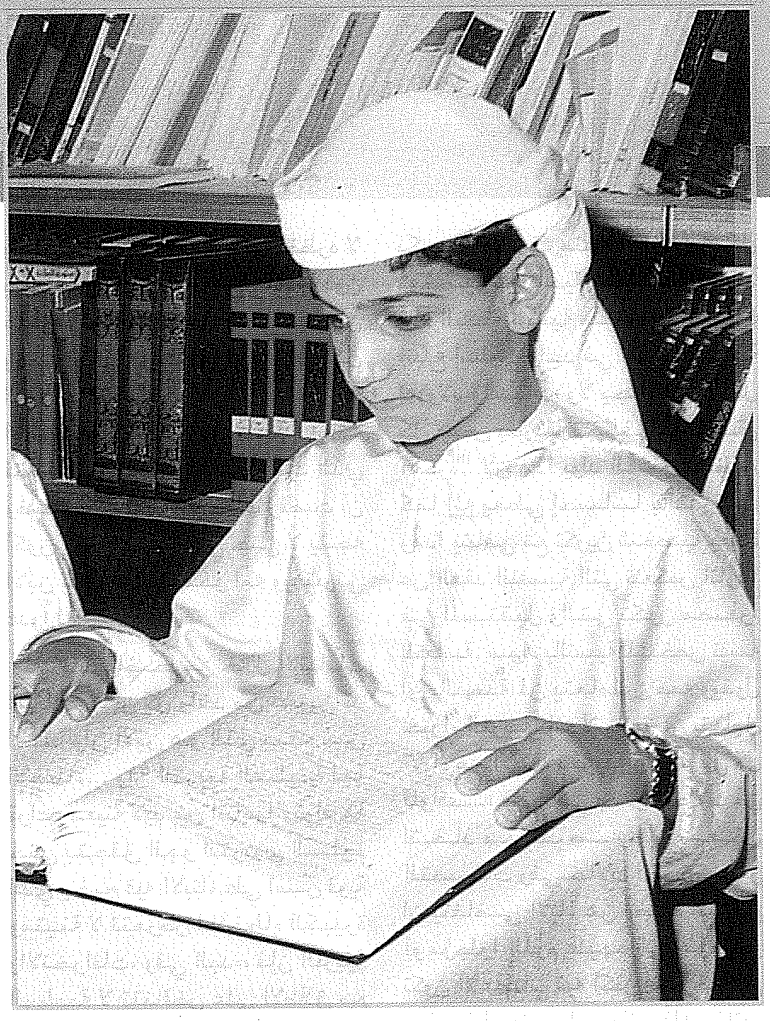

لابنه سليمان في فتواه حول غنم القوم. والعمل على إقامة حوار مستمر معهم ودمجهم في حياتنا عن طريق المصاحبة لفترة من الزمن، حتى يأخذوا الحياة عملياً، قال ﷺ: «وصاحبه سبعاً» وفي وصايا «لقمان» خير مثل على بيان الحوار.

- المساواة بينهم في المعاملة بألا نؤثر أحداً منهم بالمحبة والعطف على الآخر، وقد شهد ﷺ رجلاً له ابنان يقبّل أحدهما ويترك الآخر، فقال له: «هلا ساويت بينهما»، وحول إعداد البنت يقول ﷺ: «من كانت له ثلاث بنات أو بنتان فأدبهن واتقى الله فيهن وأدى الذي عليه لهن دخل الجنة».

وصايا لقمان لابنه خير مثال على الحوار بين الأب وابنه

وماذا يترتب على الأبناء؟!

إن العمل التربوي من أعظم الأعمال شأناً وأكبرها خطورة، وأحوجها إلى البصيرة، والحكمة والعقل، وبالتالي فإنه محتاج بلا انقطاع إلى حسن المراقبة والتقويم، والمراجعة، وإعادة التأمل وقلب المنطلقات، وملاحظة كذب ما نظنه صدقاً فيه، أو صدق ما نظنه خاطئاً فيه... ومع ذلك ثمة سؤال يلوح في الأفق:

هل نحن واثقون أن تربيتنا لأطفالنا لا تنتج عكس النتائج المطلوبة منها؟!

لا ينكر أحد أن طاعة الأبناء لآبائهم ووالديهم واجبة بالكتاب والسنة، فهم مطالبون بحمايتهم عند الضعف وحملهم عند العجز، والدعاء لهم قولاً وعملاً، وتلبية مطالبهم والاستماع إلى أوامرهم وأخذها بعين الاعتبار في حدود العقل والشرع واللين معهم في المعاملة، والتحدث إليهم، وتقديم مقامهم والرفع من سمعتهم، ولا يمكن للآباء أن ينعموا بهذا إلا إذا أعدوا الذرية لذلك، وفي هذا يقول النبي ﷺ: «رحم الله والداً أعان ولده على بره»، ومعنى هذا أن الوالد قد يحمل ولده على العقوق إذا قصّر في واجبه نحوه أو أساء التصرف في حقه، وقد وصف ﷺ الأبرار بقوله: «إنما سمّاهم الله الأبرار لأنهم برّوا الآباء والأمهات والأبناء، فكما لوالديك عليك حق، فكذلك لولدك عليك حق».

وفي حديث آخر: «بروا آباؤكم تبركم أبناؤكم».

غير أن الإسلام مع ذلك لا يبيح للابن أن يعقّ والديه إذا حرماه برهما، بل إنه يأمره ببرهما ولو أساؤوا إليه.

وطالما هم الجيل الذي به تستمر الحياة وتبقى الخلافة لبني البشر يخلد ذكرهم وتدوم مآثرهم.. لذا لابد من التأكيد على وصية الآباء لأبنائهم بمواصلة السير بعدما يكون الآباء قد أعطوا المثل الحسن.

قال تعالى: (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سَفِهَ نَفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين. إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين. ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون) البقرة: ١٣٠ - ١٣٢ ■

المراجع:

- غزي، عبدالحميد، صحيفة «الجزيرة» الرياض - العدد ٨٢٦٠ - تاريخ ١٩٩٥/٥/١١ مقالة: نحن مضطرون إلى حشد جهودنا في تربية الجيل».
- غزي، عبدالحميد، صحيفة «الجزيرة» الرياض، العدد ٨٢٥٢ تاريخ ١٩٩٥/٥/٣م مقالة لِمَ الفشل في تربية الأبناء!
- مجلة «المنهل» جدة - العدد ٥٢٢ ذو القعدة وذو الحجة ١٤١٥هـ.
- مجلة «الجامعة» العدد ديسمبر عام ١٩٧٩م.

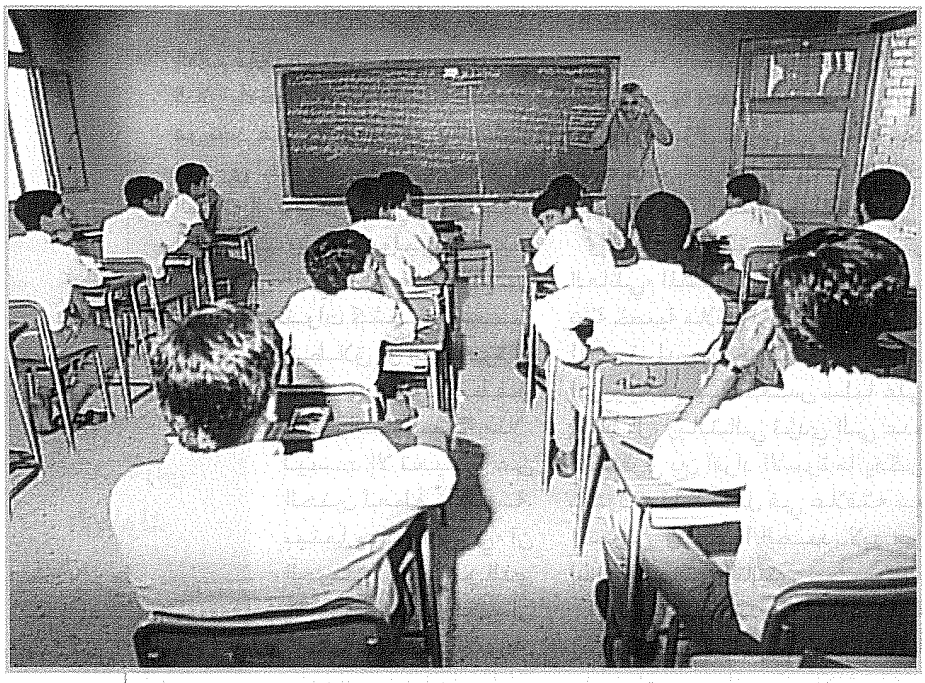

التنشئة الاجتماعية: عملية اجتماعية، وتفاعل اجتماعي بين الفرد والمجتمع، هدفها بناء شخصية الفرد وتطويرها، وضبط سلوكه وتوجيهه اجتماعياً، وكما أن الأفراد في المجتمع يخضعون لظروف وأسس مشتركة، إلا أنها لا تقود بالضرورة إلى تكوين شخصيات متشابهة، وبالتالي لا ترسم حتى للفرد الواحد طريقاً واحداً... وهذا ما يقودنا إلى أن كل مؤسسة لها طريقها، ولكل مؤثر دوره الخاص في عملية التنشئة الاجتماعية نفسها لا تجري بصورة موحدة بالنسبة لجميع أفراد المجتمع، وانطلاقاً من ذلك يبرز التساؤل التالي:

- هل التنشئة الاجتماعية الخاطئة تشكل الحجر الأساس في بناء ما

هل التنشئة الاجتماعية الخاطئة تؤدي إلى بناء الشخصية الإجرامية؟!

عطاف ياسر عبد الحميد

يُعرف بالشخصية الإجرامية للفرد، في ظل قيم ومفاهيم تقود للسلوك الإجرامي؟

وعموماً، فإن ثمة مؤسسات في حياة الحدث أولاً، وفي مستقبل الفرد ثانياً، تتقاسم المسؤولية في بناء مستقبل الوطن من خلال بناء أطفال اليوم، فطفل اليوم هو رجل المستقبل، وأهم دورها الفاعل في توجيه سلوك الطفل من خلال دورها في عملية التنشئة الاجتماعية هي:

١ - الأسرة. ٢ - المدرسة.

٣ - الحي. ٤ - الصحبة.

أولاً: دور الأسرة

تلعب الأسرة دوراً مهماً في التنشئة الاجتماعية، وهي تُعدُّ من الجماعات المنظمة في هذه العملية من جهة، والمؤسسة الاجتماعية الأولى هي المسؤولة عن تطوير شخصية الطفل من جهة أخرى، لذا... فهي السبيل الأول إلى تكوين شعور الفرد بالانتماء إلى جماعة، وأنه جزء ضروري منها، الأمر الذي يؤهله إلى تحقيق تأليفه مع الجماعات الأخرى، ناهيك عن مسؤوليتها في تكوين أخلاقيات الفرد من خلال تعاليمها وطبيعة بنيتها، وعلاقة أفرادها ببعضهم بعضاً.

أ - ماهية الأسرة:

يتضح من خلال تعريف العالمين الأميركيين «شيلدون، والبانور جلوك» أن البيت غير المتصدع هو: «البيت الذي يوجد فيه أحد الأبوين على الأقل، في إطار العواطف الحميمة مع الأطفال، وأن غياب أحد الأبوين يحدث شرخاً في جدار التماسك العائلي، حيث يفقد الطفل شعوره بالطمأنينة والاستقرار، ويمكننا أن نجمل خصائص البيت المتصدع بغياب أحد الأبوين أو كليهما، كما أن الخصام المتكرر الذي يعيشه الأبوان والتناحر والكراهية له دوره في تصدع البيت الذي يعد المجتمع الأول للطفل».

فالأسرة لا يقف دورها عند زرع

القيم المقبولة اجتماعياً في الجيل القادم فقط، بل عليها حماية الطفل من التأثر بالانحراف، لذا فالبيت المتصدع، هو بيت غير ملائم لتكوين السلوك السوي للفرد، وعاجز عن اتخاذ السلوك السوي درعاً يقي الطفل سهام الانحراف. ويؤكد «بولبي» (طبيب نفسي بريطاني): «أن غياب الأم عن المنزل سنوات كثيرة بسبب الطلاق أو الهجرة أو الوفاة» يقود الطفل للانحراف، فالسرقة مثلاً، ليست إلا تعبيراً عن الحنين لعطف الأمومة، بينما يؤكد «أندري» أن الحرمان الأبوي هو الذي يقود إلى نتائج الحرمان نفسها من عطف الأمومة. ناهيك عن فقدان المثل العليا والكرامة والشهامة لدى الطفل... حتى إن الدراسة التي قام بها «وليد حيدر» مع الأحداث في معهد الإصلاح بدمشق، تؤكد نتائجها أن (٥٥٪) من الأحداث المسجونين ينتمون إلى أسر مفككة، إضافة إلى عوامل «البيت المتصدع»، حيث تؤكد الدراسات الميدانية أن عامل «الضبط العائلي» لا يقل أهمية عن غيره من العوامل بين الطفل وأسرته، وعندما يضعف أو ينعدم الضبط العائلي، نرى الجنوح قد اتجه نحو الازدياد نتيجة لاتجاه الطفل نحو المؤثرات التي تلعب دورها في سلوكه.

تدفع الصحبة السيئة إلى السلوك الإجرامي عن طريق الحث والإيماء والتقليد

حيث وجد أن الطفل السوي، يتأثر بأسلوب ضبط معين يقوم على اللين حيناً والقسوة أحياناً ممتزجين بالعطف والحنان، ولكن - على العكس من ذلك - فالطفل لا يستجيب للضبط القاسي الشديد غير المبرر، والذي يترك آثاراً سيئة في نفسه، وينعكس على علاقته بمصدر هذا الضبط، ما يطبع على سلوكه بصمات الحقد والكراهية والخوف والشعور باللامبالاة تجاه كل سلطة والأمل بالتمرد عليها وعدم احترامها.

ولدى السؤال عن سبب ترك الحدث البيت حسب «دراسة وليد حيدر» كانت الإجابة: نتيجة القسوة في المعاملة.

وإضافة لما سبق، وجد أن «التوتر العائلي» المشحون بالحقد مثلاً ..... بيئة خصبة ملائمة لنمو بذور السلوك المنحرف لدى الفرد، فمثلاً: العلاقات الزوجية السيئة تنعكس سلباً على الأطفال، وبالتالي تؤدي إلى عدم الاستقرار بين أفراد الأسرة ما يعكس سلوك هذا الطفل في علاقته مع الآخرين. وفي هذا الصدد، لابد من إبداء الملاحظتين التاليتين:

الأولى: تشير الدراسات الميدانية الأميركية إلى أن التوتر العائلي غالباً ما يضاعف من انحراف الانثى أكثر من الذكر، نظراً لكونها لا تجد الملجأ إلا في البيت، بعكس الفتى الذي يلجأ للخروج من المنزل عند بدء الخصام أو الشجار.

الثانية: تؤكد الدراسة التي تمت في معهد الإصلاح بدمشق من قبل «وليد حيدر» أن ٥٦,٦٪ من أطفال المعهد المذكور، قد شاهدوا الخصام بين الأبوين، في حين أن بعضاً منهم كان قد شارك فيه أيضاً منذ بدء المناقشة الحادة إلى التشابك بالأيدي.

ب - العلاقة بين أفراد الأسرة:

لاشك أن الصلة الأبوية - علاقة الطفل بأبويه - لها تأثير كبير في حياة الطفل، وذلك من خلال رسم معالم الطريق الذي تسلكه عملية التنشئة المطلوبة، فالطفل يظهر بمظهر أبيه ولباسه وصوته، والطفلة تقلد أمها في تأنيب أخيها الصغير، وفي شكل لباسها، لدرجة أنهم يتخذون من الأبوين المثل الأعلى في حياتهم.

لذا... فالصلة بالأم تكون وثيقة جداً حتى الشهر الثامن من العمر، ثم يأتي الأب في المرحلة الثانية بعد الأم، حيث يلعب دوراً مهماً في تكوين شخصية الطفل.

وانطلاقاً من ذلك، أكدت الدراسات أن الاضطراب في عملية التربية بين الأبوين والتناقض فيها، يقود الطفل إلى الانحراف في السلوك. والأخطر من هذه العوامل - كما أشار الباحثون - الانحراف الأسري نظراً لتأثر الطفل بكل ما يحيط به من أنماط سلوكية مختلفة، حيث يتعلم الكثير من والديه وبسرعة فائقة، كونه مقلداً في كل كبيرة وصغيرة وهكذا يتأثر الأطفال بآبائهم في الأنماط السلوكية المنحرفة مثل: المشروبات الكحولية والرذائل الاجتماعية، والشذوذ الجنسي والإجرام بشكل عام، ويتضح من خلال دراسة «وليد حيدر» لمعهد أحداث الجانحين بدمشق أن ٥٥٪ من الأطفال الجانحين المسجونين تعود سلوكياتهم المنحرفة من قتل ومشروبات كحولية إلى الآباء، وفي الدعارة للأم، وفي السرقة والتشرد للأخوة والأقارب.

ثانياً: دور المدرسة

تسهم المدرسة مع البيت في تنشئة الطفل، وتلعب دوراً مهماً مثل دور السلطة الأبوية في البيت، لكنها من الجماعات المنظمة في عملية التنشئة الاجتماعية.. لذا وجب أن تتواءم برامجها بما يحقق حاجات الطفل الفكرية والاجتماعية، وعليها استيعاب الطفل والأخذ بيده لفهم الأمور المحيطة به. فمثلاً: الفشل الدراسي ينعكس على نفسية الطفل ما يدفعه لإطلاق العنان للنزعات العدوانية بقصد التعويض عما أحاط به من عدم التوفيق، وتلعب العاهات دوراً مهماً لدرجة تنمي لدى الطفل الحقد وحب الانتقام في حال الشعور بالنقص تجاه زملائه، وبخاصة عندما يواجه العقاب الشديد في المدرسة، ويتجسد هذا في ظاهرة الهرب من المدرسة، نتيجة عدم رضاه عن المواقف غير المنطقية المتخذة

ضده، والتوبيخ المستمر في المدرسة ومن الأهل والزملاء، وبهذا الشكل يُحرم من المدرسة ويفقد أهم مؤسسة اجتماعية تربوية في حياته. إذاً، يجب العمل على إزالة السلبيات التي تلعبها المدرسة في حياة الأطفال من اهتمام المدرسين بمنهجية التدريس، وعدم الاهتمام بمشكلات الطفل السلوكية، ما يدفعه للبحث عن البديل في السلوك المنحرف.

ثالثاً: دور الحي والصحبة

أثبتت الدراسات أن للجماعات العفوية - الحي والصحبة - دوراً في عملية التنشئة الاجتماعية، لأن الطفل لا يقضي كامل وقته بين المدرسة والبيت فقط، وإنما يعيش في حي يتأثر به... ولا سيما أن هذا الحي يؤمن للأسرة معظم المؤثرات الخارجية والظروف التي تتيح لأفرادها المخالطة والانتماء، وهو يسهم في تزويد الفرد ببعض القيم والمواقف والعادات التي يتضمنها الإطار الحضاري العام الذي يميز المنطقة الاجتماعية، يسهم بذلك في تكوين الجاني أو في تطويره، ومن ثمَّ زيادة معدلات الجريمة.

فشخصية الفرد تتكون من خلال حبِّه الذي يكتسبه من خلال منظورين متكاملين:

الأول: هو دور الفرد في الحي الذي يعيش فيه.

والثاني: هو ميزة أهل الحي عن بقية الأحياء الأخرى، والدور الذي يلعبه في المجتمع، فالحي السوي المتوافق بقيمه مع قيم المجتمع الكبير، يكون حياً مثالياً يهيئ للفرد جواً يكسبه الشعور بالاحترام والانقياد التام للقوانين. وإلا فإنه يكون مصدراً للاتجاهات الخاطئة، ويفشل في توجيه قيم الأفراد، ويقودهم للانحراف بمختلف الوسائل، فمثلاً: الحي يقدم للسارق فرصة ممكنة لتسريب مسروقاته... كما أن افتقاد الحي للأمكنة الملائمة لشغل أوقات الفراغ يدفع بالأطفال نحو النوادي الرخيصة، والأماكن المجانية، التي تكون في الأغلب مركزاً للإجرام يديره مؤسسو مناطق الإجرام، وفي هذا الصدد عرَّف الأستاذ الأميركي «كيلفورد سو» مناطق الإجرام بالأحياء التي تحيط بمناطق السكك الحديد والمرافئ والمصانع وأطراف المدن، حيث الفقر والازدحام وعدم الاستقرار، وقد حاول بعض العلماء تشخيص عناصر الحي الفاسد الذي ينمي السلوك الإجرامي، وذلك من خلال سبعة أنواع لهذا الحي وهي:

١ - الحي الفقير المزدحم.
٢ - الحي الفقير جداً.
٣ - الحي المغلق اجتماعياً.
٤ - حي العُزاب.
٥ - حي الأجانب.
٦ - حي الرذائل والموبقات.
٧ - الحي النائي الذي يتخذه المجرمون مكان إقامة سرية لهم. وثمة سؤال:

«هل يستطيع الطفل أن يستغني عن الصحبة «جماعة اللعب» في الحي؟!».

إن الطفل - بحد ذاته - يبحث بشكل عفوي عن جماعة اللعب من الأصدقاء الذين يناسبونه، ويكون له ما لهم، وعليه ما عليهم، وتكون هذه الجماعة بدلاً عن جماعة الأسرة، ويشعر من خلالها بذاتيته... حيث يتعلم الطفل من خلالها قيماً وأنماطاً سلوكية لم يعهدها في أسرته، ومن ثمَّ يجد في ذلك فرصته الأولى لعقد علاقات اجتماعية جديدة تختلف عن تلك التي سبق وعقدها داخل الأسرة.

فمثلاً: يتعلم الطفل معنى السلطة، ولكن هذه السلطة تختلف عن سلطة الأبوين، ما ينشئ لديه النزعة الأولى لتحدي سلطة المنزل، مستمداً قوته لذلك من صحبة مؤسسته الجديدة.

ومن هنا - حسب قول - (رابسمان) - تظهر لنا خطورة رفاق السوء (أي المنحرفين) اللذين يعقد معهم الحدث صداقات متنوعة، ويتعلم منهم سبل الانحراف، حيث تدفع الصحبة السيئة إلى السلوك الإجرامي عن طريق الحث والإيماء والتقليد، وربما عن طريق التهديد والوعيد، وقد تتحول الصحبة إلى عصابة إجرامية... ناهيك عن تقليد الآخرين في التدخين والخمور والمخدرات والتمرد والعصيان، مما يلجأ معه إلى السرقة وأساليب الغش والاحتيال التي قد تصل إلى القتل في حال المواجهة، حيث يؤكد «جلوك» من خلال دراساته الميدانية، أن ٤٩٢ طفلاً جانحاً من بين خمسمئة طفل لم يرتكبوا الجريمة بمفردهم بل بالمشاركة مع الآخرين.

البيت المتصدع هو بيت غير ملائم لتكوين السلوك السوي للفرد، وعاجز عن اتخاذ السلوك السوي

ونستنتج مما تقدم أن السلوك الإجرامي ليس إلا نتيجة عوامل عدة تأتي عن طريق الأسرة أولاً، وإن كانت الأسرة ليست العامل الوحيد في التنشئة الاجتماعية، لكنها تبقى العامل الأهم والأقوى، كذلك الأمر بالنسبة للقسوة في المدرسة والطرد إلى الشارع، كذلك جماعة اللعب، وجماعة الصداقة السيئة، أي أن التنشئة الاجتماعية الخاطئة تشكل الحجر الأساس في بناء ما يعرف بالشخصية الإجرامية للفرد في ظل قيم ومفاهيم تقود السلوك الإجرامي.

لذا... لابد من تنشئة اجتماعية سليمة، وقيام كل مؤسسة بدورها الفعال، حيث لاحظنا مدى دور التنشئة الاجتماعية في الحي الفاسد في تكوين السلوك الإجرامي، لدى الأفراد.

وبقي أن نقول:

«علينا أن نكون قدوة صالحة ومثلاً أعلى لأطفالنا، ونؤمِّن لهم كل صنوف الرعاية الاجتماعية قدر الإمكان» ■

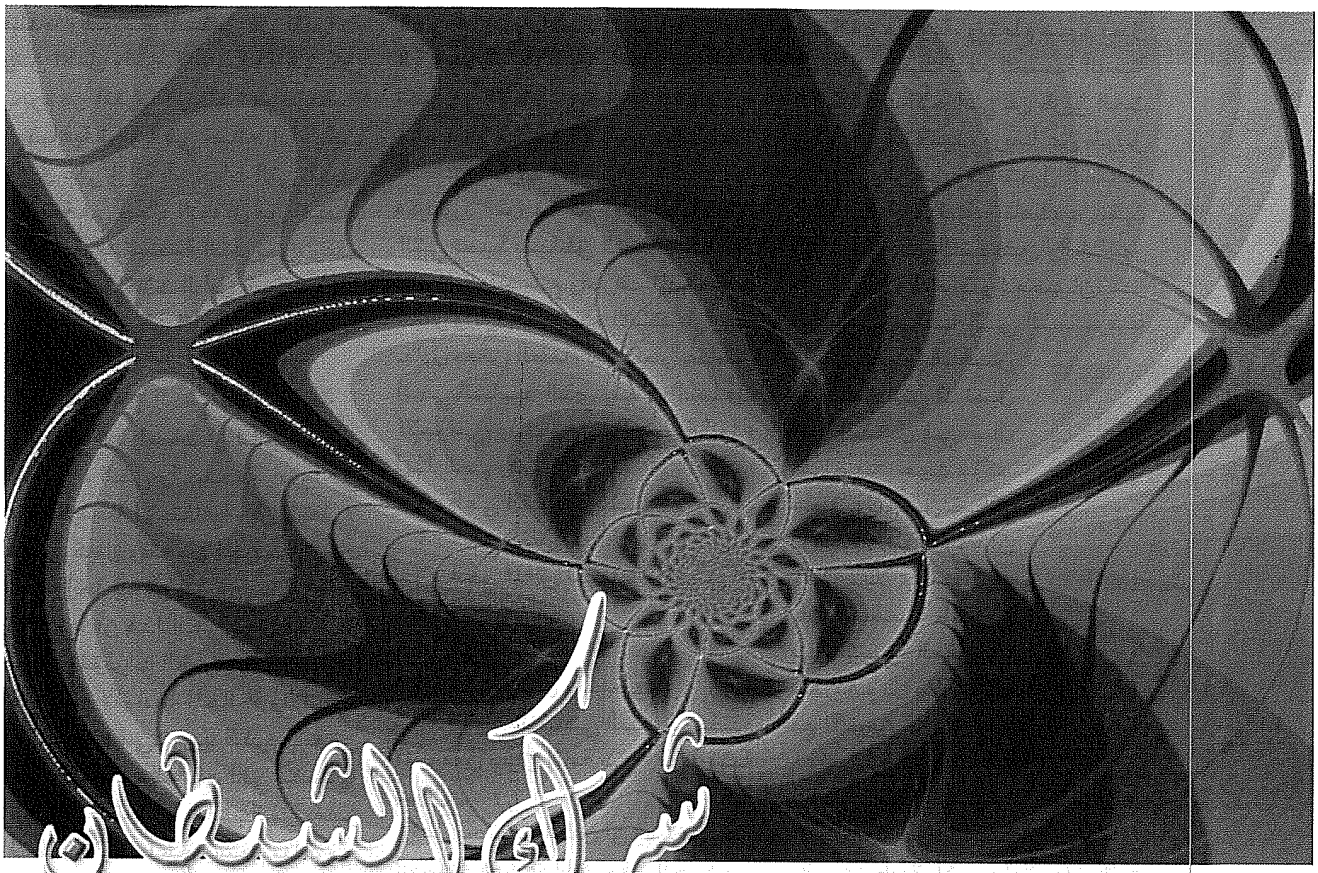

شر أي الشيطان

بقلم: مصطفى الضحاك

... هاجمتني العواطف منذ الصبا، وتذكرت، فكانت الذكريات تنخر ذهني بلا حدود، والورقة النقدية المشؤومة غدت سجنا بلا قضبان... وصوت الرجل يناديني من بعيد: ردَّ الورقة يا طفل!

الآن أفرك كفي من صدأ الذنب الكبير، والخناجر الصامتة تنهشني دون توقف، ماذا أقول في زمن الزلزلة: لقد نبأ بها الله من قديم، ماذا أقول لمحقق القبور بعد الشهقة الأخيرة..!

كان الزمان يقضم الوقت ثانية ثانية، وخيوط الشمس تغني في السوق معلنة حربا على الضباب، فتراءت لي رؤوس الخلائق البشرية كحبات السبحة متناثرة.. جاءت من كل فج عميق تبيع وتشتري ماتريد...

في هذا اليوم بالذات، اقتربت من السعير، نصب الشيطان لي فخا كالطائر الجائع الذي فرغت حوصلته من الحبوب، بعدما وقف الرجل أمامي منتصبا. وهو يعد أوراقه النقدية، كنت أراقبها وهي ترتجف بين أنامله الخشبية، انتظرت، وكاد الانتظار يكسر أنفي، فانفلتت ورقة نقدية، وسقطت على الأرض، بسرعة خاطفة، وضعت عليها رجلي اليمنى، وخنقتها فلم تعد ترى النور، لم أتحرك ولم أتململ من مكاني، كدت أن أفقد توازني، فسحبت رجلي اليسرى في تؤدة، ثم استويت في وقفتي.

أعطاني الرجل النقود التي كانت دينا لأبي عليه، بعدما أتم العد، وهو ينتظر انصرافي، نظر إليَّ في ارتياب، كأنه يجردني من ثيابي، فخفت أن يفتضح أمري، ولكن الرجل خرج عن صمته، وقال كأنه ترك لي فرصة لإعمال الفكر، واختبار الذكاء...

«هيا انصرف، يا لوقاحة أطفال اليوم! ما عهدنا بهذا في زماننا!» قالها بنبرة حادة، بعدما نعتني بالغباوة، فابتسمت ابتسامة حمقاء، وقلت في نفسي: «لا غباوة أفدح من غباوتك يا عمي مسعود»، وفي رمشة عين، أسقطت كل الأوراق النقدية، فاختلطت جميعها، فانحنيت كالعقاب، وجمعتها دون ترتيب... وحلت المشكلة في نظري..

رددت النقود إلى أبي، واحتفظت بالورقة النقدية الفائضة... لم أبذّرها، ولم أشتر بها حلوى أو مأكل، رغم أنني لا أجد ما أملأ به معدتي، طعامي الدائم هو كسرة خبز، وماء بارد، وكأس شاي ساخن،.. قمعت الشهوة في مهدها، وأحكمت الحزام على بطني.. أتدري ما اشتريْتُ بها؟ كتبا مستعملة، وأقلاما ودفاتر... وكنت مسرورا بالصفقة المربحة..

على المصباح الزيتي، كنت أقرأ كتاب «النظرات»، أكاد التهم سطوره قبل أن يغلبني النوم... قرأت من بين ما قرأت: «أتدري ما الخلق عندي»؟ وما أن أتممت النص حتى انتفضت كالمحموم، فتشككت في خلقي، وشعرت بانعدام المسؤولية أمام الضمير... ضيعت الفضيلة التي كان يحض عليْها أستاذي، كان رحمه الله، يكاد أن ينزع ضمائرنا ليغرس فيها الفضيلة، بعدما ينظفها من الخيانة، والطمع والسلوك المشين، الذي لا يتماشى وشريعة الله... فقلت محدثاً نفسي: سرقتَ اليوم، وما قَدرْتُ الفضيلة حق قدرها! ولكن كل الناس يسرقون، والحاجة تدفعهم للسلب والنهب،...

وأنا ما نهبتُ إلا ورقة نقدية... ماذا تقول يا طفل؟ لقد سرقتَ الرجل الفقيه الذي أطعمك مع أولاده بالأمس...

لفّت الحيرة على رقبتي، فصممت أن أرد الورقة النقدية إلى صاحبها، عندما أشتغل حال ما ينتهي الموسم الدراسي، ولكن الأيام غافلتني، ونسيت القضية، ومرت تجري كنبع لا يتوقف، والزمان يقود أيامه إلى الأمام، والحزن يركض وينتفض في صدري، والقلق يعتصرني، ويستبد بي، كلما رأيت تلك الكتب فوق طاولتي.

أطفأت ذبالة المصباح الزيتي، ونمت نومة المكروب، فتراءت لي حبال من نار تجلد جسمي، وتلتف حول عنقي، تضغط وتضغط، وأنا أحاول إدخال أصابعي بينها وبين جلدة عنقي، فأفقت مذعورا، والعرق يتصبب على وسادة النوم، برد جسمي، وكأن جليداً حط على صدري، فقلت: اليوم خزي، وغدا عذاب الحريق...

تخيّلت أني أحمل الحياة فوق كتفي، والخوف من النار يسلخ جلدي، فصممت أن أبيع غدا تلك الكتب، عسى أن أضعف من سطوة الذنب المؤرق...

تداولت الأيام بين الناس، والذكريات تطوى كطي السجل للكتاب، وحادثة الورقة النقدية نائمة كفتنة قابلة للاشتعال في كل حين... توظفت بعيدا عن قريتي، واشتغلت بالتعليم، ولا أرجع إلى مسقط الرأس إلا بعد انتهاء الموسم الدراسي. كنت أجوب في السوق نفسه، والخلائق البشرية تنغل كالنمل داخل فضاء فسيح، فإذا الرجل الذي قابلته منذ سبع سنوات يخطو بخطوات وئيدة أمامي، انجلى غبار النسيان عن تلك الذكرى الأليمة... فدخلت في كهف الشجن العميق، وشعرت بصخرة الخطيئة تضغط من جديد، ما زال المشهد حيا، وأنا أنقض على الورقة النقدية، فاضطربت أصابعي، وتملكني الخوف والرعب، وشابتني صفرة قاتمة، كنت أتوقف بين الحين والآخر، متخلفا بعض الشيء عن أخي، فارتاب في أمري، فسألني ما بك؟ فأجبت: حال عابرة فقط! لا تهتم بالأمر.

تذكرت الوعد الذي قطعته على نفسي، فجريت وراء الرجل، ولكنه غاب بين الحشود، فمعالم السوق البدوي لم تتغير، بحثت عنه، فوجدته في المكان المعتاد، وقفت مشدوها، فرأيت وجها بدلته قسوة تقاس بسبعة أعوام، كان الرجل قصير القامة، عريض الكتفين، ذا لحية بيضاء، تظهر عليه بلاء السنين، واليد الخفية التي خطت تلك السعادة الهنية، قد مسحتها الأعوام الطوال، فانسحب الدم عن الوجه الوقور، فبدا شاحبا... خطوت نحوه في تؤدة، وسلمت عليه فقال:

من؟

– أنا ولد فلان... يا طيب، يا فقيه!

- أهلا وسهلا، والله طالت غيبتك، أصبحت رجلا يا سعيد.

– الزمن يغير يا عمي مسعود، وأنت تعرف العمل خصوصاً في بلاد قصية...

تعثرت الكلمات في فمي، ووددت أن أكسر حاجز الصمت الموقت، وأنزع السدادة عن فكري. فكانت الكلمات تطير إلى أذنه - الماثلة صوب فمي - في تتابع وأنا أرفع من صوتي...

– يا عمي مسعود، أنت ضيف عندي، هذا وقت الغداء، وغداء السوق لذيذ، وبخاصة نكهة الشواء...

تلكأ الرجل قليلا، فأقسمت عليه، وكررت القسم مرارا..

– لا بأس، أكرمك الله، هيا بنا...

تناولنا الغداء، ونحن نغوص في أحاديث متفرقة، ننقض على الأحداث من آخرها، ولا نستقر على موضوع، ... فقلت:

– خذ هذه الورقة النقدية، فهي لك، وهي دراهمك، سرقتها منك في الأيام البالية... لما كنت في الإعدادي... وهذه مثلها، أرجوك أن تسامحني يا عمي مسعود، في الدنيا والآخرة!

استغرب الرجل لما سمع كلامي، فشخص بعينيه إلى الفضاء، فابتسم وقال: حقا أنا المغفل آنذاك،... هوِّن على نفسك، قال تعالى: (وإني لغفار لمن تاب وآمن، وعمل صالحا ثم اهتدى) فالتوبة حصلت، وبإذنه يرفع عنك غضبه، هيا بنا، فتبعات السوق لا تنتهي، وسنتم حديثنا في القرية ■

كيف تحفز طفلك على النجاح والتفوق؟

بقلم: أشرف سعد

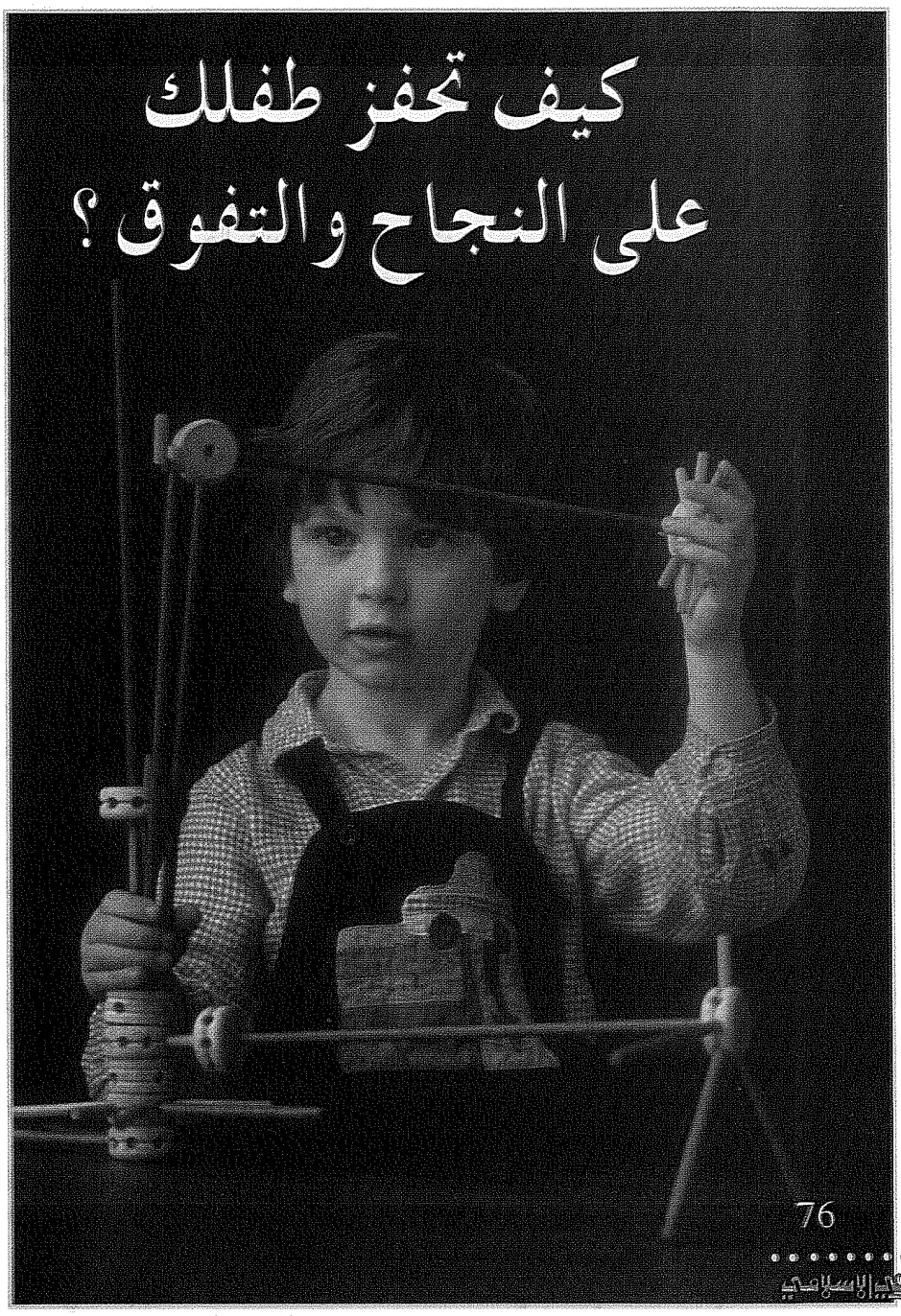

إن حب الطفل للاستذكار وإقبالهم عليه وعلى تنظيم وقته، هي عادات يمكن اكتسابها منذ السنوات الأولى في دراست الطفل، ويجب أن تكون بالتدريج حتى لا يمل أو يكره المذاكرة والذهاب إلى المدرسة.

ويؤكد المتخصصون في علم النفس أن النجاح والتفوق اللذان يمثلان أمل الطفل هما أمران ميسوران شرط الثقة بالنفس.(٣)

لذلك فالتحفيز الحقيقي للنجاح والتفوق يأتيان من داخل الطفل وليس نتيجة ضغوط خارجية من الآباء وقد أصبحت الامتحانات على الأبواب، لذا ينبغي علينا أن نعرف كيف نحفّز أطفالنا على النجاح والتفوق.

فهناك طرق مختلفة لتحفيز الأطفال على التفوق منها:

١ ـ ساعد طفلك في اختيار أهدافه.

لابد أن نساعد الطفل على أن يختار أهدافه بنفسه، ثم نساعده على تحقيق أهدافه، ولا نسيطر عليه بأهدافنا، ونحاول مقابلة الطفل مع أشخاص نجحوا في المجالات التي يهتم بها ليكونوا قدوة له في التفوق.

٢ ـ ساعد طفلك لكي يعرف النتائج الإيجابية لتحقيق أهدافه والنتائج السلبية لعدم تحقيقها فمعرفة الطفل للنتائج الإيجابية التي حققها يجعله يسعى دائماً للنجاح والتفوق.

٣ ـ امدح طفلك عند التفوق في مجال ما.

ويمكن استخدام المديح بالكثير من الطرق لتشجيعه عند التفوق ثم أعطه هدية مناسبة لسنه عند تفوقه ليستمر في تفوقه.

٤ ـ شجع ميول الطفل الطبيعية.

فحين تحفز الطفل باستخدام ميوله الطبيعية يكون من الطبيعي أن نعرف ميوله واهتماماته لكي يتفوق.

وعلينا أن نعلم أن الدافع للتفوق والنجاح يتحققان عند وضع الخطة للمذاكرة الناجحة وتتم كما يلي:

ـ تحديد ساعات الاستذكار مع عدم المبالغة في زيادتها.

ـ اختيار ساعات النهار لأداء العمل الذهني.

ـ تحديد الزمن الذي ينبغي أن يكرس لكل مادة.

وعند إعداد وترتيب جدول زمني للاستذكار يحرص على وضع المادة التي يحبها إلى جانب المادة غير المحببة على أن يقوم نفسه كل أسبوع ليجد الحافز على

الاستمرار.(٢)

الخطوات العملية للتفوق

١ ـ النظر إلى العناوين والرسوم قبل الاطلاع على المادة الجديدة.

٢ ـ القراءة المتأنية تكون أكثر تأثيراً لفهم المواد المعقدة.

٣ ـ تقسيم المعلومات إلى أبواب، لأن استيعاب الطفل لمجموعة من المعلومات دفعة واحدة أمر صعب، ولكن إذا قسِّمت يكون استيعابها أسهل.

٤ ـ زيادة التركيز ومقاومة القلق والتشتت.

٥ ـ احرص على أن يكون مكان استذكار الطفل مريحاً ودافئاً في فصل الشتاء وجيد الإضاءة.

٦ ـ حدد مواعيد لمشاهدة طفلك للتلفاز، فلا يجب حرمان الطفل من مشاهدة البرامج التي يحبها، ثم حدد له مواعيد للمشاهدة، وأوقات للمذاكرة، وأوقات للعب والنوم حسب سن الطفل.

٧ ـ احرص على أن يتناول طفلك الغذاء الكافي والمفيد الذي يكسبه الطاقة والحيوية والنشاط مثل اللبن الحليب ومنتجاته وأهم وجبة للطفل هي الإفطار فلا تدعه يذهب للمدرسة إلا بعد أن يتناول إفطاره.

٨ ـ يفضل عدم جلوس الأم أو الأب مع الطفل في أثناء فترة استذكاره حتى لا يتعود على ذلك.

٩ ـ شجع الطفل وكافئه كلما أحرز تقدماً في مادة ما.

١٠ ـ علينا أن نعلم أن الأطفال يقبلون على تعلّم ما هو مهم بالنسبة لهم في حين لا صبر لهم على تعلم ما لا يثير اهتمامهم.

وقد أثبتت الدراسات السيكولوجية أن الطفل ينسى معظم ما يتعلمه إذا كان الهدف من التعلم هو مجرد الحصول على الدرجات المدرسية في حين يكون التعلم أجدى عندما يكون الطفل مهتماً بالمادة التي يتعلمها. والنجاح يولد النجاح لأنه يبني في الطفل ثقته بنفسه واطمئنانه إلى مقدرته ■

المراجع:

١ ـ د. أحمد حامد ـ الطفولة والمستقبل ـ دار الشعب ـ القاهرة ـ ١٩٨٠م.

٢ ـ د.كلير فهيم ـ الحب والصحة النفسية لأطفالنا ـ سلسلة اقرأ الثقافية ـ عدد ٤٢٥ ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٩٥م.

٣ ـ د. أحمد السعيد يونس ـ أسرار الطفولة ـ دار نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٨٥م.

وقفات مع استثمار البيت المسلم

يقلم: د. زياد محمد الرمثاني

إن من أهم الشروط المطلوبة لتشجيع الاستثمارات هي: الأمان والاطمئنان قبل الربحية.

فإذا كان الاستثمار سهلاً في بعض البلدان المتقدمة وبعيداً عن أي من الأخطار في جو من الأمان والاطمئنان وحسن المردود والسرية.

فإنه قد يكون في بلاد أخرى معرضاً للخسارة أو المصادرة أو التأميم.

فبعد تجاوز مرحلة الادخار من حيث المبدأ وتكوين نواة مهمة سواء من حيث الحجم أو المضمون فإن من الطبيعي استثمار ما ادخرناه.

إن المهم ليس الادخار فقط، بل الاستثمار وتطويره وتغيير الوضع حسب تطور الظروف، فالمتابعة أهم من الانطلاق والمحافظة أصعب من الحصول على المطلوب.

فبعدما أصبح لدينا «رأس مال» أو «ثروة» ولوقليلة نسبياً، نتيجة سياسة ادخار عقلانية أصبح لزاماً علينا أن نحافظ على تلك الادخارات لا بل يجب أن نوجهّها نحو الاستثمار، ولا يجوز أن نترك مدخراتنا جامدة من حيث نوعيتها أو قيمتها لأن النقود بصورة عامة، تسير نحو الذوبان وتفقد قوتها الشرائية حيث قيمتها تنخفض باستمرار.

إذاً: فالمفروض أن ننتقل لمجال الاستثمار دون التوقف عن تنفيذ برنامج الادخار، وهذا يكون في إطار من التخطيط السليم بحيث نسير على خطين: الأول (الادخار المبرمج) والثاني (بدء الاستثمار).

أولاً: الاستثمار الزراعي: يبدأ الاستثمار الزراعي صغيراً. فمن البدهي القول: إن له ثلاثة عناصر أساسية: رأس المال، والخبرة، والقدرة.

فرأس المال شيء بدهي، أما الخبرة فهي الأساس لاختيار الزراعة، وأما القدرة فهي من وضع الخطط والبرامج وتنفيذها، لنقلب المال الذي استثمرناه من نقد إلى موارد زراعية تنتجها الأرض.

ثانياً: الاستثمار التجاري: إذ عندما نفكر بالتجارة ينبغي في البدء أن نتساءل: هل يصبح الانسان تاجراً أم يولد تاجراً؟!.

فالحقيقة، أن من ولد تاجراً له أفضلية هائلة على من يريد أن يتعلم، وأن يجتهد ليصبح تاجراً وبالتالي، فإن الذي يولد تاجراً سيكون سبّاقاً في تحقيق مشاريعه وزيادة أرباحه وينجح باستمرار حتى الفشل يمكن أن يجد له حلولاً فيقلبه إلى نجاح في بعض الحالات، ولذا قيل في المأثور الشعبي: «إنه تاجر ابن تاجر».

ثالثاً: الاستثمار الصناعي: في العلوم الاقتصادية توضع الصناعة في

«إن لم يكن من التجارة إلا الخسارة، فعدم التجارة «هي التجارة»

المرتبة الأولى، لأن مردودها يزيد بنسب هندسية، بينما في التجارة تكون الزيادة بنسب حسابية. أما الزراعة فإن زيادتها تكون بالجمع البسيط.

فالأرض هي حدود الزراعة والأسعار تنخفض بشكل آلي كلما زاد المحصول، وفي التجارة هناك حركة رأس المال، أما الصناعة فيقوم المنتج من خلالها بتحويل مواد خام إلى مواد استهلاكية.

الذي يولد تاجراً سيكون سبّاقاً في تحقيق مشاريعه وزيادة أرباحه

رابعاً: الاستثمار العقاري: إن النشاط العقاري هو مقياس حرارة الاقتصاد بصورة عامة وكلما كان التطور العقاري جيداً كلما كان الاقتصاد أفضل.

بيد أن قطاع العقار الذي يكاد شبه مضمون يكون مردوده محدوداً جداً، وبالتالي يمكن اعتباره توظيفاً أكثر منه استثماراً.

إذ إن موارد العقارات هي أضعف ما يمكن أن يحصل عليه المستثمر، لأنه يتراوح بين ثلاثة إلى عشرة بالمئة في أفضل الاحتمالات.

أما السكن العقاري فإنه يعتبر في الدول المتقدمة استثماراً ممتازاً يحمي رأس المال من التضخم وخصوصاً عندما تكون قوانين التأجير والاستثمار عادلة، فإن ما يوظفه المرء في العقار يعطيه دخلاً سنوياً نحو ٥٪، ويضيف إلى رأسماله نسبة التضخم السنوي نفسها إن لم يكن أكثر.

وهكذا نجد أن العقار هو من أفضل الاستثمارات لأسباب عدة أهمها أنه لا يخسر، ثم إنه يشكل قاعدة مجمدة لأموال كانت قد ذابت لو لم توظف فيه.

بعد هذه اللمحة السريعة عن القطاعات الأساسية للاستثمار، قد يبدو من الضروري تلخيص كل قطاع بعبارة تغطي فكرة واقعية عنه وتوجّه خياراتنا، أو تحدّد لنا وجهة سيرنا وتمكّننا من التفضيل.

فنقول إن :

الزراعة = أرض وعضلات.

التجارة = مرونة ومال.

الصناعة = اختصاص وسوق تصريف.

العقار = مال ونفس طويل.

فإذا شعرنا أنه بإمكاننا ولوج إحدى هذه القطاعات أو أكثر من قطاع، وأننا نملك عناصره الأساسية، فلنبدأ دراستنا ونحدّد برامجنا ونضع الخطوط الأساسية للتنفيذ. وأما إذا كان القطاع المختار بعيداً عن إمكاناتنا وقدراتنا فالأفضل لنا أن نتحاشى المغامرة.

وحسب قول أحد التجار القدامى «إن لم يكن من التجارة إلا الخسارة، فعدم التجارة «هي التجارة». وهذا ينطبق بصورة خاصة عند جمود الأسواق وفي الأزمات.

قد يتساءل بعض الناس: لماذا لم نذكر السياحة في القطاعات الاستثمارية، وهي تشمل الكثير من المراحل مثل الفنادق والمطاعم وتأجير السيارات إلى جانب المسابح والملاعب وسواها من أسباب الترفيه؟

الواقع أن هذا القطاع يمكن إدخاله ضمن بند الاستثمار الصناعي، حيث يتعاون فيه طرفان: مموّل ومنفذ. وتبقى مشاريع السياحة ضمن بنود الاستثمار الصناعي.

أما جمع القطع الأثرية والأنتيكات وجمع الطوابع والعملات القديمة، فالواقع أن هذه كلها نوع من التوظيف أكثر منها استثماراً، لأن المردود قد يكون آنياً.

يقول جعفر الجزّار في كتابه المتميّز «الادخار والاستثمار» عن تلك الأنواع: في الواقع إنها نوع من الادخار الإجباري الذي قد يجني ثماره أولادنا وربما أحفادنا.

إذاً: من المفروض أن تضاف إلى القطاعات الاستثمارية الأساسية من زراعة وتجارة وصناعة وعقار، قطاع الهوايات والاستثمار في الأسهم والسندات والمعادن الثمينة كالذهب والفضة.

وهناك استثمار في الأحجار الكريمة مثل الألماس واللؤلؤ والياقوت والزمرد.

وكذلك الاستثمار في العملات النادرة، ففي الأعوام الماضية زاد الاستثمار في العملات النادرة بشكل غير معقول، في حين كان الاستثمار في الذهب والفضة غير مربح.

وبدلاً من شراء المعادن الثمينة للاستثمار قد يكون للمرأة كلمة عندما تختار الاستثمار في الأحجار الكريمة.

من المعلوم أن رأس المال جبان، «أي أنه يهرب باستمرار وقبل أي معركة»، ويسعى للاطمئنان في دول أو مصارف، أثبتت أنها مضمونة من حيث إمكان استرداد المبلغ في أي وقت. ومن البدهيات أن يحسّن المستثمر خياراته عندما يتخذ قراره في التوجه ضمن قطاع معين، أو يختار بلداً أو منطقة معينة ويتجه نحو أسواقها أو مصارفها.

ختاماً أقول: إذا كان الادخار ممكناً في كل الأجواء، وضمن أي إطار سياسي سواء كان متحرراً أو مقيداً بأنظمة تسيّطر فيها الدولة على المرافق العامة، فإن الاستثمار يكاد يكون مقصوراً على البلدان المتحررة اقتصادياً، أو بالأحرى حيث يكون للقطاع الخاص قوة وكياناً ■

مرحلة المراهقة عدا عن كونها من أهم المراحل العمرية من النواحي النفسية، فإنها أيضاً مرحلة تغيرات سريعة، مادية في البدن وأجهزته، وفي النفس وكل المعنويات لدى المراهق، ولذلك يجب على الوالدين أن يمضيا وقتاً كافياً حتى يشعر المراهق بالدفء العاطفي والاهتمام به، كما يجب إظهار مشاعر العطف والحب له والبشاشة له عند رؤيته، وغمره بالعطف والشفقة وتجمع الوسائل لتؤدي ثلاثة أمور مهمة، الاهتمام والثقة والحنان.

فبينما يسعد الآباء والأمهات كثيراً كلما نظروا إلى أبنائهم حين يكبرون يوماً بعد يوم، حتى إذا وصلوا مرحلة البلوغ زادت سعادتهم أكثر. كذلك الأبناء يكونون أكثر سعادة لأنهم من الآن فصاعداً لن يعاملوا معاملة الأطفال، وبل معاملة الشباب، فمرحلة البلوغ مرحلة مهمة جداً في حياة كل إنسان، يظل يذكرها طوال العمر وبخاصة إذا كانت تحمل معها بعض المتاعب والمشكلات الصحية والتي من أهمها:

بقلم: د. سلوى أحمد *

الجانب المؤلم منها

المراهقة ومشاكلها الصحية

الألم الفخذي الرضفي:

يمثل هذا المرض أعلى نسبة لآلام الركبة وبخاصة في سن البلوغ والمراهقة، ولا توجد أي مظاهر مرضية تفسر حدوث هذه الآلام، وهو كثير الحدوث عند البنات أكثر من الذكور، ودائماً ويحدث دائماً نتيجة الحركة والنشاط وخصوصاً عند صعود أو هبوط السلالم، القفز، ركوب الدراجات، وجلوس القرفصاء، وأحياناً كثيرة يصحابه خلع جزئي أو كلي لصابونة الركبة، وهذا يستدعي أن نفرقه عن أمراض كثيرة تسبب مثل هذا الخلع، ونظراً لطبيعة المرض المعروفة لدى الطبيب، مع استخدام الأشعة على الركبة، يسهل تفريقها عن الأمراض الأخرى.

طرق العلاج

وطرق علاج هذا الألم هي تحفظية تستخدم فيها الأدوية المثبطة للالتهاب مع وضع الثلج أو أي مصدر للحرارة على الركبة، بالإضافة لعمل تمارين للعضلة الباسطة فوق الركبة، وأحياناً تحتاج لعمل تمارين شد لمجموعة أوتار باطن الركبة، هذه التمارين تقلل كثيراً من الألم، ومثل هذه الحالة تزول تماماً عند ٩٠٪ من المرضى في العقد الثاني من العمر، وتستمر في نسبة ضئيلة عند بعض المرضى تمثل ١٠٪ وهي تحتاج للعلاج والكشف بوساطة منظار الركبة، وأحياناً عن طريق العلاج الجراحي.

أُسجُد شلاتر

أُسجُد شلاتر مرض من أهم الأمراض المسببة للألم في مرحلة البلوغ وبخاصة عند البنين، «نسبة حدوثه عند البنين إلى البنات ٣ ـ ١»، وهو يحدث نتيجة التهاب في الوتر السفلي لصابونة الركبة، وفي بعض الأحيان يصاحبه تمزق أو كسر بسيط

في مركز نمو نتوء عظمة الساق، وهو موضع إدماج الوتر السفلي نفسه مع صابونة الركبة.

ويشعر المريض عندها بألم في الجزء الأمامي لعظمة الساق، يزداد مع الجري، القفز، وجلوس القرفصاء، ويقل مع الراحة، وعند الضغط على مكان الوتر يزداد الألم، ويعتمد هذا المرض في تشخيصه على الكشف الإكلينيكي، ومع هذا فلابد من عمل الأشعة لاستبعاد وجود أي أمراض أخرى.

أظافر القدم المغروزة في اللحم من أهم أسباب آلام القدمين وبخاصة في فترة البلوغ

وعند حدوث البلوغ والنضوج التام للعظم، تختفي هذه الأعراض، ومن النادر استمرارها مع المريض، لذلك فطرق العلاج تحفظية ولا تحتاج للجراحة، ولتقليل الألم يعطى المريض أدوية مضادة للالتهاب، مع عمل كمادات ثلج وينصح بالحد من النشاط الرياضي، وبخاصة الجري والقفز، ويحدث الشفاء غالباً في فترة تمتد من ٦ إلى ٨ أسابيع وفي الحالات التي لا تستجيب للراحة مع العلاج السابق، تحتاج للحقن الموضعي بالكوريتزون، مع وضع الساق في الجبس.

مرض سيفر

يعد مرض سيفر من أهم أسباب آلام الكعبين في فترة البلوغ والمراهقة، وهو يحدث بنسب متساوية في البنين والبنات، وغالباً ما يصيب الكعبين، وقد يشكو المريض من ألم في الكعب خصوصاً مع القفز والجري، وغالباً ما تختفي أعراضه عند انتهاء مرحلة النمو.

ولكي نقلل من في هذه الفترة، ينصح المريض باستخدام حذاء طبي مع وضع فراش من الإسفنج المضغوط المغطى بالجلد داخل الحذاء سماكة خمسة أثمان البوصة وذلك لرفع مستوى الكعب، وامتصاص الصدمات، وهذا يساعد على انبساط عضلات سمانة الرجل، وإزالة الوتر والشد من مركز النمو، وبذلك يخفف الألم كثيراً خلال فترة تمتد من ٦ أسابيع إلى ٣ أشهر.

وهناك نسبة قليلة من المرضى تمثل ١٠٪ من الحالات تحتاج إلى جبس في الساق لفترة من ٢ إلى ٣ أسابيع، مع طمأنة الآباء على أنها حال موقتة تنتهي بانتهاء فترة النمو ولا داعي للتقليل من النشاط الرياضي.

العظمة الزورقية الزائدة في القدم

توجد عظمة زورقية في منتصف الجزء الداخلي للقدم، ويتصل بها وتر عضلة الساق الخلفية، وهناك نحو ١٠٪ ممن يعانون من وجود زائدة عظمية زورقية بالقدم، وربما يستمر وجود هذه الزائدة في ٢٪ من الناس طوال العمر، علاوة على انفصال هذه العظمة وعدم اتصالها بالعظمة الأم، وهو ما يسبب التهاباً مزمناً في الوتر المتصل بها، وربما يظهر الألم في سن البلوغ والمراهقة وتتلخص أعراضه في صورة ألم حاد عند زيادة الوزن، وعدم وجود الحذاء المريح، ويخف الألم كثيراً مع الراحة، وقديماً كان يعتقد العلماء بأن مصدر الألم مرجعه وجود القدم المسحاء المصاحب لهذه الزائدة العظمية، ولكن الأبحاث الحديثة أظهرت أن معظم الحالات لا يصاحبها «الفلات فوت».

ويكون العلاج هنا باستخدام الحذاء الطبي، بحيث يوضع في داخله فراش من المطاط على طول القوس الطولي للقدم، وأحياناً يضطر الطبيب لعمل جبس تحت الركبة كعلاج يعطي ارتياحاً موقتاً، والعلاج الحقيقي هنا عن طريق الجراحة لإزالة هذه العظمة الزورقية والتي تنجح في أكثر من ٩٠٪ من الحالات.

الالتهاب الكيسي

الأكياس المصلية هي أماكن كامنة مبطنة بسائل لزج، خلقها الله لكي تقلل من الاحتكاك بين الأوتار وما تحتها من عظام في أثناء حركة هذه الأوتار، وتوجد هذه الأكياس في الجزء العلوي من الناحية الداخلية لعظمة الساق، حيث تفصلها ثلاثة أوتار مدمجة في هذا الجزء من عظمة الساق، ومصدر الألم يكون نتيجة التهاب الوتر، وذلك بسبب تكرار الحركة الدائرية لعظمة الساق على عظمة الفخذ، وهذه الحالة تحدث عند الأشخاص المعرضين لعمل حركات دائرية عند الركبة، مثل لاعبي كرة القدم والجمباز والباليه، وسباقات الجري وغالباً ما تحدث هذه الحالة في ناحية واحدة، وإذا وجدناها في الناحيتين «أي في الركبتين» يجب تشخيصها الذي يصيب المفاصل، وربما يشكو المريض من ألم حاد نتيجة النشاط الحركي وبخاصة الجري، وكذلك عمل الحركات الدائرية للركبة، وأحياناً يصاحب هذا تورم في الركبة، والتهاب في الجلد، وعند الضغط على مكان الأوتار يزيد الألم.

والعلاج لمثل هذه الحال علاج تحفظي لتخفيف الأعراض، مثل وضع كمادات الثلج، واستعمال الأدوية المضادة للالتهاب، وتقليل النشاط الحركي والراحة، وربما يزول الألم في فترة من ثلاثة إلى ستة أشهر وفي أحيان قليلة يلجأ الأطباء إلى الحقن الموضعي بالكورتيزون أو إلى وضع الساق في الجبس.

التهاب السمحاق

التهاب السمحاق أعراضه غالباً لا نراها إلا في سن البلوغ، وهو يكثر بين البنين دائماً بسبب الإجهاد الحركي لعضلة سمانة الساق نتيجة لزيادة الجري أو القفز.

وفي هذه الحال يشكو المريض من ألم حاد يمنعه من العمل، ويشعر المريض بالألم على طول الجانب الأمامي لعظمة الساق، ويزيد سوءاً بعد مزاولة النشاط الرياضي، أو عند رفع القدم إلى الأعلى، وتصاحب هذه الحالة بعض الصعوبات في العلاج، نظراً لاحتياج المريض للراحة التامة مع عدم مزاولة أي نشاط حركي حتى لا يزيد الألم وهو ما يضايق نفسياً وبخاصة إذا كان من الرياضيين، وبجانب الراحة التامة يلزم المريض بعض الأدوية المضادة للالتهاب، مع عمل كمادات على مكان الألم.

العظمة الزائدة في الطرف العلوي من سمانة الساق

يعاني بعض الأشخاص بنسبة ١٢٪ تقريباً من وجود عظمة سمسمية الشكل في حجم حبة الفول توجد داخل الجزء العلوي لعضلة سمانة الساق، وغالباً ما تكون هذه العظمة مفصلاً مع عظمة الفخذ، وتسبب آلاماً مزمنة في الجزء الخلفي الجانبي للركبة، وأكثر ما تحدث في سن البلوغ والمراهقة عند البنات، حيث يزداد الألم مع انبساط الركبة، ومع الضغط على الجزء العلوي لعضلة سمانة الساق، ويعتبر مصدر الألم حتى الآن غير معروف، ولكنه يرجح بأنه نتيجة التهاب الغشاء المبطن للمفصل.

طرق العلاج تحفظية بسيطة، هي الحد من ممارسة أي نشاط، أما في الحالات التي يعاني المريض فيها من استمرار الألم، يلجأ الأطباء فيها للجراحة لإزالة هذه الزائدة العظيمة، وتصل نتيجة الجراحة هنا أيضاً إلى أكثر من ٩٠٪ من الحالات.

التهاب وتر العضلة الدوارة للكتف

توجد العضلة الدوارة في أعلى مفصل الكتف، وهي من ضمن العضلات المسؤولة عن رفع الذراع لأعلى وربما يحدث بها التهاب بها خلال المرحلة الأخيرة للبلوغ، وتكثر بين البنين الذين يزاولون نشاطاً رياضياً مثل السباحة والتنس والبيسبول، ويعتقد العلماء أنها تكون نتيجة الإجهاد المتكرر لعضلات الكتف، وبخاصة في وضع يكون الرأس فيها مرفوعاً إلى الأعلى، وفي حالة الدوران للخارج، أي في حال وضع ضربة الإرسال في التنس ورمي الجلة، وحدوث هذا الالتهاب في سن البلوغ والمراهقة أفضل كثيراً من حدوثه في سن الراشدين، فهو يستجيب لطرق العلاج التحفظية باستعمال كمادات الثلج أو الماء الساخن، والأدوية المثبطة للألم والالتهاب مع أخذ فترات من الراحة، وعادة يتحسن الألم في فترة تمتد من ٣ - ٦ أسابيع، ويمارس المريض نشاطه مرة أخرى ويستعيد كامل قوته سريعاً بمجرد أن يتحسن الالتهاب.

أظافر القدم المغروزة في اللحم

تعتبر أظافر القدم المغروزة في اللحم من أهم أسباب آلام القدمين، وبخاصة في فترة البلوغ والمراهقة عند البنين والبنات، وهو يحدث نتيجة انغماد الحافة الداخلية والخارجية للأظفر تحت حافة الجلد، وينمو الجلد الداحس فوق الأظفر من كل ناحية، ويصبح الأظفر محصوراً من تحت ومن الداخل، وبذلك يعطي فرصة كبيرة للبكتريا وبقايا الجلد الملتهب لتتجمع تحت الجلد الداحس، وحدوث بداية الالتهاب، ويساعد في ذلك تكرار حدوث الصدمات البسيطة من الضغط الواقع على الأظفر من الجورب والحذاء ويزداد الالتهاب في الجلد الداحس، وينتشر ويسبب احمراراً وورماً وألماً حاداً.

ويبدأ العلاج بعمل كمادات ماء دافئ، مع تنظيف كل المنطقة الملتهبة، بمسحها بقطعة من القطن المبلل بالمطهِّر، مع إعطاء المريض مضاداً حيوياً مناسباً، بالإضافة إلى استعمال الحذاء المناسب، ومع ذلك فالعلاج الجراحي هو إزالة الظفر وبقايا الجلد الداحس الملتهب.

مرض دي كيرفان

مرض دي كيرفان ما هو إلا التهاب أوتار عضلات أصبع الإبهام، ويحدث الألم منه نتيجة الالتهاب الحادث في غلاف الوتر عند المكان الذي تعبر فيه أوتار الرسغ، فإذا علمنا أن هذه الأوتار تجري في تجويف عظمي غالباً ما يكون ضيقاً في حجمه، ومع تكرار تهيج الأوتار في هذا المكان يحدث التهابات مع تورم في الأنسجة المحيطة بها، وبذلك تؤدي إلى حدوث الألم في الرسغ مع ضعف في عضلات اليد والرسغ، وتظهر هذه الحالة بكثرة عند البنات في سن البلوغ، وكذلك عند الأشخاص الذين يمارسون عملاً فيه تكرار مستمر لحركات الرسغ، مثل الكتاب والجراحين، وفي حال الضغط على مكان الأوتار يزداد الألم.

الأكياس المصلية هي أماكن كامنة مبطنة بسائل لزج خلقها الله لكي تقلل من الاحتكاك بين الأوتار

والعلاج لمثل هذه الحال الراحة التامة للرسغ بالإضافة لعمل كمادات ثلجية واستعمال الأدوية المضادة للالتهاب، وغالباً ما ينجح العلاج في إزالة الألم في السن المبكرة في فترة تمتد من ٦ أسابيع إلى ثلاثة أشهر.

أما إذا استمر الألم بعد ذلك، فالحقن الموضعي بالكوريتزون من الممكن أن يفيد، وفي بعض الأحيان القليلة يحتاج المريض للتدخل الجراحي ■

* اختصاصية أمراض الروماتيزم التأهيل المهني بمعهد شلل الأطفال جمهورية مصر العربية

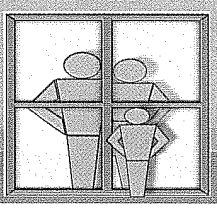

همسة إلى كل زوج

بقلم: منى السعيد الشريف

عزيزي الزوج... أنت الأب والصديق والأخ واليد القوية التي تمسك بنيان البيت من الانهيار والعقل الكبير الذي يدبر اليوم ويخطط للغد ويتعلم من دروس الأمس، والكاهل العريض الذي يتحمل أعباء الحياة وأكد التعامل مع همومها ومشكلاتها.. لك في القلب كل المكانة والحب والإعزاز. ذلك الحب الذي كان يملأ القلب فرحا عند سماع دبيب أقدام الأب على سلم البيت فيداعب النوم الجفون آمنين بأنفاسه تملأ المكان والذي انتقل إلى بيت الزوجية فلم يختلف المشهد كثيراً لذاك القلب الذي يرقص فرحا مع عودة الزوج ليأوى إلى بيته بعد عناء فيلهج القلب بالدعاء ألا يُحرم بيت رجوع رجله إليه سواء كان أبا أو أخا أو زوجا أو إبنا... وتلك المكانة وذاك الود الذي لا تحلو الحياة من دونه هو ما يجعل المنتظر من عطائك كبير، فالحب وليد العطاء ورضيعه والزوجة والبيت والأولاد إن كانت تمثل جزءاً من الحياة فأنت لها كل الحياة بعد ربها ودينها، ولذا فهي دائما عطشى لاهتمامك ورعايتك رغم كل التقدير لمسؤولياتك وأعبائك، ولذا أهمس في أذنيك ألا تحرمها هذا الاهتمام والرعاية وليتسع صدرك لتجلس إليها تحادثها وتسامرها ولو بعض الوقت ذلك أحرى على دوام المودة والألفة والسكن بينكما وإليك حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «ليس من اللهو إلا ثلاث: تأديب الرجل فرسه، ورميه بقوسه ونبله، ومداعبته أهله». وفي رواية «كل شيء يلهو به الرجل باطل إلا تأديبه فرسه، ورميه عن قوسه. ومداعبته أهله» فالجلوس إلى الزوجة والحوار معها ومؤانستها بعض الوقت ليس وقتاً ضائعاً بلا فائدة، لأنه يقرّب بين الزوجين ويقوى الرباط بينهما ومن حسن معاشرتك لزوجك وحوارك معها مشاركتها في الاهتمامات وعدم تسفيه رأيها وإن لم تأخذ به.. وعدم ذكر محاسن إمرأة أخرى أو مدحها أمامها فذلك يغضب أي إمرأة مهما أظهرت خلاف ذلك. وشعور المرأة بأنها أفضل النساء وأحسنهن وأملحهن في عين زوجها لا يعوضه شيء ولو وضع الدنيا بين كفيها، ولهذا أحل ديننا الحنيف الكذب على الزوجة في هذا المقام لاسترضائها ودوام مودتها... والزوج الذي يصرّ على امتداح كل امرأة رآها وذكر محاسنها، ويملأ عينيه نظرا للرائحة والغادية يفقد بالتدريج مودة زوجته بل احترامها له، فالمرأة لا يملأ عقلها ولا قلبها الرجل الضعيف الشغوف بالنساء الذي لا يراعي حق دينه عليه من غض البصر، ولا حقها عليه بالمحافظة على شعورها وقد روى أنه تزوج رجل بامرأة فلما دخلت عليه رأى بها الجدرى فقال: «أشتكيت عينى» ثم قال «عميت» فبعد عشرين سنة ماتت، ولم تعلم أنه بصير، فقيل له في ذلك فقال: «كرهت أن يحزنها رؤيتي لما بها» فقيل له: «سبقت الفتيان» فانظر إلى أي حد حرص الزوج في المحافظة على شعور الزوجة... كذلك من حسن معاشرتك لزوجك ورعاية مشاعرها التغاضي عن الأخطاء الصغيرة والهفوات وعدم توجيهها أو معاتبتها أمام الآخرين فذلك يترك أسوء الأثر في النفس وقد يدفعها إلى العناد وعدم الطاعة، ولتكن عيناك عين المحب الودود الذي يستر السيئة مادامت في غير حق الله وينشر الحسنة ولا تكن عينك عين العدو الذي يتصيد الأخطاء ويبحث عن النواقص والذلات... وإن كنا نتحدث عن المحافظة على شعور الزوجة وعدم اهتمامها يطيب لي في هذا المقام أن أنبه إلى رخصة وضعها الإسلام ويسيء استخدامها بعض الرجال وهي جواز تأديب الرجل زوجته بالضرب غير المبرح، فعندما رخَّص الله تعالى للزوج في ذلك أشترط فيه أن يستنفد معها الطرق الأخرى من الوعظ والهجر فإن لم يجدِ معها ذلك وصل إلى الضرب إذاً الضرب يكون في حال إصرارها على النشوز والعصيان حتى بعد تدرجه معها في التأديب كذلك يجب أن يكون التقصير أو الذنب الذي تقوم به يستحق نوع العقاب فلا يلجأ إلى الضرب عند حدوث أي حدث مهما كان صغيراً كما يفعل البعض وقد اشترط في الضرب كما أسلفنا أن يكون غير مبرح لا يؤذي ولا يترك أثرا وأن يجتنب المواضع المخوفة كالرأس والبطن والوجه. فإن رسول الله ﷺ نهى عن ضرب الوجه نهيا عاما سواء كان آدميا أو بهيمة، وكان عليه الصلاة والسلام يؤدب بالسواك ولا يزيد.. وأعلم- أصلحك الله- إن الأولى والأفضل ترك الضرب بالكلية مع بقاء الرخصة به- وقد روى عن رسول الله ﷺ قال «لا تضربوا إماء الله» فأتاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال «يا رسول الله زئر النساء على أزواجهن، فأذن في ضربهن» فأطاف بآل محمد نساء كثير كلهن يشكون أزواجهن، فقال النبي ﷺ «لقد طاف بآل محمد سبعون امرأة، كلهن يشتكين أزواجهن، ولا تجدون أولئك خياركم».

إن عظمة الإسلام تكمن في كونه وضع مفهوماً جديداً للقوة والسطوة لم يكن سائدا، فقد جعل الأقوى هو الأحلم والأقدر على العفو والمغفرة فهو لا يريد أن يجعل الرجل جلاداً في بيته يبسط سيطرته وقوامته بالسوط والعصا لأنه يدرك إن تحقق له ذلك بالقوة وعلو الرأي في البيت فلن يحقق هذا روح المودة والعطف والألفة الذي يسعى الإسلام أن تكون العماد الذي يقوم عليها بيت المؤمن.

وهذا أرقى مفهوم لفن التعامل مع الزوجة.. إن المتأمل في سيرة خير البرية عليه الصلاة والسلام وسلوكه مع زوجاته رضي الله عنهم وتحمله لهن ومواقفه مع السيدة عائشة ومراعاته لصغر سنها يجد أروع مثال في تلطف الزوج ومراعاته لظروف زوجته وسماتها. فالزوجة إن كانت صغيرة السن أو على درجة قليلة من العلم والثقافة وجب على الزوج تفهُّم ظروفها والتبسط معها ولا يجعل هذا الاختلاف أو الفارق بينه وبينها في الثقافة أو السن عائقا دون تفهمها والتآلف بينهما. وأعود أخي لأهمس في أذنيك أن لكل بيت ظروفه الخاصة ولكل امرأة طبع جبلت عليه وأنت أدرى الناس بما يصلح بيتك وزوجتك أو يجب أن تكون كذلك على الأقل ولكن ما لا يمكن أن نختلف عليه أن الكلمة الطيبة صدقة تلين القلب وتستجلب الود وتجلي النفس. وأن القسوة والغلظة نفرة تمزّق أقوى الروابط وتمحو أرق المشاعر، والنساء أكثر خلق الله محبة للكلمة الطيبة اللينة والمديح، فإن استطعت أن تجعل لسانك رطباً بها دائما ملكت ود زوجتك. وإن استطعت أن تجعل الصدق حديثك وسمتك ملكت احترامها وإن استطعت تحقيق القوامة الصحيحة وكان لك الرأي الأعلى داخل البيت ملكت هيبتها لك وتقديرها ■

إعداد : تمام أحمد

باب جديد يحتوي على مواقع مختارة على شبكة الإنترنت تهم القارئ العربي والمسلم. نقدمها لقرائنا الأعزاء آملين منهم التواصل معنا ورصد المواقع الجيدة التي تخدم هذا الباب وإرسال عناوينها إلينا حتى نخدم من خلالها ديننا وأمتنا وقضايانا العربية والإسلامية والله من وراء القصد.

● **مركز تخزين الملفات**

http://www.driveway.com

يقدم هذا الموقع لكل مشترك ٢٥ ميغابايت لحفظ الملفات والبرامج والوثائق مجاناً. إنه الحل الأمثل لمن يريد أن يرسل ملفاً إلى شخص آخر في بلد ثان. ما عليه إلا أن يخزّنه في هذا الموقع ويطلب من الآخرين تفريغه من هناك. يساعد الموقع على نقل ملفات كبيرة من الحاجة إلى أقراص كومبيوتر.

● **موقع البرامج الإسلامية**

http://www.sharaaz.com/

إذا أردت شراء برنامج كومبيوتر إسلامي أو كتاب في أي موضوع إسلامي فهذا الموقع هو المحطة الأولى والأخيرة لك. فيه عدد كبير من البرامج الدينية الجميلة جداً وبأسعار معقولة، فيه أيضاً برامج تعليمية وثقافية وبرامج تلاوة القرآن الكريم بأصوات أشهر المقرئين.

● **موقع السكان**

http://www.popexpo.net

نظرة تحليلية عن سكان الكرة الأرضية أعدها متحف الإنسان في باريس. يقدم معلومات هائلة عن تزايد السكان في مختلف بقاع العالم ومعدل الوفيات وتوزعهم ويقدم بيانات ومخططات إحصائية مفيدة مع صور وشروحات مفصلة.

● **موسوعة العالم العربي**

http://www.arabworld.com

موقع يحتوي على معلومات وفيرة عن الدول العربية. تبدأ الصفحة الأولى بإظهار أعلام الدول جميعها وبالنقر على علم من الأعلام ينقلك ذلك إلى المعلومات التي تخص الدولة العربية صاحبة العلم. موقع مفيد لمن يريد أن يأخذ نبذة عن أي دولة عربية.

● **الحلقة العربية**

http://www.geocities.com/rainforest/3285/ring.html

يعتبر هذا الموقع مرجعاً لمطوري مواقع الإنترنت باللغة العربية. ففيه يتم تبادل الخبرات والآراء وتقديم الحلول والإجابات للمشكلات التي تعترض المبرمجين باستخدام لغة HTML. ويحاول المشرفون على الموقع تحديد الإطار المعياري لاستخدام اللغة العربية على شبكة الإنترنت.

● **موقع المجرات:**

http://www.SPACEART.COM/SLOAR/

يقدم هذا الموقع صوراً أو شرحاً مفصلاً عن الكواكب والنجوم والمجرات التي تحيط بكرتنا الأرضية. كما يشرح حركة الكواكب وكل ما يتعلق بالخسوف والكسوف. يحتوي أيضاً على وصلات كثيرة لمواقع على الإنترنت تهتم بالموضوع نفسه ويعتبر مرجعاً جغرافياً مهماً للهواة والمحترفين على حد سواء.

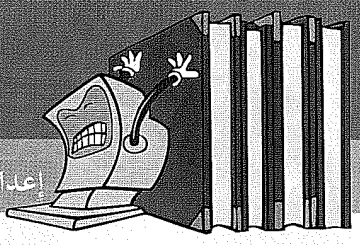

إعداد : محمد هاني

اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة في الكويت تصدر كتابين

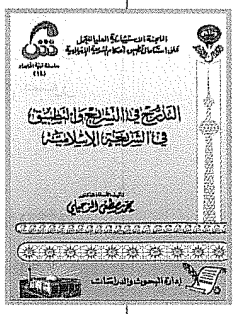

أصدرت اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة في الكويت كتابين يتعلقان بالتدرج في التشريع والتطبيق الأول للدكتور محمد مصطفى الزحيلي الأستاذ في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الكويت وجاء تحت عنوان «التدرج في التشريع والتطبيق في الشريعة الإسلامية»، ويقع في نحو ١٤٦ صفحة من القطع الصغير وقد أبان المؤلف فيه تعريف التدرج وشروطه وأدلته ومجالات ومحاذير التراخي المفرط فيه وأكد أن التدرج في التطبيق يعني بيان الأحكام الشرعية للناس لتتم معرفتهم بها ثم وضع هذه الأحكام في أنظمة وقوانين للانتقال بالمجتمع والأمة والدولة من القوانين الوضعية إلى الأنظمة المستمدة من الشريعة الإسلامية، أما الكتاب الثاني فجاء تحت عنوان «الشريعة الإسلامية بين التدرج في التشريع والتدرج في التطبيق للشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ويقع في نحو ٦٤ صفحة من القطع الصغير وقد بلور المؤلف فكرة التدرج في التشريع والتطبيق ومد رواقها وكان في طرحه لهذا الموضوع عقلانياً يتبع موارد النصوص ويغوص في أعماق مراميها من غير أن يعرج على أطروحات من سبقه من المؤلفين.

الترويح وعوامل الانحراف رؤية شرعية

في سلسلة الكتب التي يصدرها مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر صدر كتاب الأمة الرابع والسبعون تحت عنوان «الترويح وعوامل الانحراف - رؤية شرعية» للأستاذ عبدالله بن ناصر السوحان والكتاب. محاولة لطرح قضية الترويح، والتعامل معها من خلال رؤية شرعية تأصيلية، والاجتهاد في قراءة الوسائل الترويحية الموجودة، والتطلع إلى آفاق ترويحية مبتكرة تنسجم مع الرؤية الإسلامية، ورصد الأخطار والسلبيات المترتبة على الوسائل الشائعة، وكيف أنها جاءت ثمرة لرؤى فلسفية للكون والإنسان والحياة، مشبعة بفلسفاتها. فالباحث اجتهد في أن يضع قضية الترويح في موقعها، ويدلل على أهميتها ومكانتها ومشروعيتها، بين خطورة غيابها أو عدم الاهتمام بها، وما يترتب على عدم تقديرها حق قدرها من الجنوح والدمار لطاقات الفرد والمجتمع... وليس أمر استيرادها من فلسفات أخرى بأقل خطورة من تغييبها وعدم الاهتمام بها... ولعل الأمرين متلازمان، فعدم الاهتمام بأوقات الفراغ والاجتهاد في وضع الأوعية الترويحية، سيؤدي إلى الانحراف ويسمح بتمدد «الآخر» بكل فلسفته وثقافته.

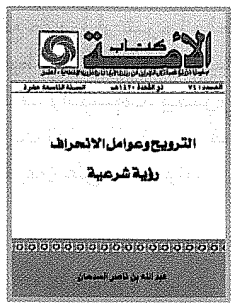

أخبار ثقافية

- تبنى معهد المخطوطات العربية في القاهرة إعداد دليل لمكتبات المخطوطات ومراكزها في العالم العربي وسبب توجه المعهد لإصدار هذا الدليل يعود إلى أن التراث المخطوط في العالم العربي لا يزال حتى الآن من دون خريطة واضحة التضاريس والمعالم كما لا تزال مكتبات المخطوطات ومراكزها لا تعرف الكثير عن بعضها بعضاً.
- انطلاقاً من اتجاه كلية الشريعة في جامعة الكويت نحو تبني المشروعات العلمية والبحثية ستقام في هذا العام جائزة لأفضل الأبحاث المقدمة والتي تم الإشراف عليها من قِبَل كلية الشريعة، وهذه الجائزة التي ستطبق في هذا العام ،غرضها تشجيع الباحثين في مجال البحث العلمي الذي تتميز به كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، حيث تدعم أكثر من ١٢٠ بحثاً في مجالات الشريعة المختلفة.
- تراجع الأزهر عن إجازته كتاب «قصة الخلق من العرش إلى الفرش» لمؤلفه عيد وردانى حيث أمر الدكتور محمد سيد طنطاوي بمصادرة الكتاب ومنع تداوله في السوق لاحتوائه على مخالفات شرعية فادحة، وأكد طنطاوي أن الأزهر ليس ضد حرية الفكر، لكن هذه الحرية لا تعني هدم ثوابت الدين أو الإساءة إلى الأديان السماوية.

الضوابط الشرعية للإنفاق العام وأثره على التنمية الاقتصادية

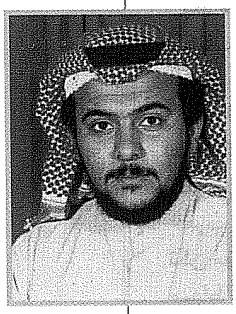

صدر في نحو ٣٦٨ صفحة من القطع المتوسط عن مكتبة المنار الإسلامية كتاب «الضوابط الشرعية للانفاق العام وأثره على التنمية الاقتصادية»، تأليف الدكتور وليد خالد الشايجي، وقد تعرض المؤلف من خلال هذا البحث القيِّم للضوابط الشرعية للإنفاق العام وأثر الأخذ بهذه الضوابط على تحقيق التنمية الاقتصادية في دولة الكويت بشكل خاص، ويتكون البحث من مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة ذكر في المقدمة أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج البحث وخطته وحمل الباب التمهيدي عنوان «الإنفاق العام والتنمية الاقتصادية»، فيما تناول الباب الأول موضوع «الضوابط الشرعية للإنفاق العام» وتحدث في الباب الثاني عن الإنفاق العام وأثره على التنمية الاقتصادية مع التطبيق على دولة الكويت.

وتوصل المؤلف في خاتمة الكتاب إلى جملة من النتائج والتوصيات من أبرزها: ضرورة الالتزام بالحلال والحرام في إنفاق المال العالم، والأخذ بالترتيب الشرعي للمصالح العامة في هذا الإنفاق، والالتزام بالمصارف المحددة شرعاً، والاعتدال في هذا الانفاق والعدالة فيه، وفيما يتعلق بأثر الإنفاق العام على التنمية الاقتصادية التي تعوق تحقيقها لأهدافها ناتجة عن التزام الدول والأفراد بشرع الله واتباع أوامره، في جميع شؤون حياتهم والتي منها بالطبع ضوابط الإنفاق العام وأولياته والمنهج الإسلامي في التنمية الاقتصادية.

ملحمة أرض الرسالات

في نحو ١٥٨ صفحة من القطع الصغير صدر كتاب «ملحمة أرض الرسالات» للدكتور عدنان علي رضا النحوي والكتاب يصور بعض ملامح هذه الملحمة العظيمة الممتدة في الأرض والزمن، والمنطلقة دائماً من أرض الرسالات التي انطلق منها الأنبياء والمرسلون الذين ذكرهم الكتاب والسنَّة ابتداء من نوح عليه السلام في أرض العراق ثم الجزيرة العربية وبلاد الشام ومصر وتقدم هذه الملحمة ذكرى ونصحاً للمسلمين عامة ليدركوا حقيقة المسؤولية التي وضعها الله في رقابهم والتي سيحاسبون عليها يوم القيامة وقد قدم المؤلف في بداية الملحمة رأيه في الملحمة الإسلامية، في الأدب الملتزم بالإسلام لتفارق التصور اليوناني الوثني من حيث الأساطير والخرافات ومن حيث الطول التابع لها ثم عرض المؤلف في الباب الأول الملحمة وأرض الرسالات نثراً «أرض الرسالات وامتداد الملحمة، الدين الواحد»، والباب الثاني خصصه للملحمة الشعرية وأرض الرسالات حيث قدم فيه نماذج طيبة من الشعر حول أرض الرسالات والجزيرة العربية.

هكذا كانوا يوم كنا
الطب في أوروبا وعند المسلمين

عن دار المنارة للنشر والتوزيع في جدة في المملكة العربية السعودية صدر حديثاً كتاب «هكذا كانوا يوم كنا» للدكتور حسان شمسي باشا، يقع الكتاب في نحو ١٣٢ صفحة من القطع المتوسط وقد قصد المؤلف من وراء الكتاب شحذ الهمم لأبناء أمتنا من جديد، فسلط الضوء على تراثنا الطبي العظيم في العصور الوسطى، الذي يعد قاعدة الإنطلاق لنهضة أوروبا الحديثة ومن خلال فصول الكتاب التسعة تناول المؤلف جملة من المواضيع فتحدث عن الطب في أوروبا في العصور الوسطى وعرج بعدها على المستشفيات الإسلامية في تلك الفترة، وكيف كان علاجها وعلاجهم ومسؤولية الأطباء عندنا وعندهم، والطب الوقائي في الإسلام وغيرها من الموضوعات التي يحق لنا أن نفخر بها نحن المسلمين وأن نحاول استعادة هذا المجد الضائع إذا التزمنا بما التزم به آباؤنا وأجدادنا وعدنا إلى ديننا وأخلصنا في عملنا.

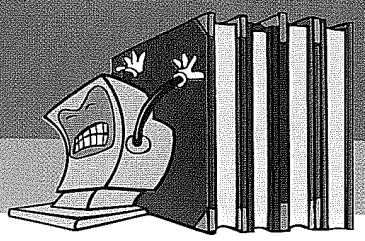

إعادة طبع كتاب «فتح العرب لمصر»

بعد مرور نصف قرن على صدور الترجمة العربية له، أعادت الهيئة العامة، المصرية للكتاب وفي إطار مشروع مكتبة الأسرة، نشر كتاب المستشرق الفريد بتلر «فتح العرب لمصر»، وهو أحد الكتب المهمة التي تناولت هذا الموضوع من شتى الجوانب. وكانت الطبعة الأولى من الترجمة العربية للكتاب قد صدرت منذ نصف قرن، بينما مر على تأليفه حتى الآن نحو ثمانين عاماً، وفي هذا الكتاب يبدي المؤلف إعجابه بالقائد العربي عمرو بن العاص الذي فتح مصر، وروح البساطة والطهارة التي كان عليها العرب الفاتحون. كما أنه ينفي أن يكون العرب قد أحرقوا مكتبة الإسكندرية فهي لم تكن موجودة أيام الفتح العربي. ويقول بتلر: إن التاريخ الخاص بفتح العرب لمصر محاط بالغموض، ومن هنا فقد حدد هدفه بأن «يبدد تلك الظلمة، ويستقصي هذا الفتح في إطار حوادث التاريخ». وقد رجع المؤلف لتتبع الأحداث التاريخية إلى العراقي والبلاذري وابن عبدالحكم وابن قتيبة والطبري وياقوت وأبو الفرج والقزويني لتبين الرؤية العربية لهذا الفتح. ونقرأ في هذا الكتاب المهم صورة لمصر قبل الفتح العربي، وبخاصة اضطهاد الأقباط قبل هذا الفتح، ثم تتبع خطوات مسيرة العرب إلى مصر حتى تسليم الإسكندرية، وانقضاء حكم الرومان بها، وهو يركز على وصف مدينة الاسكندرية بالتفصيل عند الفتح ويتحدث عن المساواة القانونية بين النصارى والمسلمين في ظل الفتح الإسلامي.

حقوق الإنسان والحريات الشخصية

صدرت أخيراً عن «منشورات المؤسسة العربية للنشر والإبداع» بالدار البيضاء ترجمة لعلي ضوي أستاذ القانون الدولي في الجامعات الليبية لكتاب «حقوق الإنسان والحريات الشخصية» لمؤلفيه روبير شارفان وجان جاك سوبير من جامعة نيس - صوفيا انتيبولس الصادر عام ١٩٩٤م عن دار «ليتيك». يقع الكتاب في ٣٨٨ صفحة من الحجم المتوسط، وفيه يرفض شارفان وجان جاك سوبير فكرة المركزية الغربية في مجال حقوق الإنسان ويدعوان إلى التعلم من حقوق أخرى أساسية في الثقافات «المهمشة». رغم أن الكتاب مصنف ككتاب أكاديمي قانوني في إطار القانون الفرنسي «القانون الوطني الفرنسي والقانون الأوروبي، والقانون الدولي المطبق في فرنسا» فإن ذلك لا يضيق من فسحة استفادة القارئ العربي المتخصص وغير المتخصص كما يقول المترجم.

العولمة والتفكك الإقليمي

عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، صدرت دراسة عن موضوع العولمة الناقصة والتفكك الإقليمي والليبرالية السلطوية في الشرق الأوسط للباحث يزيد صايغ وهي تتناول أبرز النتائج العملية التي ترتبت على انتهاء الحرب الباردة في منطقة الشرق الأوسط، حيث أشار إلى أن هناك إشكالية متصلة ولكنها متيمزة، وهي إضفاء أهمية بنيوية على تغيرات يمكن أن تكون موقتة ومتزامنة، على الرغم مما تتسم به من إثارة. وتحدث الباحث عن مدى تأثير أنماط الصراعات بين الدول، الأمر الذي استوجب دراسة مفصّلة حول ما ترتب على الحرب الباردة من تغيرات في المجالات السياسية والاقتصادية والاستراتيجية. كما تحدث عن الولايات المتحدة ودورها في ما يتعلق بالقضايا الأمنية في الوقت الذي اعتبرت فيه القوة المهيمنة في المنطقة.

دستور الأفراد والأمم في سنن سيد العرب والعجم

صدر عن الدار المصرية اللبنانية كتاب «دستور الأفراد والأمم في سنن سيد العرب والعجم محمد ﷺ» وهو من تأليف محمد أحمد جاد المولى الذي عاش في النصف الأول من القرن العشرين وعمل أستاذاً للغة العربية في جامعة أكسفورد، وفي الديوان الملكي المصري كما عمل في مجمع اللغة العربية في القاهرة ودار الكتب المصرية، والكتاب يشتمل على سبعة أبواب خصص الأول منها لعلاقة الإنسان بربه والثاني للعبادات والثالث للأحوال الشخصية من الزواج والطلاق والنكاح والأولاد وتربيتهم والميراث، والرابع للمعاملات الخاصة بالمال وما يتصل به من البيوع والربا والهبة، والخامس للاجتماع ويشتمل على الآداب التي حض الإسلام عليها ومنها آداب الطريق والزيارة والحديث والأخلاق والزهد في الدنيا والخروج من المعاصي، وجاء السادس ليتحدث عن فضل ذوي الفضل مثل فضل النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه وفضليات النساء وفضل المدينة وفضل الخيل والنخل والأراك، أما السابع فجمع فيه المؤلف متفرقات شتى منها حكمة الشعر وعلامات قيام الساعة والأدعية المروية عن النبي ومجموعة من الأحاديث الجامعة.

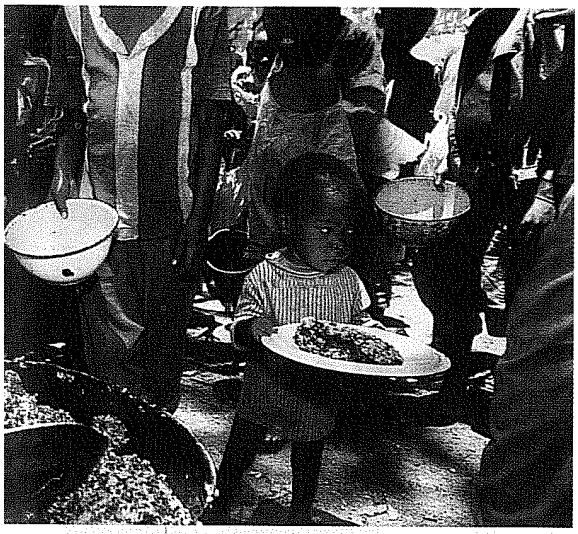

مساعدات إغاثية كويتية إلى أثيوبيا

بناء على توجيهات سمو أمير البلاد، وتنفيذاً لقرار مجلس الوزراء بإرسال معونات إغاثة عاجلة إلى أثيوبيا، غادرت أخيراً إحدى طائرات الشحن التابعة لسلاح الجو الكويتي من نوع هيركوليز «١٣٠ س» محملة بمواد الإغاثة وذلك لمواجهة الأضرار الناجمة عن المجاعة التي أصابت بعض الأقاليم الأثيوبية والظروف الإنسانية الصعبة التي يتعرضون لها والتي تسببت في تشريد الآلاف من دون مأكل ومأوى.

وتشتمل المعونة على خيام وبطانيات وأدوية ومعدات طبية وحليب أطفال ومواد غذائية متنوعة.

وتأتي هذه المعونات مساهمة من حكومة وشعب الكويت للوقوف إلى جانب الأصدقاء في وقت المحن والنكبات.

ويشرف على تجهيز وإعداد هذه المعونة ديوان سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء.

الحروب تشرد ١٣ مليون طفل في العالم

أشار تقرير نشر في لندن إلى أن ١٣ مليون طفل هجروا من منازلهم بسبب الحروب في العالم، ودعا صندوق إنقاذ الأطفال في تقريره الحكومات ومجموعات الثوار والمتمردين والأمم المتحدة إلى احترام حقوق من اسمتهم بـ«أكثر ضحايا النزاعات براءة»، مشيراً إلى أنه في الأغلب لا يتلقون الدعم الدولي الكافي ولا رحمة ممن رموا بهم خارج مساكنهم. ويلقي تقرير «الحرب جاءت بنا إلى هنا» الضوء على البلدان التي يتعرض فيها الأطفال إلى المخاطر. فيشير إلى سيراليون، حيث تعرض الآلاف من الأطفال إلى المذابح والاغتصاب وقطع الأطراف، كما تعرض آخرون أيضاً إلى استخدامهم كجنود في نزاعات هذا البلد الواقع غرب أفريقيا. أما في كولومبيا، فيشير التقرير إلى سجل حافل في هذا البلد، الواقع في أميركا اللاتينية، بقتل الأطفال وإجبارهم على مشاهدة قتل أو محاولة قتل، أحد أفراد عوائلهم. إلا أن أنغولا، تعد «المكان الأسوأ في العالم للطفل» إذ خلفت حرب ثلاثة عقود من الزمان مليوناً من الأجيال الشابة من دون مأوى أو مصابين نتيجة لانفجار الألغام. أما «سري لانكا» فهي البلد الآخر الذي يشهد انتهاكات خطيرة لحقوق الطفل، حسب التقرير، إذ أرغمت الحرب الأهلية فيه ربع مليون على هجر منازلهم، أكثر من خمس أو ست مرات. وبعيداً عن النزاعات الأفريقية والآسيوية، توضح الوكالة أيضاً أثر هذه الحروب على الأطفال في أوروبا، من خلال تسليط الضوء على انتقال آلاف الأطفال من مساكنهم وقراهم خلال حرب كوسوفا.

الصليب الأحمر يناشد المجتمع الدولي إنقاذ مسلمي الشيشان

حذّر تقرير صدر عن مكتب اللجنة الدولية للصليب الأحمر في القاهرة من تدهور الأوضاع الصحية لمسلمي الشيشان بسبب تعرضهم لظروف معيشية صعبة، مشيراً إلى أن أكثر من ثلث السكان المحليين وعددهم ١٢٠ ألف نسمة تشردوا ولم يتبق لديهم أي وسائل للعيش. كما ظهر عدد من حالات حمى التيفود في إحدى القرى.

وأشار البيان إلى أن اللجنة الدولية للصليب الأحمر قدمت مساعدة طبية أساسية إلى مستشفى «أشكوي مارتات» الذي يتسع لـ٢٥٠ سريراً والذي لحقته أضرار في أثناء العمليات العسكرية.

وأوضح مكتب اللجنة في القاهرة أنه سيتم توزيع مزيد من الأدوية والإمدادات الطبية التي يحتاجها المستشفى والتي يبذل موظفوها ما في وسعهم لمواصلة العمل رغم ندرة الماء والكهرباء والوسائل الأخرى. وتجري اللجنة الدولية حالياً دراسة ميدانية أخرى في الوقت الراهن في منطقة «وجود رميس» التي تقع شرق غروزني لتقديم الاحتياجات والمساعدات الإنسانية لمواطنيها.

مفتي مصر: الزواج العرفي باطل والخلع مبدأ شرعي

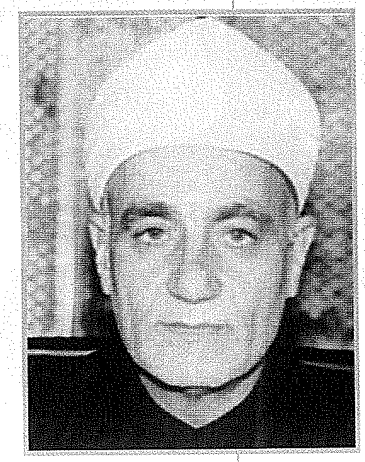

أكد الدكتور نصر فريد واصل مفتي مصر «أن الزواج العرفي فاسد وباطل، يخل بكل المبادئ والقيم الروحية ويؤدي إلى ضياع الأبناء، ولا تترتب عليه أي آثار شرعية».

وقال واصل خلال لقاء مع الأطباء الجدد في المعسكر التدريبي الرابع عشر في بورسعيد: إن الخلع مبدأ شرعي لا خلاف فيه، وإن القانون يحتاج في مجال التطبيق إلى التمسك بمبادئ الشريعة وقواعدها من الناحية المادية والروحية، وعدم الخروج عن الغرض الذي صدر من أجله هذا القانون لإصلاح الأسرة».

وأوضح «أنه إذا حدثت سلبيات في تطبيق القانون فلا مانع من مراعاتها في المستقبل بما يتوافق ومصلحة الناس والغرض الذي صدر القانون من أجله»، وعن قضية ختان الإناث طالب بعدم اللجوء إليها إلا بعد العرض على الطبيب المختص في علم وظائف الأعضاء، وتكون الحاجة ماسة إليها عندما يقرر الطبيب أن الحاجة ضرورية وماسة، وهنا يكون مشروعاً. واعتبر الإجهاض حراماً والاستنساخ البشري غير جائز إطلاقاً ويفسد الحياة.

يذكر أن الزواج العرفي انتشر أخيراً في الوسط «الطالبي الجامعي»، وأيضاً لدى الشباب لأسباب متعددة أبرزها تعذر إيجاد مسكن وتعذر الحصول على عمل ذي دخل يفي بمتطلبات حياة زوجية عادية. أما مسألة الخلع فحظيت بنقاش واسع في الرأي المصري، خصوصاً بعد أن أقر البرلمان أخيراً قانوناً ينظم الأحوال الشخصية ويتيح الفرصة للمحاكم ببت ملفات عالقة منذ سنوات. وبعد إقرار القانون وردت إلى المحاكم مئات الدعاوى من سيدات يطالبن بالانفصال عن أزواجهن.

تحريف كلامي عن سياقه عند بعض العلماء مؤسف

القرضاوي: عدم إيمان ٩٩٪ من الناس بالله حقيقة قرآنية

نفى فضيلة الشيخ د.يوسف القرضاوي ما تناقله البعض عن تعديه في القول في إحدى خطب الجمعة وقوله على الله ما لا يجوز أن يُقال، أو إشادته بدولة الكيان الصهيوني، موضحاً أن ما قاله كان إشارة إلى الفرق فيما يحدث في الانتخابات في الدول العربية والكيان الصهيوني، أو الفرق بين التزوير والواقع، بالإضافة إلى الحقائق القرآنية التي أشار فيها إلى كفر وجحود الغالبية من الناس بالله ونعمه، وعدم إيمان الناس به بالنسبة للتي نراها في نتائج الانتخابات وإجماع الناس على شخصية قائد من القادة.

أضاف د.القرضاوي: ما قلته إن إسرائيل يتنافس مرشحوها، وينجح الواحد منهم بفارق أصوات بسيطة عن باقي المنافسين له، كما شاهدنا في فوز نتنياهو على بيريز بفارق آلاف عدة من الأصوات.

وكل ما فعلته أني أحببت أن أشير إلى النتائج الصحيحة للانتخابات النزيهة وليس إلى الانتخابات التي تحدث عندنا والتي تأتي بنتائج ٩٩,٩٩٪، وهذا غير معقول على أرض الواقع.

وتابع د.القرضاوي: حتى إنني قلت: إن الله تعالى لم يؤمن به الخلق بهذه النسبة ٩٩,٩٩ كما في قوله تعالى: (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقوله تعالى: (ولا تجد أكثرهم شاكرين)، وقوله جل شأنه: (وقليل من عبادي الشكور)، وقوله سبحانه: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم).

وقال د.القرضاوي: هذا هو الكلام الذي قلته، وللأسف الشديد أن بعض الناس حرّفوا هذا الكلام ونقلوه مبتوراً إلى بعض العلماء دون أن يفهموا سياقه.

وأضاف: للأسف قيل كلام لا ينبغي أن يصدر عن عامل ضد عالم.

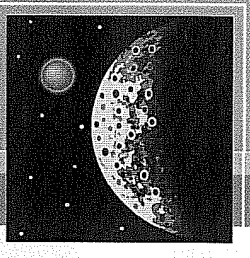

دعم التعليم العربي والإسلامي في تشاد

وقعت حكومة جمهورية تشاد أخيراً على مذكرة تفاهم ثلاثية الأطراف مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الإيسيسكو»، والبنك الإسلامي للتنمية.

وستقوم المنظمة والبنك بموجب هذه المذكرة، بدعم التعليم العربي الإسلامي في تشاد بالتعاون مع وزارة التربية التشادية، وذلك من خلال تدريب مئتي مدرِّس وواحد وأربعين معلماً، وإعداد البرامج التربوية، وتوافر المعدات التعليمية اللازمة للتعليم الابتدائي والثانوي، وتقديم خدمات الخبرة في مجالي التخطيط وطرق التعليم التربوي.

كما يشمل البرنامج الخاص بالدعم، بناء الفصول الدراسية، وإقامة المختبرات، وتنظيم ورش العمل، وتأهيل مراكز الملك فيصل للمعلوماتية ثنائي اللغة الذي يوجد مقره في انجامينا.

كما يشمل برنامج الدعم الذي تقدمه الإيسيسكو والبنك الإسلامي للتنمية إلى وزارة التربية في تشاد، تعزيز قاعدة البيانات الخاصة بالخبراء مزدوجي اللغة «العربية - الفرنسية»، ودعم الإدارات المعنية بالإحصاءات، والإفادة من فرص التكوين والدعم الفني، وتوافر الوسائل التعليمية.

وقع على مذكرة التفاهم عن حكومة تشاد طاهر جيناسو سفير تشاد لدى السعودية، وعن الإيسيسكو عمر سعد توري المدير العام المساعد، وعن البنك الإسلامي للتنمية الدكتور فؤاد عبدالله العمر نائب الرئيس.

رابطة العالم الإسلامي تعترض على مادتين من إعلان حقوق الإنسان

أوضح الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي د.عبدالله بن صالح العبيد أن الرابطة تعترض على مادتين فقط من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي وصفه بأن كثيراً من مواده خطوة متقدمة في مجال تقنين الحقوق البشرية.

وأن ما ورد فيه من مبادئ لا يتعارض مع الرؤية الإسلامية، والمادتان اللتان تعترض عليهما الرابطة هما: المادة ١٦ التي أباحت زواج المرأة برجل يدين بغير دينها، و١٨ التي تعطي الإنسان الحق في الردة عن دينه.

دول الخليج تستثمر ٨ بلايين دولار في ١٥٠ مشروعاً مشتركاً

قال مصدر في «منظمة الخليج للاستثمارات الصناعية» (مقرها قطر): إن الأمانة العامة ستنظم بالتعاون مع المنظمة و«مؤسسة الخليج للاستثمار» واتحاد غرف دول مجلس التعاون وغرفة تجارة وصناعة البحرين حلقة علمية عن المشاريع الخليجية المشتركة بين ١٤ - ١٥ مايو الماضي، وقد قدمت «منظمة الخليج للاستشارات» ورقة عمل حول واقع المشاريع الصناعية الخليجية المشتركة ومستقبلها. وأشارت ورقة المنظمة إلى أن عدد المشاريع الصناعية الخليجية المشتركة بلغ ١٥٠ مشروعاً في نهاية عام ١٩٩٨م بإجمالي رأس مال يصل إلى نحو ثمانية بلايين دولار، تشغل نحو ٣٠ ألف عامل.

موجز أخبار

- قالت مجلة «جين افريك» الفرنسية: إن تكاليف محاكمة الليبيين المشتبه بهما بإسقاط الطائرة الأميركية فوق لوكربي والتي تجرى حالياً في كامب زيست في هولندا تصل إلى ثلاثة ملايين دولار شهريا، إضافة إلى ١٩ مليون دولار تم إنفاقها لتحويل المعسكر إلى قاعة مجهزة للمحاكمة.
- عمليات التنقيب عن البترول التي أجراها «كونسور يتوم» عالمي في كازاخستان أثبتت وجود احتياطيات ضخمة من النفط في بحر قزوين، والجدير بالذكر، أن جمهورية كازاخستان هي اليوم أكبر دولة إسلامية من حيث المساحة.
- ولي عهد بريطانيا الأمير تشارلز زار المدرسة الإسلامية في لندن وتحدث للمرة الأولى للتلاميذ عن سوء الفهم الذي تتعرض له رسالة الإسلام.
- أنهى المجلس التنفيذي لاتحاد جامعات العالم الإسلامي أخيراً دورته الخامسة التي عقدها في جامعة أزاد الإسلامية في طهران، وقد اتخذ قراراً يقضي بانضمام إحدى عشرة جامعة إلهية، كما قرر أن يعقد دورته السادسة في الجامعة الإسلامية في ماليزيا في مارس عام ٢٠٠١م.

آلاف الشباب الكشميري يلتحقون بالحركات الجهادية لتحرير كشمير من الاحتلال الهندي

القتال الجديد في كشمير يشعل المشاعر المعادية للهند، التي تشمل الجميع تقريباً، سواء كان الأفراد الكشميريون يدعمون العنف أو لا، ومعظمهم لا يفعلون ذلك. وفي منطقة عائلة شاه في خانيارد - وهي سلسلة من البيوت الخشبية تقع وسط ممرات ضيقة مليئة بالأشجار، وذات ديكورات جذابة - يمكن لمعظم السكان أن يرووا قصصاً عن انتهاكات قوات الأمن الهندية لحقوقهم الأساسية. ويمكن أن نجد هناك بعض الرجال ممن يحملون ندوباً وآثاراً على أجسادهم يقولون فيها إنها نتائج التعذيب في أثناء عمليات التحقيق. ويقول أحد المثقفين المسلمين الكشميريين «إننا نجتاز مرحلة أسلمة ملحمية، وإذا لم يتوقف التمرد، أو لم تستطع الحكومة الهندية أن تجد طريقاً لكسب الكشميريين، فلن يبقى شيء من ذلك التسامح الذي يتميز به موطني»، وفضلاً عن ذلك، ففي المدن تقوم قوات الأمن والجيش بأعمال دوريات في نقاط متقاربة، ويعتبر الجامع مكاناً آمناً بالنسبة للصبيان. فقوات الأمن لا تتجرأ على اقتحامه، وفي ظل الاحتلال في سرينغار لا توجد حياة ولا حركة في الليل. وغالباً ما تطفأ أنوار الكهرباء في البيوت، وفي الشتاء لا يستطيع الشباب ممارسة لعبة الكريكيت. وطالما أن هناك احتمالاً لاحتجازهم إذا ما مارسوا التسكع، فإن الكثير من الآباء يرغبون في أن يذهب أبناؤهم إلى الجامع، حيث يمكن أن يتعلموا التقوى ويكتسبوا شخصية سليمة. وذلك هو المكان الذي يلتقيهم فيه جماعة «الحديث» ويكتسبون شخصية سليمة. وهو أيضاً المكان الذي يمكن أن يقيموا فيه الصلات مع جماعات المقاتلين. ويقول الصحافي المحلي سوريندير أوبيروي أن «الصبيان الحاليين يترعرعون في ظل موقف متجانس للإسلام، لديهم أصدقاء هنود أو سيخ يلتقون بهم في الأسواق أو المدارس.

«كريستيان ساينس مونيتور»

الشيشان بين المؤامرة الدولية والخذلان الإسلامي

من المؤسف القول: إن الأحداث الجارية في الشيشان متواصلة نحو إنهاء دولة وأمة في منطقة الشيشان إذ طرد معظم سكانها أو شتتوا في مناطق مختلفة من الشيشان والمناطق المجاورة لها. لقد دمرت البنية التحتية للشيشان وخربت الترسانة الروسية أكثر من ٨٠٪ من العمران والمرافق العامة. وقتل هذا الغزو الروسي أكثر من ١٥٠٠٠ شيشاني إلى غاية كتابة هذا التقرير، وهجر إلى العراء وإلى المنافي أكثر من نصف مليون شيشاني أي نصف سكان البلاد، حيث يعيشون في ظروف مناخية لاتطاق وقامت السلطات الروسية بمنع الوقود عنهم لمواجهة البرد القارس وذلك لحملهم على العودة إلى ديارهم.

ومع هذا التصعيد الروسي الخطير أعرب المجتمع الدولي والأمم المتحدة عن حزنهم لما يتعرض له المدنيون الشيشانيون وأكدوا في الوقت نفسه تفهمهم للهجوم الروسي على أوكار المقاتلين الشيشان وتأييدهم لما يفعله الجنود الروس في الشيشان. وهذا الموقف الغربي ليس بجديد إذا أخذنا في الاعتبار أن الكفر ملة واحدة ومصالحهم مشتركة وذات مصير واحد، ومتفقون جميعهم ألا يسمحوا لكيان يرفع الإسلام ويدعو إلى تطبيق أحكام الشريعة على غرار ما يحدث في الشيشان. لكن الموقف الذي يدعو إلى الدهشة والاستغراب هو موقف الدول الإسلامية التي من المفترض منهم أن تتضامن مع المسلمين في الشيشان وتمد لهم يد العون حتى إذا لم يتمكنوا من ذلك بشكل علني حفاظاً على مصالحهم، فليفعلوا ذلك بشكل غير مباشر بدعمهم المجاهدين وإعطاء الضوء الأخضر للوسائل الإعلامية من تلفاز وإذاعة وصحف لتغطية واسعة لما يحدث في الشيشان حتى يشكلوا رأياً عاماً واسعاً يمثل لوبياً للضغط على المصالح الروسية في العالم.

الرباط - ٣٨

المجاعة في القرن الأفريقي وسياسات عولمة الفقر

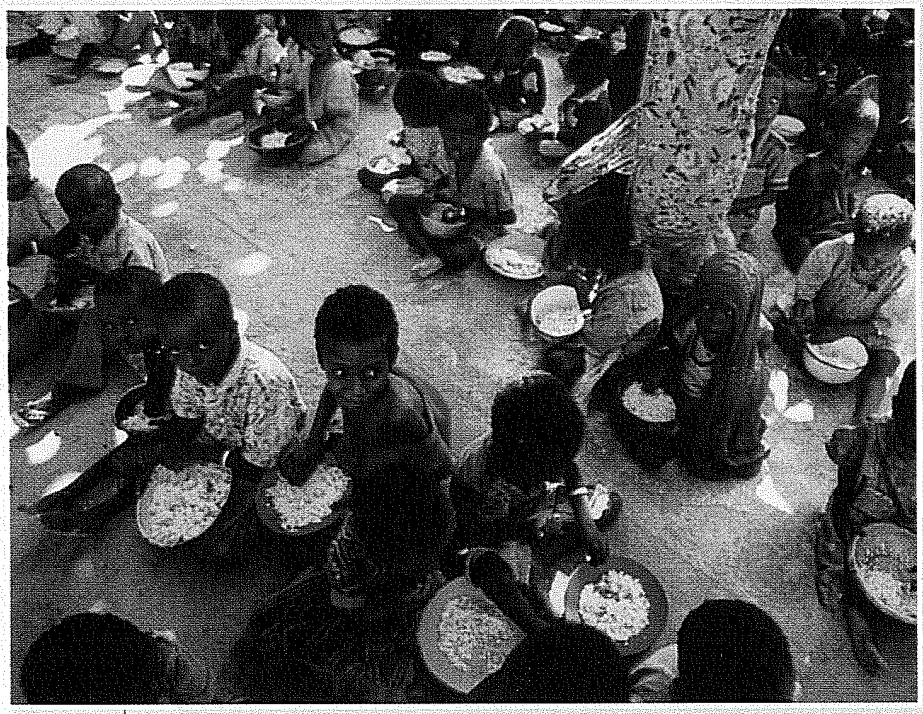

المجاعة التي تجتاح دول القرن الأفريقي - وفي مقدمها أثيوبيا - هي واحدة من المجاعات التي تعصف حالياً بحياة آلاف والملايين من فقراء العالم الذين يتركزون في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية، حيث تشير التقارير، الصادرة عن الأمم المتحدة، إلى أن هناك ما يقرب من بليون إنسان من سكان العالم الذين يعيشون خارج الدول الصناعية يعانون من ويلات «الفقر» ومن تداعياته الاقتصادية والاجتماعية والنفسية، ويذوقون لباس الجوع والخوف والمرض والجهل، وتتناوشهم المجاعات والحروب والأوبئة في مناطق عدة من القرن الإفريقي إلى شبه القارة الهندية وجنوب آسيا، إلى أميركا اللاتينية ودول البحر الكاريبي.

وبقراءة الأرقام والإحصاءات التي تصدرها الهيئات الدولية المعنية بدراسة ظاهرة الفقر في العالم تتضح حقيقة مفزعة وهي اتساع دائرة الفقر في شعوب الأمة الإسلامية، ورغم ضخامة الثروات والموارد الاقتصادية التي تزخر بها أراضيها، فإن من بين أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي البالغ عددهم ٥٢ دولة، هناك ٢٥ دولة مصنفة ضمن أشد المناطق فقراً في العالم، ويعيش فيها ٢٧٠ مليون نسمة - أي نحو ربع سكان العالم الإسلامي كله - تحت خط الفقر الذي حدده تقرير التنمية الدولية سنة ١٩٩٠م بمبلغ ٢٧٥ دولاراً أميركياً للفرد في السنة.

ولكن، لماذا يتركز الفقر وتكثر المجاعات في بلدان الجنوب بصفة عامة، وفي كثير من بلدان العالم الإسلامي بصفة خاصة؟

قد يكون للعوامل الطبيعية - مثل الجفاف والتصحر والأوبئة الفتاكة، والفيضانات المدمرة - دور ما في ذلك، بيد أن الأمر يرجع أساساً إلى ظروف اجتماعية وسياسية تتسم بالاستبداد والدكتاتورية والفساد، وشيوع المظالم الاجتماعية، وإخفاق سياسات التنمية التي اتبعتها حكومات تلك الدول على مدى نصف قرن مضى، وكثرة الحروب والنزاعات الداخلية، وانعدام الأمن والاستقرار.

وإلى جانب هذا وذاك، فإن سياسات الدول الاستعمارية الرأسمالية، والمؤسسات الاقتصادية والمالية الربوية التي تهيمن عليها «وفي مقدمها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي»، كلها أسهمت في السابق - ولا تزال تسهم بدور كبير - في تكريس حال التخلف، وفي توسيع دائرة الفقر والحرمان في دول الجنوب بصفة عامة، وفي كثير من دول العالم الإسلامي بصفة خاصة، وذلك عبر كثير من آليات النهب المنظَّم لثروات الشعوب المغلوبة على أمرها، وإغراق حكوماتها في الديون وفوائدها الربوية الفاحشة التي وصلت في بعض الحالات إلى نحو ٦٠٪ من أصل هذه الديون، الأمر الذي آثار حفيظة كثيرين للتظاهر ضد الصندوق والبنك الدوليين في اجتماعهما الأخير في واشنطن خلال الشهر الماضي، احتجاجاً على السياسات الاقتصادية غير الملائمة التي يتم فرضها على الدول الفقيرة والتي أدت إلى زيادتها فقراً، في حين أدت زيادة غنى الأغنياء.

إن «عولمة الفقر» صارت أبرز سمات النظام الرأسمالي الربوي المهيمن على الاقتصادات والسياسات الدولية، ففي ظل هذا النظام تتسع دوائر الفقر باستمرار داخل المجتمع الواحد، على المستوى المحلي، وفيما بين الدول الغنية والدول الفقيرة على المستوى العالمي، وذلك بفعل آلياته الظالمة التي لا تأخذ في حسابها الأبعاد الاجتماعية والإنسانية للبشر ولا تهتم إلا بالأرقام وتعظيم الأرباح للأقوياء من المحتكرين والمرابين.

المجتمع - العدد ١٣٩٨ - ٢/٥/٢٠٠٠م

إعداد : عبدالمنعم أحمد

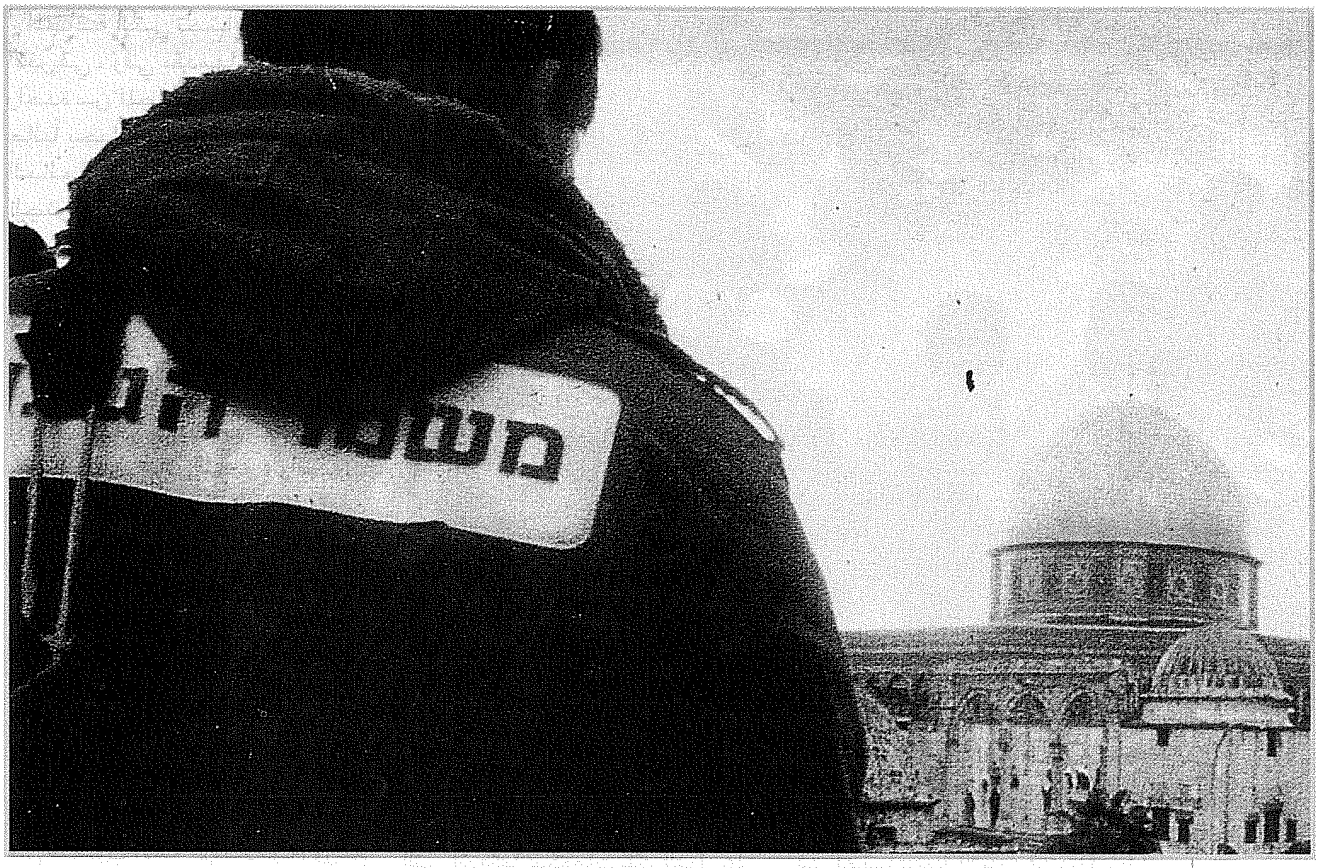

الفلسطينيون لن يقطفوا ثمار السلام إلا بعد عشرين عاما من الآن

كيف ينظر الصهاينة إلى السلام في الشرق الأوسط.

صحيفة «وول ستريت جورنال» نشرت مقالاً حول هذا الموضوع أكدت فيه أن باراك يواصل ما بدأه شامير ورابين.

وأن الفلسطينيين لن يقطفوا ثمرة السلام إلا بعد عشرين عاماً من الآن. يذكر المقال:

إن إحدى السمات التي تسيء إلى مشاعر المساواة المعاصرة في «جمهورية أفلاطون» أكثر من غيرها.

تتمثل في الاحترام المتواضع من جانب سقراط للجماهير، وبما أن معظم الناس سيكونون من الحمق بحيث لا يفهمون الفضائل العقلانية للدولة التي اقترح بناءها، فقد الح سقراط إلى أنهم بحاجة إلى أن تروى لهم أسطورة - الكذبة النبيلة - عن

أصولها بيد أن الحقيقة هي أن الأكاذيب النبيلة تلعب دوراً رئيساً في الألاعيب السياسية للفلسطينيين المعاصرين، وخصوصاً أولئك الصنف «المساواتي» بشكل ظاهري لذلك، فإن ما أطلق عليها قمة رئيسة كبيرة في شأن عملية السلام في منطقة الشرق الأوسط في أواخر العام الماضي، في المدينة التي منحت اسمها للعملية السلمية وفي ذكرى اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق إسحاق رابين، تحولت إلى طوباوية من نوع رديء، حتى أن الرئيس الأميركي بدا متغطرساً بما يكفي ليتحدث نيابة عن رئيس الوزراء الإسرائيلي الراحل عندما قال: «لو أن رابين معنا هنا اليوم، لقال: إنه ليست هناك لحظة نوفرها».

بمعنى آخر، فإن الأسطورة التي يجرى إفشاؤها تبدو على النحو التالي: لقد كان رابين قديساً. كان كل شيء على ما يرام إلى أن قتل. وقام بنيامين نتنياهو وحزب الليكود بتدمير كل شيء تقريباً. والآن وقد صار إيهود باراك الصديق الحميم لرابين في السلطة، فإن الأمور عادت إلى مسارها. وعندما تكون للفلسطينيين دولتهم ستتم تسوية كل شيء. فهل ذلك صحيح؟ لقد وفر رابين لحظات كثيرة بين أول مهمة له كرئيس للوزراء في السبعينيات ومصافحته المترددة بشكل واضح لياسر عرفات في حديقة البيت الأبيض في سبتمبر ١٩٩٣م، وكان يواصل... وهذا ما سيكره الاعتراف به «الكلينتونيون» من المؤمنين بالحركة التعديلية، ما بدأ به إسحق شامير رئيس الوزراء الأسبق وزعيم حزب ليكود، فجهده السلمي لم يكن متقدماً جداً، ولم يكن يمضي بشيء من اللين والنعومة عندما قتل، وفي ظل حكم خلفه شيمون بيريس، الزعيم الإسرائيلي الأكثر ليونة، الذي يمكن للفلسطينيين أن يأملوا بوجوده، أصبح الإرهاب من السوء بحيث تم تعليق المحادثات، واختار الناخبون نتنياهو.

أما بالنسبة إلى باراك، فيكفي القول: إنه في الوقت الذي تلائم أكاذيب كلينتون النبيلة فيه الأهداف العامة للزعامة الفلسطينية، فإنها ذهبت إلى حد إطلاق لقب «باراك ياهو» عليه بصورة شخصية، وفيما يتعلق بالقضية المهمة الوحيدة التي جرى الحديث عنها علناً في أوسلو، ألمح باراك إلى أنه سيواصل سياسة نتنياهو في السماح بالنمو الطبيعي للمستوطنات الموجودة في الضفة الغربية.

والآن ربما تكون بعض الأكاذيب النبيلة، وخصوصاً تلك المتعلقة بالماضي البعيد، غير ضارة أو حتى نافعة، ولكن عندما تبرز الحاجة إلى اتخاذ قرارات صعبة في شأن صراعات عنيفة، فإنه ليس من الحكمة زيادة حجم الآمال المعلقة، فعندما لا يتم تحقيق وإنجاز تلك الآمال، يؤدي ذلك إلى منح عرفات مبرراً آخر للعودة إلى أساليبه القديمة في استخدام الرعاع، وإذا ما تساءل أحد عن السبب الذي يدفع الفلسطينيين دائماً إلى القيام بأعمال شغب في مدينة الخليل، فإن السبب لا يكمن في أن المدينة غاضبة. إنه يكمن في أن الطواقم التلفازية ألغوا نصب الكاميرات، كما يحدث في مسرح صوت في هوليود، ومهما يكن الأمر في مسرح صوت في هوليود.

ومهما يكن الأمر، فإننا ينبغي أن نأخذ كلينتون على محمل الجد، عندما يتحدث عن تجشم «المخاطر» من أجل السلام. وفي الواقع تبدو المخاطر كبيرة. فمن المحتمل أن الفلسطينيين سيقتنعون ويتم إرضاؤهم بالدولة المحدودة التي يتصورها باراك.

إلا أن من المحتمل أيضاً أنهم سيستخدمون هذه الدولة لشن حروب بالوكالة ضد إسرائيل. ومن الممكن أيضاً أن يستخدموا موانيهم الجوية والبحرية الجديدة إضافة إلى إمدادات لصراع أكبر.

وفي المحصلة، مازال عرفات يشيد باللغة العربية إلى «التسوية النهائية» التي يفاوض عليها بوصفها سلاحاً موقتاً وتكتيكياً، فهل يقوم بمجرد استرضاء الأجنحة والجماعات الفلسطينية الأكثر تطرفاً ليس إلا؟ من الصعب أن نجزم برأي هنا، بيد أن المؤكد هو أن الإسرائيليين الذين حكموا الأراضي الفلسطينية على مدى الأعوام الاثنين والثلاثين الماضية، في موقع أفضل من الأجانب لكي يحكموا على هذا الأمر. هذا هو السبب في أن حكمة كل هذه القمم والنفوذ والتأثير الخارجيين تبقى موضع شك.

عندما تكون للفلسطينيين دولتهم ستتم تسوية كل شيء. فهل ذلك صحيح

إننا ميالون إلى الاعتقاد بأن هناك فرصة حقيقية للسلام، إلا أن الكثير سيعتمد على من يخلف عرفات في نهاية المطاف. فهل سيعمد - على عكس عرفات - إلى توعية وتثقيف الفلسطينيين من أجل السلام؟ وهل سيحرر الاقتصاد الرأسمالي للسلطة على نحو كاف يتيح للأشخاص العاديين قطف الثمار الحقيقية للسلام؟ وطبقاً لأكثر الافتراضات تفاؤلاً، فإن تلك تبدو عملية ستستمر بين عشر إلى عشرين سنة، وليس بالصورة المتعجلة المتصورة في الوقت الحالي والتي تتراوح بين سنة واحدة وسنتين. إن قدراً أكبر من النزاهة والأمانة إزاء ذلك الآن قد يساعد في منع الكثير من العنف على الطريق ■

وول ستريت جورنال

حديقة الوعي

إعداد: سليم الرفاعي

من هدي كتاب الله

قال تعالى:

(هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين.» وآخرين منهم لمّا يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) الجمعة: ٢ . ٤

من هدي رسول الله ﷺ

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي. نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس كافة». «رواه الشيخان»

تحكيم الشهوات

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم فإن عاجلها ذميم وآجلها وخيم، فإن لم ترها تنقاد بالتحذير والإرهاب، فسوِّقها بالتأميل والإرغاب، فإن الرغبة والرهبة إذا اجتمعتا على النفس ذلت لهما وانقادت».

في أمن على أطفاله

لو كان كلُّ الناس يعبدُ ربَّهُ
ويخافهُ في قوله وفِعالهِ
ما سادَ إفْكٌ بينهم وضلالةٌ
ولبورك الإنسان في أجيالهِ
وملأتُ هذي الأرض مِنْ ذريتي
وأكونُ مَنْ يلدُ الهنا بعيالهِ
ما كنتُ أخْشى أنْ أكونَ بها أباً
والقلبُ في أمنٍ عَلى أطفالهِ

عمر الراكشي

مثل شعري

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه
على نائبات الدهر حين تنوب

الإباء والشمم

دعا المنصور سفيان الثوري إليه، فلما حضر قال له: سلني حاجتك أبا عبدالله، قال: أو تقضيها يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، قال: حاجتي إليك ألا تطلبني حتى آتيك، ولا تصلني حتى أسألك، ثم خرج من فوره، قال المنصور: ألقينا الحبَّ إلى العلماء فالتقطوه إلا سفيان فإنه أعياناً فراراً.

مأساة

الإنسان هذا المخلوق الصغير... لا وزن ولا حجم له إذا قيس بالكرة الأرضية والنجوم والكواكب الأخرى... أين وزن الجبال والسهول والتلال، بل أين حجمه من حجم السموات والأرض؟ أين هو من الكائنات التي تعيش في البحار والمحيطات؟ وأين هو من الكائنات والحيوانات الصغيرة والكبيرة التي تعيش في الغابات؟ أين هو من الحشرات والجراثيم والكائنات الدقيقة التي لا نراها إلا بأحدث أنواع الميكروسكوبات؟ ومع ذلك، فضَّل الله الإنسان على جميع ما خلق وكرَّمه بالعقل والفكر وما يتبع ذلك من تطور وتغير وتقدم ورقي. ولكن المأساة والكارثة أن كل ما في السموات والأرض ساجد لربِّه، مطيع ومنفذ لأمره إلا الإنس والجن فمنهم المؤمن ومنهم الكافر. منهم المطيع ومنهم العاصي، وصدق الله العظيم حين يقول: (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء) الحج:١٨.

قالوا

جمع القلوب وتأليفها إنما يكون بمعونة من الله في إقامة دينه، قال تعالى في الآية ٦٣ من سورة الأنفال : (لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألَّفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم)، وسرُّه: أن القلوب إذا تداعت إلى أهواء الباطل والميل إلى الدنيا حصل التنافس ونشأ الخلاف، وإذا انصرفت إلى الحق ورفضت الدنيا والباطل وأقبلت على الله أتحدت وجهتها، فذهب التنافس وقلَّ الخلاف وحسن التعاون والتعاضد واتسع نطاق الكلمة.

بشائر الدين الحق

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال يتحدث عن بشائر ظهور النبي المصطفى ﷺ:

«إن قس بن ساعدة. من حكماء العرب. كان يخطب قومه بسوق عكاظ فقال في خطبته:

سيجيئكم حق من هذا الوجه وأشار بيده نحو مكة.

قالوا له: ما هذا الحق؟

قال: رجل من ولد لؤي بن غالب يدعوكم إلى كلمة الإخلاص، وإلى عيش الأبد، ونعيم لا ينفد، فإن دعاكم فأجيبوه ولو علمت أني أعيش إلى مبعثه لكنت أول من يسبقكم إليه».

حكمة

وما كل ذي لبّ بمؤتيك نصحه

وما كل مؤت نصحه بلبيب

فصاحة !!

ادعى أعرابي النبوة، وزعم أن معجزته أن يضع حصاة في الماء، فتذوب فأمر الوالي بإحضاره وطلب إليه أن يصنع تلك المعجزة، فأخرج الرجل حصاة كانت معه وألقاها في إناء به ماء فذابت فيه، ولكن الوالي لم يقتنع بذلك، بل قال له: نعطيك حصاة من عندنا، فرفض الأعرابي ذلك قائلاً: لستم أحرص من فرعون، ولا أنا أعظم من موسى، ولقد علمتم أن فرعون لم يقل لموسى حين ألقى عصاه فإذا هي حية تسعى: لا نرضى بعصاك، وإنما نعطيك عصا من عندنا.

أسماء الطرق

المرصاد والنجد: الطريق الواضح، وقد نطق بهما القرآن، وكذلك الصراط والجادة والمنهج واللقم والمحجة: وسط الطريق ومعظمه، اللاحب: الطريق الموطأ المهيع: الطريق الواسع، الوهم: الطريق الذي يرد الموارد، الشارع: الطريق الأعظم، النقب والشعب: الطريق في الجبل، الخل: الطريق في الرمل، المخرف: الطريق بين الأشجار ومنه الحديث: «عائد المريض على مخارف الجنة حتى يرجع.

إسألوا أهل الذكر

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الإفتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى أهل الاختصاص للإجابة عليها.

بيع المطبوعات من دون إذن المنتج

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي، وملخصه:

يُرجى معرفة الحكم الشرعي في الحالات التالية:

الحالة الأولى: استنساخ كتب أو برامج كمبيوتر عن نسخ أصلية مشتراة بصورة مشروعة وذلك للاستعمال الشخصي فقط.

الحالة الثانية: توليد كتب أخرى أو برامج أخرى مغايرة للأصل، لكنها مستمدة من البرامج السابقة سواء للاستعمال الشخصي أو للبيع.

الحالة الثالثة: استنساخ كتب أو برامج أصلية بقصد بيعها بغرض التجارة أو الربح.

الحالة الرابعة: إذا كانت هناك كتب أو برامج منسوخة بغير إذن من المنتج الأصلي فهل يجوز شراؤها في حال طرحها في الأسواق.

- أجابت اللجنة بما يلي:

بالنسبة للحالة الأولى، إن هذه الحالة لا بأس بها شرعاً، لأنه لا يترتب ضرر على المنتج، والعرف يسمح بذلك.

وكذلك الحالة الثانية: فإنها جائزة لأن فيها جهداً جديداً ولأن الكتب والبرامج الأصلية وضعت لمثل هذا الغرض.

وأما الحالة الثالثة فقد أجابت اللجنة: بأن ذلك ممنوع شرعاً في حال منع المؤلف أو المنتج الأصلي أو وجود قانون أو عرف يمنع ذلك لما فيه من الإضرار بالمؤلف أو ورثته أو المنتج الأصلي.

وأما الحالة الرابعة فقد أجابت اللجنة بأن مشتري هذه النسخة من غير المنتج الأصلي إذا كان بقصد الاستعمال الشخصي فلا شيء في ذلك، أما إذا كان بقصد الاتجار والربح فإنه ممنوع لما فيه من الإضرار بالمنتج الأصلي، الذي منع تداول إنتاجه أو ترويجه فالمقلد قد ارتكب إثم التقليد والبيع.

تغيير مصرف الوقف إذا زاد عن الحاجة

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

ورد في كثير من حجج الأوقاف اشتراط عمل أضاحي... فيرجى التكرم بالإفادة عما يلي:

أولاً: هل يرتبط الصرف على الأضاحي بعملها في أيام التشريق فقط؟

ثانياً: مدى جواز عمل ذلك على وجه الإطلاق دون موعد محدد، علماً بأنه توجد أوقاف كثيرة مشترط فيها الأضاحي ولها ريع موفور.

- أجابت اللجنة بما يلي:

إذا زادت إيرادات الواقفين على الإطعام بعد استيعاب الحاجات القائمة في داخل البلاد وخارجها، فإنه يجوز صرف ذلك الفائض في وجوه الخير ومنها المشروعات العلمية الإسلامية أو المشروعات الخاصة بالعلم وغيرها من أبواب الخير.

وإذا كانت شروط بعض الواقفين قد جمعت بين الإطعام والأضاحي «بعدد محدود أو مطلق» فيستحسن الاقتصار على أقل ما يتحقق به شرط الواقف بالنسبة إلى الأضاحي وذلك بالتضحية بالعدد المحدد وصرف الباقي من الموارد في مجال الإطعام ويجب ذبح الأضاحي في أيام النحر، ثم يجوز أن تدخر بأي وسيلة لتوزيعها على مدى العام لحديث النبي ﷺ: «كلوا وأطعموا وادخروا» رواه البخاري.

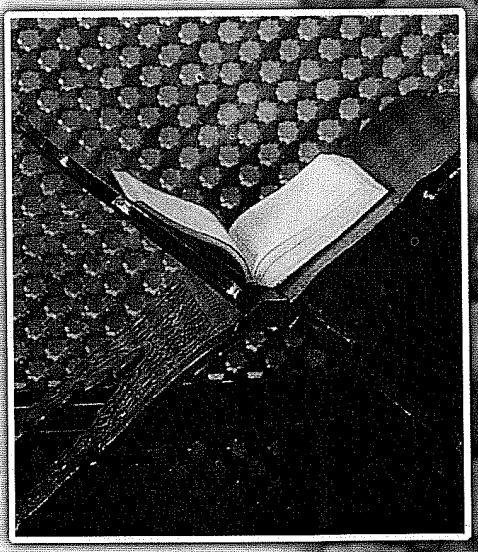

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر خدمة الفتوى 149

زكاة الأوقاف الأهلية والخيرية

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

يُرجى التكرم بإفادتنا بما يلي:

١ ـ هل تجب الزكاة على الأوقاف بأنواعها المختلفة الخيرية والأهلية والمشتركة «الذرية وفيها نصيب للخيرات» والمساجد.

٢ ـ وهل تكون الزكاة على مال البدل والإيرادات أم على مال البدل فقط أو الإيرادات فقط؟

٣ ـ وهل تجب الزكاة على الأوقاف الأهلية التي يتسلم إيرادتها أهل الواقف؟

٤ ـ وإذا كانت الزكاة واجبة على الأوقاف الخيرية فكيف يتم تحديد الزكاة في النصيب الخيري من الأوقاف المشتركة؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

بالنسبة للسؤال الأول: إن الأوقاف الخيرية البحتة لا زكاة فيها وأما الأوقاف الذرية فعلى المنتفع بها أداء زكاتها في حال توافر شروط وجوب الزكاة فيها.

وبالنسبة للسؤال الثاني: مفرع على ما قبله، فأما أموال البدل في الأوقاف الخيرية البحتة فكما تقدم لا تجب فيها الزكاة، وأما أموال البدل في الأوقاف الذرية فيطبق عليها ما يطبق على الأموال الخاصة، والمطالب بأداء الزكاة هو المنتفع بهذه الأموال.

وبالنسبة للسؤال الثالث: يعرف جوابه مما سبق.

وبالنسبة للسؤال الرابع: مما سبق عرف أنه لا زكاة في أموال الوقف الخيري.

تقييد الشروط بما أحل الله تعالى

عُرض على اللجنة السؤال المقدم من رئيس إدارة الصندوق التعاوني للعاملين بالهيئة العامة لإحدى الإدارات الرسمية لإبداء الحكم الشرعي وهذا نصه:

انطلاقاً من روح الزمالة والأخوة التي تربط العاملين بالهيئة العامة لإدارتنا، وتأكيداً لأواصر الأسرة الواحدة التي يربطها التعاون والتكافل، عملاً بقوله سبحانه وتعالى: (وتعانوا على البر والتقوى) المائدة:٢، فلقد اتجهت إدارة العاملين بالهيئة على إنشاء الصندوق التعاوني ليكون عوناً لأعضائه في مواجهة الحياة ومرفق مع هذا لائحة الصندوق المشار إليه، والتي تتضمن طريقة اكتتاب الأعضاء ومزاياه، على أساس التكافل الاجتماعي مع الالتزام بالبعد عن كل المجالات الربوية التي تحقق أرباحاً، **لذا نأمل إفادتنا برأي الدين الإسلامي في مثل هذا العمل، وطبقاً لأحكام الشريعة الغراء.**

بعد أن اطلعت اللجنة على كتاب الصندوق التعاوني للعاملين بالهيئة، وعلى الخطاب الموجه إلى العاملين لدعوتهم للانضمام إليه، للاشتراك في الصندوق، وعلى استمارات بيانات العضوية، وعلى لائحة الصندوق المكونة من ٣٥ مادة.

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

إن هذا النظام ليس فيه أي مخالفة شرعية، وإنه يحقق التعاون على البر والتقوى، ولا سيما النص على تحاشي الاستثمارات الربوية لموارد الصندوق.

وتقترح اللجنة النص أيضاً على الالتزام بتحاشي جميع المعاملات المحرمة شرعاً، ولاحظت اللجنة في استمارات البيانات وفي المادة (١٣) من اللائحة بشأن توزيع المستحقات أنها نصت على دفعها للعضو في كل من حالي الوفاة والعجز الكامل، وهذا لا يستقيم فلابد من أن النص في حال الوفاة على أن الصرف إلى المستفيدين.

كما أن المادة نصت على أنه «يصرف المبلغ لأحد المذكورين» وهذه العبارة تجعل تحديد من هو المستحق مثار نزاع، فينبغي تعديلها إلى عبارة «يصرف المبلغ لجميع المذكورين بالتساوي ما لم يحدد العضو الأولية بينهم، أو نسبة لكل منهم، فإذا لم يذكر أحداً يصرف إلى الورثة الشرعيين».

قلب رحم المرأة

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

أريد أن أقدم على عمل قلب رحم لزوجتي الحامل ـ وهذه تتم عند الولادة ـ وتكون لفترة معينة ولظروف كثرة الأولاد، ويمكن أن يقوم الدكتور المولّد بعملية الولادة وقلب الرحم في وقت واحد، وذلك يوفر علينا وقتاً، ويسهل عملية قلب الرحم، فهل في هذا التصرف مانع شرعي؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

لا مانع شرعاً من إجراء العملية لقلب الرحم بغرض منع الإنجاب، ولا ينظر للبواعث إلى ذلك ما دام أصل الفعل مباحاً، هذا على النطاق الفردي وحسب ظروف الأسرة، وما تقدم عليه باختيارها، دون أن يصبح منع الإنجاب أو تحديده سياسة عامة للأمة لمنافاته للنصوص الكثيرة في الترغيب في التكاثر وتزوج الولود.

منطقة الأمان النفسي

بقلم: علي مدني رضوان

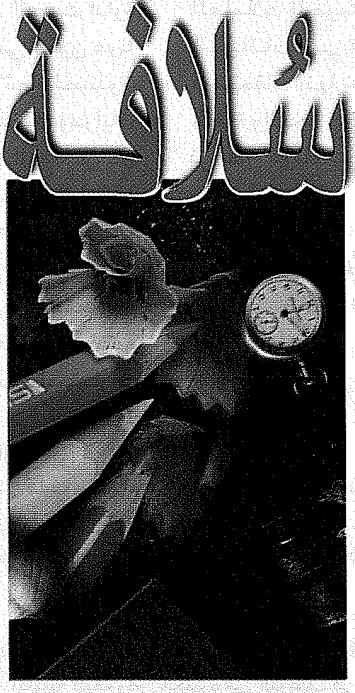

ليس للإنسان أن يهرب من قدره، ولا أن يفلت من قضاء جرى به القلم، وليس معنى ذلك. كما يدّعى البعض. أن الإنسان ريشة في مهب الريح تطوح به أينما شاءت... كلا، فهو حر مختار في دوائر عدة، محاسب إذا هو قصّر في واحدة منها لكن ثمة أموراً تقع به ولا يد له فيها بل لا يملك هو دفعها، ومقادير تجرى عليه وليس له من حيلة أو سبيل في تحويل مسارها أو تغييره، وليس مطلوب منه أكثر من الرضى والتفويض... وما لم يكن للعبد رصيد من إيمان، وحظ من يقين فلن يقدر على اجتياز ثمة شدائد أو محن، وليس بوسعه أن يستريح ألبتة من ليل أو نهار، لهذا كان الإيمان يمثل منطقة الأمان النفسي التي تجعل له من الضيق سعة، ومن المرض عافية ومن الفاقة غنى، ومن الجهل معرفة ومن الوحشة أنساً ومن المحنة منحة.

وكم يظن البعض أن الإيمان كلمة عابرة وسلوك نمطي مكرور وهو ليس كذلك أبداً، بل هو روح موّارة مشتعلة وعاطفة متّقدة، وسرُّ ذلك أنه يرتبط بالعقيدة ارتباطاً وثيقاً، وهذه الأخيرة فيها من القوة والعطاء ما يقطع المفازة ويجلو غبش الليل، ومن ثمَّ فلم يقدر على القيام بكل التكاليف الشرعية سوى مؤمن بالله ورسوله ﷺ فلا يقدر على دفع الزكاة سوى مؤمن بالله، ولايستطيع الصيام والقيام سوى مؤمن، ولا يقدر على ترك الربا سوى مؤمن وهكذا.

إن الأمة لفي حاجة ملحّة لأن تدخل بمجموعها وآحادها منطقة الأمان النفسي كي تنجو من شياطين الجن والإنس فقد يطول ليل الدواهي، وتشتد حبال المحن، وتحلك صفحة الأيام ولن ينجو منها إلا من تمنطق بالأمان النفسي واتشح بالمنهج الإيماني. عندها يحمد القوم السرى...

هذا فليتأمل العاقل ■

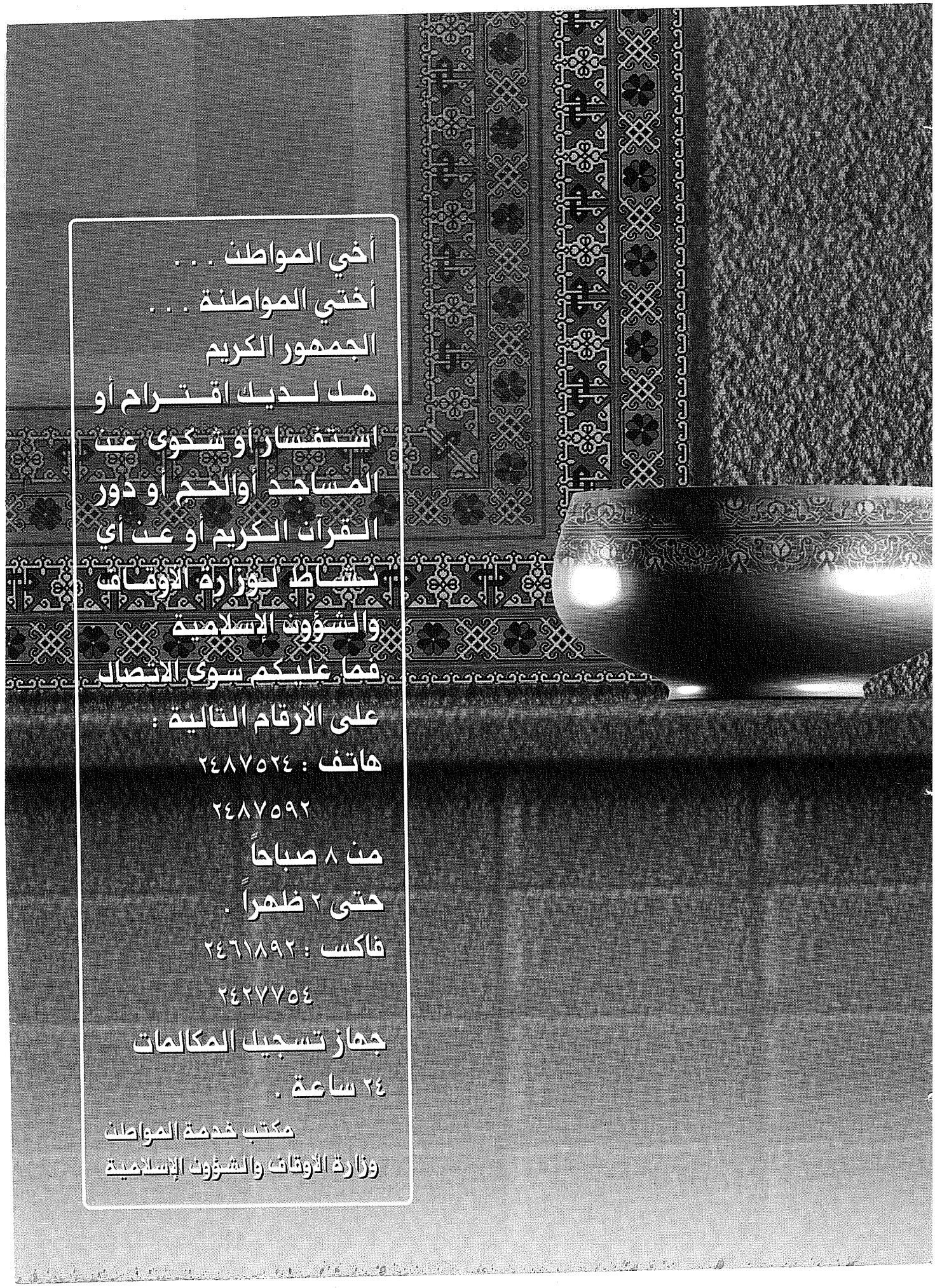
أخي المواطن . . .
أختي المواطنة . . .
الجمهور الكريم
هل لديك اقتراح أو
استفسار أو شكوى عن
المساجد أوالحج أو دور
القرآن الكريم أو عن أي
نشاط لوزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية
فما عليكم سوى الاتصال
على الأرقام التالية :
هاتف : ٢٤٨٧٥٢٤
٢٤٨٧٥٩٢
من ٨ صباحاً
حتى ٢ ظهراً .
فاكس : ٢٤٦١٨٩٢
٢٤٢٧٧٥٤
جهاز تسجيل المكالمات
٢٤ ساعة .
مكتب خدمة المواطن
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

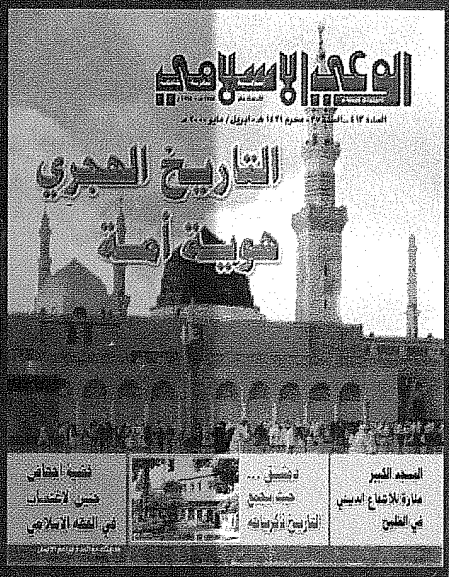

الآن

يمكنكم زيارة
موقع المجلة
على الإنترنت

www.awkaf.net/alwaei

مجلة الثقافة والفكر الإسلامي في ربوع العالم الإسلامي

ص.ب: ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 130097 - الكويت
هاتف: ٥٣٤٨٩٧٤ / ٥٣٤٨٩٧٦ / ٥٣٤٨٩٥٦ (٠٠٩٦٥)
فاكس: ٠٠٩٦٥-٥٣٤٨٩٥٤
e.mail: alwaei@awkaf.net
Homepage: www.awkaf.net/alwaei

الوعي الإسلامي
شهرية إسلامية جامعة
al-Waei al-Islami